الجزء الرابع المجلد السادس والثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

مجلة مُحكَّمة فصلية

ذو القعدة ١٤٣٢هـ
تشرين الأول ٢٠١١م

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً))

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

المدير المسؤول: الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

لجنة المجلة

الدكتور محمود السيد «رئيس التحرير»

الدكتور عبد الله واثق شهيد — الدكتور مكي الحسني الجزائري

الدكتورة ليلى الصباغ — الدكتور مازن المبارك

الدكتور ممدوح خسارة — الدكتور عيسى العاكوب

الدكتور محمد محفل — الدكتور عبد الإله نبهان

الدكتور أحمد قدور

أمين المجلة: الدكتور محمود الحسن

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- أن يُرفق الكاتب بحثَه بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني، مع تعهد بأن البحث غير مستل من أطروحة جامعية، وغير منشور من قبل، ولم يُرسَل إلى جهة أخرى.
- ألا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألاَّ يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة، وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة لا يزيد عن (٢٠٠)كلمة. أما المقالات فيُقبَل منها ما يقلّ عن عشر صفحات.
- أن يخلو البحث من أي إساءة إلى الكتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، وأن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في كتابة المراجع في متن البحث وحواشيه، وأن يضع في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع، مع ذكر اسم المؤلِّف ودار النشر وسنة الطبع.
- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم السّرّي.
- ترتَّب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابِها.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....
- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان:

العنوان البريدي: دمشق ص.ب ٣٢٧. **البريد الإلكتروني**: E- mail: mla@net. Sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت): www.arabacademy.gov.sy

فهرس الجزء الرابع

من المجلد السادس والثمانين

البحوث والدراسات

النظام التعليمي في سورية واقعاً وتحدياتٍ وارتقاءً	د. محمود السيد	٩٢٥
وظيفة التأثيل في الصناعة المعجمية العربية	د. أحمد عزوز	٩٥٥
العرباض بن سارية السُّلمي (... ٧٥ هـ)	د. عبد الكافي المرعب	٩٧٥
العربية من وجهة نظر الآخر	د. محمد عبدو فلفل	١٠٠٣
(ضوء السقط) يشهد لصاحبه بحسن الخاتمة	د. السعيد السيد عبادة	١٠٢٩
أثر القرآن الكريم في كتابات ناصيف اليازجي	د. أحمد العلاونة	١٠٤٧
علم المعاني في أمالي ابن الشجريّ	د. منيرة محمد فاعور	١٠٦٧
من إضافات الزمخشري في أسلوب العطف	د. إبراهيم منّاد	١٠٩٣

المقالات والآراء

صفحة لغة: هذا وذلك	د. مكي الحسني	١١٢١
كتاب «بحر العوّام» بين طبعتين	د. مازن المبارك	١١٢٧
صفحات لغوية: «في بعضها نظر»	د. ممدوح خسارة	١١٣٥
مراجعة في كتاب: تُحف الخواص	د.محمد رضوان الداية	١١٤٧
نظرات نقدية في كتاب (الوَرَقَة) لابن الجرَّاخ	د. عباس هاني الجرَّاخ	١١٦٧
قراءة في (شرح القصائد السبع) لابن كيسان	أ. خير الله الشّريف	١١٨٧

أنباء مجمعية وثقافية

الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع في الرُّبعين الثاني والثالث من عام ٢٠١١	١١٩١
فهرس المجلد السادس والثمانين	١١٩٩

النظام التعليمي في سورية
واقعاً وتحدياتٍ رئيسة وارتقاءً

د. محمود السيد(*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نسلّط الأضواء على مكانة النظام التعليمي في عملية التنمية الشاملة، ثم نقف على واقع النظام التعليمي في الجمهورية العربية السورية من حيث إيجابياته وسلبياته، وتبيان التحديات الرئيسة التي يواجهها، وتقديم عدد من المقترحات لتجاوز تلك التحديات.

أولاً- تمهيد

يهدف التعليم إلى هندسة الإنسان وبنائه بناء متوازناً ومتكاملاً ومتطوراً من جميع الوجوه ، جسمياً وعقلياً وعاطفياً واجتماعياً وقومياً وإنسانياً ،حتى يغدو إيجابياً وفعّالاً في مسيرة مجتمعه وفي مسيرة الحياة الإنسانية.

وثمة علاقة قوية بين تقدم أي مجتمع وارتقائه في عالمنا المعاصر ونظامه التعليمي، إذ ما كان لبعض المجتمعات أن تحرز تقدمها لولا ما أولته من عناية لنظام التعليم فيها ورعاية لعقول أبنائها، فأحسنت الاستثمار في مناجم هذه العقول، ووظفت هذا الاستثمار في حل مشكلات حياتها، وتحقيق التنمية الشاملة لنهوضها وارتقائها.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ولقد تبوأ التعليم مقعد القيادة في قاطرة التنمية، وغدا أداة لصناعة التقدم والنهضة، لأن التقدم في عالمنا المعاصر بات تقدماً معرفياً، ولأن النهضة غدت نهضة تقانية «تكنولوجية» في المقام الأول، وتحول الاقتصاد العالمي من اقتصاد يقوم على الاستخدام الكثيف لرأس المال والعمالة ، إلى اقتصاد يعتمد على المعرفة بعد أن أصبح الكنزُ المكنون في عقل الإنسان ، مفجرُ ثورة التقانة والمعلوماتية والاتصالات ، أهمَّ مكون في معادلة التنمية، وأصبحت المعرفة قوة، وصارت الأمة القوية هي الأمة العارفة.

ولما كانت المعرفة هي الورقة الرابحة في التنافس الدولي ،كان لابد من التطوير الجذري للتعليم ليغدو تعليماً منتجاً للمعرفة والتقانة ومواكباً لروح العصر، ذلك لأن مصير أي أمة إنما هو مرهون بمصير التعليم فيها.

ولما كان التعليم قطاعاً حيوياً من قطاعات التنمية، لا بل هو الجهاز العصبي لعملية التنمية ، زاد حرص الدول كافة في عالمنا على توفير الفرص التعليمية لأبنائها وعلى توفير مستلزمات هذا النظام ،من موارد مالية وبشرية بغية إيجاد نظام تعليمي متميز، تحرص الدول المتقدمة على استمراريته وتطويره حتى تبقى محافظة على تفوقها وتقدمها، وترنو إليه أنظار الدول النامية انطلاقاً من إدراكها أن التعليم هو قنطرة العبور من التخلف إلى التقدم، ومن الفاقة إلى الرفاهية، ومن المرض إلى الصحة، وهو سلاحها لمواجهة كل تيارات الغزو الثقافي، وكل محاولات طمس الهوية والذاتية الثقافية، وهو صمام الأمان في أمنها الوطني والقومي.

ويشير تقرير التنمية البشرية في العالم الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، إلى أن الفجوة العالمية بين من يملكون المعرفة ومن لا يملكونها آخذة في الاتساع ، محذراً من استمرارية هذه الفجوة، إذ إن استمراريتها تقود إلى مزيد من

تباعد الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية[١].

ولما كان الإنسان أداة التنمية وغايتها في الوقت نفسه ، اتجهت الأنظار إلى تنمية الموارد البشرية على أن التعليم هو مفتاح نهضة الأمة وسلاحها للدفاع عن أمنها القومي، ووسيلتها للمحافظة على تراثها الحضاري وصناعة التقدم فيها، ذلك لأن التعليم ذو علاقة وثيقة بالثقافة والتنمية والبناء القيمي للمجتمع والمواطنة والديمقراطية، وبالقوة السياسية والاقتصادية والأمن القومي وبمستقبل الأمة وحركة المجتمع كله.

بيد أن طبيعة العصر الذي نحيا تحت ظلاله تعد من العوامل الضاغطة على حركة التعليم، وتتمثل هذه الطبيعة في أنه عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا» وهو عصر التفجر المعرفي وسرعة التغير العلمي والتقاني، وهذا ما يحتم على المنظومة التربوية أن تكون مرنة ومستقبلية وابتكارية، وأن يكون التعليم مستمراً مدى الحياة ،وابتكارياً ومنتجاً يعدُّ الفرد لحياة المواطنة والديمقراطية وينمي الإبداع.

وإذا كان للعولمة جانبان أحدهما مضيء يتمثل في انفتاح العالم بعضه على بعض حتى غدا قرية كونية، وانفتاح الثقافات يفيد بعضها من بعضها الآخر، فإن للعولمة جانباً مظلماً يتمثل في هيمنة الأقوياء على الضعفاء هيمنة اقتصادية وسياسية وثقافية،وهذا الأمريحتم على النظام التعليمي أن تكون الخبرات التعليمية فيه مشتملة على القيم الكونية، ومعززة القيم الإنسانية، بغية فهم الذات والآخر والتحاور مع ثقافة الغير ، في أجواء يسود فيها احترام كرامة الإنسان، ويقدر فيها التنوع الثقافي والتعدد اللغوي إغناء لمسيرة الحضارة الإنسانية.

---

(١) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي – تقرير التنمية البشرية في العالم لعام ٢٠٠٣.

ثانياً- الواقع الراهن

من يلق نظرة على واقع نظام التعليم العربي يجد أنه على الرغم من غلبة الكم فيه على النوع عاجز عن أن يستوعب جميع الأطفال ممن هم في سن المدرسة، إذ ما تزال نسبة التسجيل الإجمالي الخام في هذه المرحلة أقل من ٩٥٪ في عدد من الدول العربية، وما يزال ثمانية ملايين طفل عربي غير مسجلين في المدرسة. ويرجع السبب إلى تزايد السكان من جهة وتزايد الطلب الاجتماعي على التعليم من جهة أخرى مما يجعل معظم القيادات التربوية في الدول العربية تفقد القدرة على توجيه الشأن التربوي أمام الواقع الذي يفرض نفسه، فتغدو أمام الأفواج المتدافعة من الأطفال في موقف المنفعل الراضخ لا في موقف الفاعل الموجه(٢).

وتسهم الأمية في الوطن العربي في الفقد التربوي ، إن من حيث عدم إلحاق نسبة من الأطفال بالمدرسة ، وإن من حيث التسرب من المدرسة وعدم إدراك النتائج السلبية لهذا التسرب على التنمية.

ومن الملاحظ أن مخرجات نظام التعليم العربي ليست على المستوى المطلوب والنوعية المرغوب فيها، وأن ثمة بوناً بين الأهداف المرسومة والنتائج المتوصل إليها، وعلى الرغم من الإنفاق الكبير على التعليم فإن المجتمع لم يلمس آثاره التي كان يتوقعها في الإنتاج والتنمية الشاملة.

ولعل خير شاهد على عجز كثير من النظم التعليمية العربية ما نشهده في معظم الدول العربية من بطالة لدى المتخرجين تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، ومن هجرة للمثقفين بلغت مستويات خطرة ومريرة،وهذا الأمر يدل على أن النظام التعليمي العربي لم يفعل إلا القليل لمكافحة ظاهرتي البطالة والهجرة لدى المتخرجين. وبدلاً

(٢) الدكتور عبد الله عبد الدايم- بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٩٣ ص١٠.

من أن يعيد النظر في مناهجه وأقسامه واختصاصاته لتلائم حاجات السوق المتجددة خضع في معظم الأحيان للضغط الاجتماعي، وعجز عن توليد بنى تعليمية جديدة فيها من المرونة والتشعيب وتنويع الاختصاصات وتجديدها والتدريب المستمر ومشاركة مؤسسات العمل وسوى ذلك ما يجعلها أقدر على تكوين متعلمين يملكون المهارات التي تؤهلهم لجذبهم إلى سوق العمل، فضلاً عن فقدان الارتباط غالباً بين الخطط التربوية وخطط القوى العاملة، وهذا ما يجعل الصلة شبه مفقودة بين الحاجات الحالية والحاجات المقبلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وبين التوسع القريب والبعيد للنظام التعليمي[٣].

وإذا انتقلنا إلى الجانب النوعي في التربية العربية فإننا نلاحظ الاضطراب في الفلسفة التربوية العربية، ولم يتحقق الهدف الأساسي من التخطيط التربوي الذي يجعل التربية توظيفاً مثمراً للأموال التي تنفق عليها بدلاً من غلبة طابع الخدمة الاستهلاكية عليها. ومن الملاحظ أيضاً البطء الشديد في مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، والاستجابة لمتطلباته من جهة ولمقتضيات سوق العمل وحاجات التنمية من جهة أخرى. يضاف إلى ذلك جمود الإدارات التربوية والتفاتها إلى تسيير الأمور ،لا إلى التطوير في الأعم الأغلب، وتقصيرها عن مواجهة حاجات المستقبل التربوي والاستجابة للتربية المستمرة. وثمة قصور في مناهج إعداد المعلمين وتدريبهم وغلبة النمطية والتكرار عليها، وافتقار مؤسسات الإعداد والتدريب للبحث والتجريب التربوي.

ولو أخذنا دراسة حالة عن واقع النظام التعليمي العربي، ولتكن تلك الحالة الواقع التربوي في سورية، فإننا نلاحظ أن سورية قطعت خطوات إيجابية في

(٣) الدكتور سعد الدين إبراهيم- تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين- منتدى الفكر العربي – عمان ص٨.

مسيرتها التربوية، **ومن هذه الأمور الإيجابية:**

١- **تطبيق التعليم الأساسي بحيث تم دمج المرحلتين الابتدائية والإعدادية في مرحلة واحدة هي مرحلة التعليم الأساسي**، وهي مرحلة إلزامية ومجانية تمتد من الصف الأول حتى الصف التاسع، وتعلّم فيها أساسيات المعرفة ومفاتيحها بغية إكساب المتعلمين الخبرات والاتجاهات والمواقف الملائمة للحياة والتفاعل مع المجتمع بصورة إيجابية وفعالة. وتطبيق هذا التعليم بصورة إلزامية ومجانية يحول دون التسرب ويسدُّ منابع الأمية، إذ إن نسبة التسرب بين المرحلتين الابتدائية والإعدادية كانت تصل من قبلُ إلى ٢٢٪ في بعض المحافظات الشمالية والشرقية وخاصة بين الإناث.

٢- **ارتفاع نسبة الالتحاق في الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي وزيادة عدد المدارس والتلاميذ والهيئة التعليمية**: تشير إحصاءات وزارة التربية إلى أن نسبة القبول أو الالتحاق في الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي بلغت ٩٩,٥٪ من إجمالي الأطفال في هذا الصف وذلك في العامين الدراسيين ٢٠٠٩ و٢٠١٠، وكانت هذه النسبة ٩٩٪ في الأعوام ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ و٢٠٠٨. وأن عدد المدارس في التعليم الأساسي كان ١٥٦٩٣ مدرسة في العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ وارتفع هذا العدد إلى ١٧١٢٠ مدرسة في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠، وأن عدد التلاميذ كان ٤.٢٩٧.٥٨٠ في العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ فارتفع إلى ٤.٦٦١.٨٧٢ في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠، كما أن عدد أعضاء الهيئة التعليمية ارتفع من ٢٢٥٩٠٤ عام ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ إلى ٢٧١.٧٨٢ معلماً ومعلمة في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠.

ومن الملاحظ أن عدد التلاميذ يتزايد بمعدل نمو سنوي مقداره ٢٪ وأن عدد المدارس يتزايد بمعدل نمو مقداره ٢,٤٪، وأن عدد أعداد الهيئة التعليمية يتزايد بمعدل نمو مقداره ٥,٤٪. وارتفعت نسبة التسجيل الصافي من ٩٢٪ عام ٢٠٠٦ إلى

٩٧٪ عام ٢٠١٠، وهذا يدل على أن سورية قطعت شوطاً في تأمين التعليم للجميع. كما ارتفع معدل الوصول إلى الصف الخامس من ٩١٪ عام ٢٠٠٦ إلى ٩٥٪ عام ٢٠١٠.

٣- **الاهتمام بالطفولة المبكرة والتوسع في افتتاح رياض الأطفال**: بعد أن ازداد الوعي بأهمية هذه المرحلة في التكوين المستقبلي للناشئة وتحصيلهم الدراسي في المراحل اللاحقة، بلغت نسبة التسجيل في رياض الأطفال ١٢٪ من مجموع الأطفال في هذه الفئة العمرية. وقد توزع أطفال الرياض على الرياض الرسمية التابعة لوزارة التربية، والرياض التابعة للقطاع الخاص، والرياض التابعة لنقابة المعلمين والتابعة للاتحاد النسائي. وثمة وزارات أخرى فيها بعض الرياض إلا أن القطاع الخاص ما يزال هو المسيطر، ولكن وزارة التربية عملت في السنوات الأخيرة على افتتاح عشرات الرياض سعياً منها إلى زيادة عدد الأطفال المنتسبين إليها بعد أن كانت هذه المرحلة مهملة من قبلُ في نظامنا التربوي، وتجدر الإشارة إلى أن نسبة الأطفال المسجلين برياض الأطفال التابعة لوزارة التربية ونقابة المعلمين قد ارتفعت من ٩٪ إلى ١٧٪ ومن ٢٪ إلى ١١٪ في الرياض التابعة لوزارة التربية فقط، وتعمل الوزارة على افتتاح ١٠٠ روضة كل عام في ضوء الإمكانات المتاحة.

٤- **ارتفاع النمو في المرحلة الثانوية والجامعية**: تزايد عدد المدارس في المرحلة الثانوية من ١٤٩٧ مدرسة في العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ إلى ١٨٢٠ مدرسة في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠ بمعدل نمو قدره ٦٪ وتزايد عدد الطلاب من ٣٣٢٦٥٩ في العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ إلى ٣٩٢٩٦٠ طالباً في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠ بمعدل نمو قدره ٤,٧٪، وازداد عدد أعضاء الهيئة التدريسية من ٣٧٧٧٥ مدرساً في العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ إلى ٤٨٩٢٦ مدرساً في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠ بمعدل نمو قدره ٥,٢٪. ولم يقتصر

النمو على المرحلة الثانوية، وإنما امتد إلى التعليم الجامعي من حيث عدد الجامعات والاختصاصات وعدد الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات، وبعد أن كانت الجامعات الرسمية مقتصرة على أربع جامعات في دمشق وحلب وحمص واللاذقية، افُتتحت جامعات جديدة وكليات جديدة واختصاصات جديدة تتبع لهذه الجامعات في عدد من المحافظات.

٥- **زيادة عدد الإناث اللواتي يقبلن على التعليم في الجامعات:** لم تكن زيادة عدد الإناث المقبلات على التعليم مقتصرة على مرحلة معينة، وإنما كانت تشمل جميع المراحل ، إن في التعليم العام أو الجامعي، فقد تزايدت نسبة إقبال الطالبات على الجامعة خلال المدة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٤ من ٥٨٪ إلى ٨٨٪ وفي معظم التخصصات الجامعية، حتى إن بعض التخصصات زادت فيها نسبة الطالبات على نسبة الطلاب، وذلك في كليات «الآداب، التربية، الفنون الجميلة، الصيدلة».

وبلغت نسبة الطالبات الملتحقات بالجامعات السورية ٤٣,٥٪ عام ٢٠٠٠ فارتفعت إلى ٤٩,٧٪ عام ٢٠٠٦، وزادت نسبة الإناث على الذكور في كل من جامعة دمشق وجامعة البعث وجامعة تشرين، حيث بلغت في جامعة دمشق ٥٠,٤٪ وفي البعث ٥٥,١٪ وفي تشرين ٥٧,١٪.

٦- **الاهتمام بالبناء المدرسي:** كانت نسبة من المباني المدرسية في المحافظات الشمالية الشرقية طينية لا تتوفر فيها مواصفات البناء الصحي ، فضلاً عن أدنى متطلبات المبنى المدرسي الملائم، فاتجه الاهتمام إلى الربط بين البناء والوظيفة، أي بين البناء والأنشطة التي يتوقع أن تجري داخله. ومن أهم التغيرات في البناء المدرسي اللجوء إلى استخدام التقنيات الحديثة من معلوماتية وتربوية كما في التعليم عن بعد، والتعليم المتعدد الوسائل.

٧- **الاهتمام بالتعليم الخاص**: شهد التعليم الخاص تطوراً في التعليم العام وفي التعليم الجامعي، حيث ارتفعت نسبة مدارس التعليم الخاص في التعليم الأساسي من ٢٪ إلى ٢,٤٪ بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٩، كما ارتفعت نسبة عدد الجامعات الخاصة التي تستوعب نسبة من الطلاب الحائزين الشهادةَ الثانوية فتخفف العبء عن الجامعات الرسمية. وقد صدرت المراسيم الخاصة بقانون المدارس الخاصة والجامعات الخاصة ، وهي ترمي إلى مشاركة القطاع الخاص في تحمل أعباء التربية إلى جانب القطاع الرسمي.

٨- **إقامة المجمعات التربوية في المناطق** تعزيزاً للاتصال بالميدان التربوي، وتيسيراً لأمور العاملين في هذا المجال.

وتلك هي إشارات إلى بعض الأمور الإيجابية التي تمت في المجال الكمي. أما ما تمّ في المجال النوعي فقد تمثل في تحديث المناهج التربوية وتخليصها من الحشو والتكرار واعتماد مبدأ التجريب قبل التعميم ورفع مستوى تأهيل المعلمين وتدريبهم ، بعد أن لوحظ أن تأهيل المعلمين في دور المعلمين والمعاهد المتوسطة لم يعد كافياً، فتوجه الاهتمام في ضوء المشروع الوطني للتطوير التربوي إلى أن يكون تأهيل المعلمين كافة على المستوى الجامعي، فأوفدت وزارة التربية كوكبة من حاملي الشهادة الثانوية المتفوقين إلى كليات التربية للحصول على إجازة تربوية تعليمية، ووفرت من خلال التعليم المفتوح لحاملي أهلية التعليم الابتدائي والمعاهد المتوسطة الانتساب إلى الجامعات للحصول على الإجازة الجامعية، ونسقت مع وزارة التعليم العالي عملية حصول المدرسين القائمين على رأس عملهم على دبلوم التأهيل التربوي بطريق التعليم عن بعد، وهذا كله إضافةً إلى دورات التدريب المستمر التي تقيمها الوزارة وتستقطب لها الخبراء.

وثمة حزمة من المشروعات التربوية النوعية سعت وزارة التربية إلى تنفيذها في خطتها الحالية، ومن هذه المشروعات:

١- مشروع المعايير الوطنية للمناهج المدرسية.

٢- مشروع تطوير التعليم المهني والتقني.

٣- مشروع تعميق التأهيل التربوي للمعلمين.

٤- مشروع التأهيل التربوي للمدرسين عبر التعليم الشبكي ، بالتعاون مع الجامعة الافتراضية.

٥- مشروع تنظيم المؤسسات التعليمية الخاصة.

٦- مشروع رياض الأطفال.

٧- مشروع القناة التربوية السورية.

٨- مشروع المؤسسة العامة للطباعة.

٩- مشروع مدارس البادية.

١٠- مشروع المركز الوطني للطلاب المتميزين.

١١- مشروع استثمار تقانة المعلوماتية في التعليم والإدارة التربوية.

١٢- مشروع تمهين التعليم.

١٣- مشروع تطوير الامتحانات.

١٤-مشروع التأهيل والتدريب في مجال الطفولة المبكرة (مركز تنمية الطفولة المبكرة).

وتجدر الإشارة إلى أن وزارة التربية كانت قد أدخلت وظيفة الإرشاد النفسي والاجتماعي إلى المدارس ،تجسيراً للهوة بين المدرسة والأسرة وحلاً للمشكلات التي يعانيها الطلاب والطالبات في مرحلة المراهقة ، ومشكلات سوء التكيف في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي ، مساعدةً للأهل على

تجاوزها، وتحقيقاً للصحة النفسية.

كما أدخلت الوزارة تعليم اللغتين الإنجليزية والفرنسية إجباريتين في التعليم العام، الإنجليزية بدءاً من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي والفرنسية بدءاً من الصف السابع، ذلك لأن طبيعة العصر تستلزم إتقان أكثر من لغة أجنبية إلى جانب إتقان اللغة الأم «العربية الفصيحة».

أما **جوانب القصور** في النظام التربوي في سورية فيتمثل بعضها في:

٩- **إخفاق السياسات التربوية الرامية إلى توفير فرص التعليم للجميع في تحقيق أهدافها** حتى في مجال التوسع الكمي، فما يزال ثمة تفاوت في نسب الاستيعاب في الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي بين البنين والبنات، إذ بلغت نسبة استيعاب البنين ٥١,٣٪ في العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ ونسبة استيعاب البنات ٤٨,٧٪. كما أن نسبة التلاميذ الذكور في مرحلة التعليم الأساسي كلها ٥٢,٠٥٪ ونسبة الإناث ٤٧,٩٤٪، وما تزال الهوة بين عدد البنين والبنات في مراحل التعليم العام قبل الجامعي واضحة جلية في محافظات الرقة والحسكة ودير الزور وإدلب.

وإذا كانت نسبة التحاق الأطفال بالمدرسة قد ارتفعت ، فما تزال شريحة من الأطفال لم تلتحق بالمدرسة تصل نسبتها إلى ٦,١٪ من مجموع أطفال الفئة العمرية لمرحلة التعليم الأساسي. وثمة انخفاض متزايد للقيد الصافي في التعليم الثانوي ، حيث تشير الإحصاءات إلى أن تقديرات أعداد السكان من الفئة العمرية (بداية ١٥ سنة ونهاية ١٧ سنة) التي تقابل مرحلة التعليم الثانوي بلغت نسبة الالتحاق ٣٢,١٥٪ من أفراد الفئة العمرية لهذه المرحلة، ونسبة التحاق الذكور ٣٣٪ ونسبة التحاق الإناث ٣١,٢٢٪، وهي نسبة منخفضة.

وثمة تفاوت بين الملتحقين بالتعليم الثانوي العام والملتحقين بالتعليم الثانوي المهني تصل نسبته إلى ٣٠٪ لمصلحة الأول، ويعود ذلك إلى عدة عوامل منها أن نسبة الملتحقين بالتعليم الجامعي ممن درسوا التعليم المهني نسبة ضئيلة جداً في ضوء الأنظمة تصل إلى ٣٪ كما أن استيعاب المتخرجين في سوق العمل ضئيلة هي الأخرى. مع أن الدولة قد وفرت مجانية التعليم الثانوي فإن معدلات الالتحاق ما تزال ضعيفة فهي في حدود ٣٢٪.

وفي التعليم الجامعي ما يزال أقل من نصف الناجحين في الشهادة الثانوية العامة هم الذين يلتحقون بالتعليم العالي.

وهكذا نلاحظ أنه مع كل السياسات التي هدفت إلى توفير فرص التعليم للجميع فإن هذه السياسات ظلت قاصرة عن تحقيق أهدافها حتى في مجال التوسع الكمي.

١ – **الفقد التربوي**: بلغ مجموع الأطفال المتسربين والمتخلفين عن الالتحاق بالمدارس في التعليم الأساسي ١١٨٦٢٢ طفلاً وطفلة، منهم ٧١٤٩٩ بنون بنسبة ٦٢,٧٪ و٤٧١٢٣ بنات بنسبة ٣٧,٣٪. وترتفع هذه النسبة في المحافظات الشمالية الشرقية: وبلغ عدد التلاميذ المتسربين في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠ في التعليم الأساسي الرسمي ١٥٩،٧٦٠ بنسبة إجمالية قدرها ٣,٦٪ منهم ١١٣،٨٠٤ تلميذاً وتلميذة تسرب قديم أي ما يعادل نسبة ٧١٪ من إجمالي المتسربين. وتختلف نسبة التسرب بين محافظة وأخرى، فقد ارتفعت إلى ٩٢٪ في ريف دمشق وانخفضت إلى ٤٦٪ في محافظة حمص، في حين أن عدد التلاميذ المتسربين حديثاً ٤٥,٩٥٦ تلميذاً وتلميذة بنسبة ٢٩٪ من إجمالي المتسربين، وقد بلغت ٥٤٪ في محافظة حمص وانخفضت إلى ٨٪ في محافظة ريف دمشق، وهذا

يدل على أن التسرب القديم يساوي ثلثي عدد المتسربين. ويقصد بالتسرب القديم عدم التحاق الطفل الملزم بالمدرسة خلال الأعوام السابقة. أما التسرب الحديث فهو عدم التحاقه بالمدرسة خلال العام الذي جمعت فيه البيانات الإحصائية.

أما المتسربون من الصفوف بعد التحاقهم بالمدرسة فهو كبير في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي ، وخاصة في الصف السابع، حيث بلغ عدد التلاميذ المتسربين ٥٩,٨٦٦ تلميذاً وتلميذة في العام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠ ونسبة التسرب ١٣,٤٪، ويليه الصف التاسع إذ بلغ عدد المتسربين منه ٣٠،٦٧٢ تلميذاً وتلميذة ونسبة التسرب ٨,٥٪ ومن ثم الصف الثامن إذ بلغ عدد المتسربين ٢٢٦٩٣ تلميذاً وتلميذة ونسبة التسرب ٦,٦٪، وتكون أقل في الصفين الخامس والسادس، في حين نلاحظ أن نسبة التسرب في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي أقل منها في الحلقة الثانية ، إذ بلغت في الصف الأول ٣,٧٤٩٪ وفي الصف الثاني ٤,٢٨٧ ٪ وفي الصف الرابع وصلت إلى ٧,٠٤٢٪. ويعود السبب في ازدياد نسبة التسرب في الحلقة الثانية عنها في الحلقة الأولى إلى عزوف بعض التلاميذ عن التعليم ، والتحاقهم بسوق العمل ، ووجود أعداد كبيرة من الراسبين في الصف التاسع ، وإلى هيمنة بعض أنماط التفكير السلبية لدى فئة من أولياء الأمور ، ترى أن مكان البنات في بيوتهن عندما يبلغن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من أعمارهن.

وعلى الرغم من تطبيق التعليم الأساسي منذ العام الدراسي ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣ ما تزال نسبة من الأطفال لم تلتحق بالمدرسة، وما تزال نسبة التسرب غير مرضية ، وهي

لدى الإناث أكثر منها لدى الذكور، وتصل إلى ٢٢٪ في بعض المحافظات.

ويرجع هذا التسرب إلى أسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية، إذ إن التقاليد الاجتماعية في بعض المحافظات وخاصة في الريف تحول دون متابعة الفتاة لتعليمها.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها وزارتا التربية والثقافة، بالتعاون مع اليونسيف ، لإعادة الفتيات المتسربات في المحافظات الشمالية الشرقية إلى المدرسة لتعليمهن، وعلى الرغم من افتتاح بعض المدارس الداخلية لتعليم البدو في عدد من المحافظات «دير الزور، ريف دمشق، حمص، الرقة، حماه»، ومن افتتاح بعض المدارس المتنقلة لتعليم بنات البدو الرحل وأبنائهم واعتماد العام الدراسي المنزلق، فإن هذه الجهود كافة لم تكن كافية لتحقيق الأهداف المرسومة لاستيعاب الجميع في مرحلة التعليم الأساسي والحؤول دون التسرب حتى نهايتها.

وتجدر الإشارة إلى أن تطبيق التعليم الأساسي ومد مدة الإلزام حتى الصف التاسع خفف من حدة التسرب، إذ إن نسبة الذين يصلون إلى الصف السادس كانت متفاوتة بين محافظة وأخرى كما تشير إلى ذلك إحصاءات وزارة التربية، فقد وصلت إلى ١٠٠٪ في محافظات «اللاذقية، طرطوس، السويداء»، ولكن ثمة محافظات ما تزال النسبة فيها متدنية مثل محافظة حلب ٧٦٪ والرقة ٨٢٪ والحسكة ٨٥٪، وما تزال هذه النسبة عند الإناث أقل منها عند الذكور في عدد من المحافظات.

وتشير البيانات الإحصائية إلى أن نسبة الملمين بالقراءة والكتابة لدى أفراد الفئة العمرية (١٥-٢٥) في عام ٢٠٠٤ متدنية في محافظات المناطق الشرقية

وريف حلب، فقد وصلت هذه النسبة في محافظة دير الزور إلى ٧٨,٣٪ لمجموع الذكور والإناث، وإلى ٧٠,٤٪ فقط للإناث، وفي ريف حلب تصل هذه النسبة إلى ٨٥,٥٪ لمجموع الذكور والإناث وإلى ٨٠,١٪ للإناث فقط.

ويعود السبب في تدني هذه النسبة إلى سيطرة العادات والتقاليد التي ترى أن الفتاة يكفيها أن تكون ملمة بالقراءة والكتابة، وإلى انتشار ظاهرة الزواج المبكر، وإلى الحاجة إلى عمل الفتاة في الأراضي الزراعية بسبب الفقر، لاسيما في أيام المواسم الزراعية التي يتخللها العام الدراسي خاصة في المناطق الريفية.

ومن الثغرات في النظام التربوي نسبة الفقد المرتفعة في التعليم المهني، إذ إن نسبة الفاقد في الصف الأول الثانوي المهني تصل إلى ٤٥,٩٪، فقد كان عدد الطلاب المسجلين في الصف الأول الثانوي المهني هو ٤٦٨٩٧ من أصل / ٧٩٧٣٧/ طالباً مقبولاً في هذا الصف من الناجحين في شهادة التعليم الأساسي، مما يعني أن هناك فاقداً مباشراً قدره / ٣٢٨٥٨/ طالباً لم يقوموا بالتسجيل أساساً، وتشكل نسبة ٤١,٢٪ من إجمالي عدد الطلاب المقبولين، هذا إضافةً إلى نسب التسرب المبكر الذي يتمثل في الدوام الجزئي أو بعدم الالتحاق بعد التسجيل الرسمي ، والذي يصل إلى ٣٨٠٩ طلاب مسجلين لم يلتحقوا أو تسربوا، وبالإجمال يكون عدد غير الملتحقين فعلياً بسبب عدم التسجيل أصلاً أو عدم الالتحاق والتسرب بعد التسجيل (٣٦٦٦٧) طالباً أي ما نسبته ٤٥,٩٪.

وتجدر الإشارة إلى أن وزارة التربية استطاعت تحقيق زيادة في الالتحاق بالتعليم المهني من ٤١٪ في بداية الخطة الخمسية العاشرة إلى ٤٥٪ في السنة الأخيرة منها، وازداد إقبال الطلاب ازدياداً ملحوظاً إلى مهنة الغزل ،لأنها مهنة جديدة ومطبقة في ثلاثة مواقع، ولكن كان ثمة انخفاض نسبة طلاب مهنة الكهرباء وإلكترون المَرْكبات بسبب قلة عدد المواقع ، حيث إن مواقع هذه المهنة أربعة فقط (دمشق، ريف دمشق، حلب، حما ة)، وكان ثمة تراجع في مهنة النجارة و لَحْم المعادن وتشكيلها ، بسبب إقبال الطلاب على التسجيل في مهن المعلوماتية الجديدة ومهنة التجهيزات الطبية، وكذلك الأمر في قلة إقبال الطلاب على مهنة الآلات والمعدات الزراعية بسبب عدم قبول خريجي هذه المهنة بالتطوع في الكليات العسكرية. وتدل الإحصاءات أيضاً على ازدياد عدد الطلاب في المهن الجديدة ، لاسيما تقنيات الحاسوب والشبكات الحاسوبية وأنظمة وتشغيل البرمجة والتقنيات الإلكترونية وصيانة الأجهزة الطبية وذلك بسبب كونها مهناً محدثة حديثاً.

وانخفض إقبال الطالبات على التعليم الثانوي المهني التجاري، كما انخفض عدد الطالبات الملتحقات بالتعليم الثانوي النسوي والتعليم الثانوي المهني الصناعي، وكان عدد الطالبات الملتحقات بتقنيات الحاسوب قليلاً بالنسبة إلى عدد الطلاب في جميع المحافظات.

ولم يكن الفقد التربوي مقتصراً على تلك الشريحة التي لم تلتحق بالتعليم الأساسي من الأطفال، ولا على المتسربين من المدارس في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي العام والمهني، ولا على الراسبين الذين يعيدون صفوفهم،

وإنما يمتد الفقد التربوي إلى عدم تحقيق الأهداف المرسومة للتعليم في بناء أطر قادرة وكَفِيَّة تسهم في عملية التنمية إسهاماً إيجابياً وفعالاً.

٢-الإخفاق في تكوين المهارات والكفايات المرغوب فيها لدى المتخرجين في سوق العمل: إذ إن مخرجات التعليم ، إن في التعليم ما قبل الجامعي أو في التعليم الجامعي ليست على الصورة المرجوة، وإذا كانت أعمدة الحياة في القرن الحادي والعشرين تقوم على أربع ركائز كما أشار إلى ذلك جاك ديلور في كتابه الصادر عن اليونسكو وعنوانه «التعلم ذلك الكنز المكنون»، وهذه الركائز هي: تعلَّم لتعرف – تعلَّم لتكون – تعلَّم لتعمل – تعلَّم لتعيش وتتعايش مع الآخرين.

فإن نظامنا التعليمي لا يتعامل في الأعم الأغلب إلا تعاملاً جزئياً مع ركيزة واحدة وهي تعلّم لتعرف.

ويرجع هذا الإخفاق إلى التلكؤ في توظيف التقانة في أركان المنظومة التربوية ، وإلى القصور في إكساب ناشئتنا مهارات التعلم الذاتي والتعلم المستمر والتعلم التأملي والتعلم الإبداعي..الخ. وهذه المهارات والكفايات التي تكونها هذه الأنواع من التعلم هي التي تحتاج إليها عملية التنمية ويستلزمها العصر.

وثمة من أشار إلى أن سورية تشهد في مرحلة التحول إلى نظام اقتصاد السوق الاجتماعي انفتاحاً اقتصادياً كبيراً، وأصبح في السوق السورية عشرات المصارف الخاصة، وشركات ومؤسسات تموين، وانطلق سوق الأوراق المالية في دمشق، إلا أن الاعتماد في هذه الجهات كان في الأعم الأغلب على الخبرات

والأطر الأجنبية لا على الأطر الوطنية.

وأرجع بعضهم السبب إلى قدم المناهج التعليمية الوطنية وجمودها وعدم قدرتها على مواكبة التطور الحاصل في نوعية الأعمال الجديدة، وأن الجامعات السورية تركز على المعلومات لا على المهارات، ويرون أن المشكلة تكمن في الجزء الأكبر في مناهج التعليم التي تعدُّ الخريجين نظرياً فقط، ولا علاقة لهم بسوق العمل ، نظراً لأن هذه المناهج تعتمد اعتماداً كبيراً على الذاكرة، ولا تعتمد على التدريب العملي والمهني.

ولقد أدى فقدان التنسيق بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل إلى بطالة تجلّت في الواقع الراهن بصورة واضحة إذ إن شريحة من الخريجين بقيت دون عمل، كما أن القطاع الخاص يرمي إلى استقطاب خريجين جاهزين وقادرين على العطاء والإنتاج لا إلى خريجين يكونون عالة عليه ويحتاجون إلى التأهيل وإعادة التأهيل، وهذا ما دفع مؤسسات القطاع الخاص إلى الاستعانة بأيدٍ عاملة غير سورية لسد احتياجات سوق العمل، إذ إن ثمة مهارات يتطلبها سوق العمل بسبب انتشار تقنية المعلومات والابتكارات المؤسسية ذات الصلة بهذه الطبيعة، إضافة إلى عولمة التجارة الدولية والتحولات في البنية المهنية ضمن قطاعات الصناعة وزيادة الاحتياجات التعليمية في الكثير من المجالات المهنية.

وإن الافتقار إلى المهارات التي يحتاج إليها الاقتصاد ، القائم على المعرفة والمعولم والموجه توجيهاً تقانياً (تكنولوجيا) ، بسبب انخفاض جودة التعليم،

ذلك كله أدى إلى عدم التوافق بين مهارات المواطنين الباحثين عن عمل ومتطلبات القطاع الخاص.

٣- تخلف المناهج عن الاستجابة لمتطلبات التنمية ومواكبة روح العصر: على الرغم من المحاولات الجادة لتطوير المناهج التربوية فإنها ما تزال قاصرة في بعض جوانبها عن استيعاب الحداثة العلمية، غير قادرة على الاستجابة الكافية لمتطلبات التنمية وحاجات المتعلمين وتنمية قدراتهم ، بسبب كمِّ المعارف النظرية وضَعف مساحة الجوانب التطبيقية والأنشطة ومستلزمات تنفيذها ،إن في داخل المدارس والمعاهد والجامعات ، أو في خارجها ولاسيما في المرحلتين الثانوية والجامعية، وما تزال الطرائق التقليدية التلقينية في التعليم هي السائدة برغم الجهود المبذولة لاعتماد التعلم الذاتي والتعلم التعاوني والتعلم الاستكشافي بسبب الكثافة العالية للطلاب في الشعب والصفوف، إضافةً إلى أن أساليب التقويم ما تزال قاصرة وتركز على قياس المستوى الأول من مستويات المعرفة في الأعم الأغلب ، ألا وهو مستوى الحفظ والتذكر والاسترجاع.

كما أن نصيب التربية المستقبلية في مناهجنا التربوية ما يزال أقل بكثير من نصيب التربية الماضوية، في حين أن النظم التربوية الناجعة هي التي تدرب أبناءها على الإفادة من الماضي في معالجة مشكلات الحاضر والتوجه إلى المستقبل، في ضوء تخطيط يرصد الاحتمالات المستقبلية ويدرب على مواجهة تحدياتها.

٤- القصور في البحث العلمي: إن مشكلات العملية التعليمية التعلمية ،إن في التعليم العام أو في التعليم الجامعي، لا تحل بطريق الاجتهادات الشخصية

والانطباعات الذاتية، وإنما يحتاج حلها إلى البحوث العلمية الجادة والأصلية. ومن الملاحظ غياب الخريطة البحثية التي تضع أيدينا على المشكلات مرتبة ترتيباً تنازلياً في ضوء حدتها وتفاقمها.

والبحوث العلمية التي تجري ،على ندرتها ، هي جزئية ومحدودة وهي بقصد الترقية في الأعم الأغلب، ولا توظف نتائج بحوث الدراسات العليا في تجاوز المشكلات.

ثالثاً- التحديات الرئيسة

إن نظامنا التعليمي يواجه تحديات، بعضها أساسي ورئيس، وبعضها أقل أثراً في هذه المواجهة من غيره. ومن التحديات الرئيسة والأساسية التي تبدت لنا في تعرف الواقع الراهن:

١- **القصور في جودة التعليم ونوعيته**: ذلك لأن التوسع الكمي الذي حصل في التعليم ما قبل الجامعي وفي التعليم الجامعي لم يوازه توسع نوعي يراعي جودة التعليم والاهتمام بكفايات مخرجاته لتناسب متطلبات التنمية وحاجات سوق العمل.

٢- **تحدي الفقد التربوي**: ويتمثل هذا الفقد في وجود نسبة من الأطفال لم تلتحق بالتعليم الأساسي، إذ ما يزالون خارج المدرسة، كما يتجلى في التسرب الحاصل من التعليم الأساسي والتعليم المهني. وإذا أضفنا إلى التسرب مشكلة الرسوب والإعادة وعدم تحقيق الأهداف في مخرجات المؤسسات التعليمية أدركنا الحجم الكبير للفقد التربوي الذي يشكل تحدياً كبيراً في المنظومة التربوية.

٣- **غياب التنسيق بين التخطيط للمنظومة التربوية والتخطيط لقطاع الاقتصاد ومتطلبات سوق العمل**: ذلك لأن غياب هذا التنسيق والتناغم بين النظام التربوي وسائر أنظمة المجتمع الأخرى يؤدي إلى الارتباك والفوضى والتعثر في تحقيق الأهداف المرسومة. ومن الملاحظ غياب الخطط التفصيلية للربط بين التعليم والتدريب وفرص العمل، وهذا ما أدى إلى الدفع بمخرجات ليس عليها طلبٌ في سوق العمل. كما أن ضعف استجابة نظام التعليم والتدريب المهني لحاجات سوق العمل أدى إلى عدم الملاءمة مع التحديات الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن غياب الدراسات المتعلقة بهيكلة الكفايات المطلوبة من مخرجات النظام التعليمي وعلاقتها بالحاجات الاقتصادية والاجتماعية(٤)

٤- **تخلف المناهج التعليمية عن مواكبة روح العصر**: لما كان العصر الذي نحيا تحت ظلاله هو عصر التفجر المعرفي والمعلوماتية والتقانة «التكنولوجيا» كان على المناهج التعليمية، إن في التعليم العام أو في التعليم الجامعي، أن تواكب روح هذا العصر المتطور والمتفجر معرفياً والمتغير في تطوراته. ويؤخذ على النظام التعليمي تخلفه في مواكبة التطورات المعرفية التقنية ، مما يجعل مخرجات التعليم عاجزة عن التوافق مع حاجات الإنتاج وسوق العمل من جهة، وعن ملاحقة التفجر المعرفي العالمي من جهة أخرى، وإن امتلاك ناصية العلوم والتقانة يحتاج إلى بناء منظومة متكاملة ومتناسقة للعلوم والتقانة مرتبطة بالمنظومات الأخرى

(٤) الدكتور سعيد الحلبي- التعليم وسوق العمل في سورية- مجلة المعلم العربي- العدد ٤٣٦ ربيع ٢٠١٠.

الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

ولم يكن التخلف في المناهج مقتصراً على المضمون وإنما هناك تخلف في طرائق التدريس التي تعتمد التلقين وتنأى عن المشاركة والحوار والتعلم التعاوني والذاتي وفريق العمل ، والاستعانة بالتقانة في إنجاز المشروعات، وما يزال أسلوب المحاضرة هو السائد في التعليم الجامعي في الأعم الأغلب، وما تزال طرائق التدريس تركز على المستويات المعرفية الدنيا ، ولا تركز على المهارات العقلية العليا من تعليل واستنتاج وموازنة وتحليل وتطبيق ونقد وتوظيف في مواقف الحياة.

ومن أكثر مكونات المنهج عصياناً على المواكبة أساليب الامتحانات والقياس والتقويم، إذ إنها لا تقيس في الأعم الأغلب ما وضعت له، وتغلب عليها التقليدية، وثمة جوانب من شخصية المعلم لا تتوجه إليها.

٥-القصور في مناهج إعداد المعلمين وتأهيلهم وتدريبهم المستمر:

إن الأهداف التربوية لا يمكن أن تتحقق إلا على أيدي معلمين مؤهلين يمتلكون المهارات والكفايات، ذلك لأن المعلمين هم حجر الأساس في العملية التعليمية التعلمية، فإذا كانوا مؤهلين تأهيلاً كافياً أمكنهم أن يتلافوا القصور في المناهج التربوية، وأن يسدوا الخلل الموجود فيها.

ومن الملاحظ أن ثمة شكوى من ضعف إعداد المعلمين وتأهيلهم، وأن ثمة هوة بين المعلومات والمعارف التي درسوها وبين ما يمارسونه في الميدان، إذ لم يدربوا في المعاهد والجامعات على الجوانب الوظيفية التي يحتاجون إليها في

مستقبل حياتهم المهنية،وهذا الأمر يتجلى سلباً في أداء طلابهم. وإذا أضفنا إلى ذلك أن برامج التدريب المستمر الذي يخضع له المعلمون متخلفةٌ هي الأخرى، محتوىً وطرائقَ وأساليبَ، ولا تواكب المستجدات المعاصرة من جهة ولا متطلبات الميدان من جهة أخرى، فإن كلَّ هذا يجعل إعداد المعلمين وتأهيلهم وتدريبهم المستمر من التحديات الأساسية التي يواجهها النظام التعليمي.

٦- **ضعف البحث العلمي**: وهو تحد رئيس، إذ إن أي تطوير للنظام التعليمي ينبغي له أن يعتمد على البحث العلمي والتجريب. وسبقت الإشارة إلى الخلل في إجراء البحوث العلمية فقراً وتوظيفاً لنتائجها، وعدم استنادها إلى خطة مستمدة من الواقع ومشكلاته.

توصيات ومقترحات

بعد أن تعرفنا أغلب مناحي الواقع التعليمي الراهن، وتم الوقوف على التحديات الرئيسة التي تكتنف هذا الواقع، يمكن تقديم عدد من التوصيات والمقترحات بغية الإسهام في حل هذه التحديات التي يواجهها النظام التعليمي، وتخطي الصعوبات الحائلة دون تحقيق الأهداف، ويمكن إجمال هذه التوصيات في الآتي:

١- **الربط الوثيق بين النظام التربوي ومتطلبات التنمية**: إذ إن التنمية تحتاج إلى أطر مهنية وفنية متوسطة وعالية، وعلى النظام التعليمي أن يوفر هذه الحاجات، وألا تكون في منأى عن حاجات سوق العمل، ويستلزم ذلك وضع استراتيجية للنظام التعليمي وخطة في ضوئها، وذلك بالتنسيق مع بقية الأنظمة في المجتمع في ضوء بيانات دقيقة عن واقع التعليم وحاجات سوق العمل، ذلك لأن نقص

البيانات الدقيقة يحول دون التخطيط الاستراتيجي السليم، وعلى أن يشارك القطاع الخاص والمجتمع الأهلي في وضع هذه الخطة، ويشارك أرباب سوق العمل في تحديد مخرجات العملية التعليمية التعلمية.

٢- **إيلاء نوعية التعليم الأهمية** بغية تخريج أطر كفية وقادرة على الإسهام في عملية التنمية بكل جدارة.

٣- **إنشاء هيئة لمراقبة الجودة التعليمية** غير خاضعة لسلطة وزارات التربية والتعليم العالي والشؤون الاجتماعية والعمل.

٤- **العمل على أن تكون المؤسسات التعليمية إن في التعليم العام أو الجامعي أكثر مرونة في مناهجها،** وأكثر قدرة على الاستجابة للمتغيرات والحاجات المستجدة في سوق العمل، ويتطلب ذلك تزويد مؤسسات التعليم العالي بكل البيانات والمعلومات الضرورية لتمكينها من فهمٍ أفضل لآليات سوق العمل وتحليل مجالات العمل الناشئة والاستعداد له ، لتتمكن من تزويد سوق العمل المتغير باستمرار ، بموارد بشرية متجددة تملك المرونة والقدرة على الإبداع والابتكار. وتجدر الإشارة إلى أن الاحتياجات الناشئة في السوق العالمية زادت الحاجة إلى تطوير فرص عمل جديدة في السوق للخريجين، وأدى ذلك في الوقت نفسه إلى الدعوة إلى إيجاد خريجين منتجين وجاهزين للعمل(٥).

٥- **مساهمة رجال الأعمال في تدعيم برامج التدريب للخريجين** من الجامعات بطريقة التعاون مع الجامعات في التدريب والتأهيل في أثناء الدراسة وبعدها، مع

(٥) مجلة الرابطة- مخرجات التعليم وسوق العمل- مكة المكرمة- العدد ٥٢٦ أبريل مايو ٢٠١٠ ص١٧.

ضرورة الاهتمام ببرامج إعادة التدريب، وإخضاع من هم على أساس العمل لِدورات تدريبية مستمرة بصورة إجبارية لا اختيارية.

٦- **تشجيع التعليم في مواقع العمل،** وتسهيل إعادة تدريب العاملين الذين يواجهون مشكلة تقادم المهارات، وتحفيز المدربين والمتدربين مادياً.

٧- **التوسع في افتتاح رياض الأطفال،** والعمل على تحسين البيئة التربوية فيها مبنىً وأنشطة وأطراً بشرية لأن الدراسات أثبتت أن ٨٠٪ من شخصية الإنسان إنما تتكون في السنوات الست الأولى من حياته، وأن لمرحلة الرياض أثراً كبيراً في المراحل الدراسية اللاحقة من حيث المستويات التحصيلية والبعد عن التسرب، وأن التوجه إلى أن تكون رياض الأطفال جزءاً من السلم التعليمي هو توجه في المسار الصحيح لابد من توفير مستلزماته في التوجه المستقبلي.

٨- **التوسع في التنمية المهنية للمعلمين كافة** وإعدادهم على المستوى الجامعي بحيث يؤهل المعلمون تأهيلاً علمياً وتربوياً في جميع الاختصاصات، والعمل على تفعيل دورات التدريب المستمر، على أن يفسح في المجال للمعلمين القائمين على رأس عملهم وغير الحائزين الشهاداتِ الجامعيةَ أن ينتسبوا إلى الجامعات بغية الحصول على الإجازات الجامعية، وأن يؤهلوا تربوياً ليكون أداؤهم في الميدان بالصورة المرغوب فيها.

٩- **تفعيل الرعاية الطلابية من صحية ونفسية وعقلية واجتماعية،** إذ إن وجود أطباء الصحة المدرسية والمرشدين النفسيين والاجتماعيين في المدارس يسهم أيما إسهام في توفير الصحة الجسمية والنفسية للمتعلمين، ومعالجة المشكلات التي

يعانونها ، نفسية كانت أو اجتماعية أو تربوية، كما أن توفير العناية بالمتفوقين وذوي المواهب وذوي الحاجات الخاصة من المعُوَّقين يسهم هو الآخر في الاستثمار الأمثل في العقول، وهو أفضل أنواع الاستثمار.

١٠- **التوسع في مجالات التعليم المهني والتدريب المهني** وتوفير مدخلات صحيحة لهذا النوع من التعليم لإعطاء مخرجات صحيحة، والعناية بالتربية المهنية في مختلف مراحل التعليم، وإيجاد مراكز للتوجه المهني في المدارس الثانوية والجامعات من مهامها توعية الطلاب بالتخصصات العلمية والمهنية التي يمكن أن توفر لهم عملاً مضموناً حال تخرجهم، وتعريفهم بفرص العمل التي تناسب تخصصاتهم بعد التخرج، والتنسيق مع الجهات المعنية لإقامة دورات عملية وبرامج تدريبية تؤهل للتخصصات ذات النسب العالية من الفرص الوظيفية.

١١- **الحؤول دون الفاقد التربوي من مرحلة التعليم الأساسي والفاقد التربوي من التعليم المهني**، ويستلزم ذلك إزالة التفاوت بين الجنسين في التعليم الأساسي وفي المراحل التالية، وتوفير المناخات الملائمة لتطبيق إلزامية التعليم، ووقف كل أشكال التسرب من مرحلة التعليم الأساسي وخاصة عند الإناث، وتفعيل قانون منع تشغيل الأطفال، وتوفير الأبنية المدرسية القريبة من سكن الأطفال، والإكثار من المدارس الداخلية للبدو، وتحسين أساليب التعليم جذباً للمتعلمين، ولتغدو المدرسة صديقة للمتعلم وبيئة جاذبة له في مناشطها وأساليبها وطرائقها، على أن توضع برامج خاصة لمعالجة مشكلات التسرب والتركيز على معالجة مشكلة تسرب الفتيات نظراً لانتشارها واتساعها وآثارها المضاعفة.

١٢ – وضع خطة وطنية للقضاء على الأمية خلال مدة محدودة وتوفير جميع مستلزمات نجاحها، ذلك لأن مسؤولية القضاء على الأمية مسؤولية جماعية ، على أن يعاد النظر في دوراتها من حيث المناهج ،كتباً وأدلةً للمعلمين وأساليبَ تدريس، ومن حيث الحوافز للمعلمين، وتوفير الأطر المؤهلة والمدربة للتعامل مع الأميين الكبار، والحوافز للملتحقين بدورات محو الأمية وخاصة لدى الإناث بغية دمجهم في عملية التنمية بصورة إيجابية وفعالة.

١٣ – الاستمرار في تحديث المناهج التربوية في ضوء الاتجاهات المعاصرة أهدافاً ومحتوى وكتباً وطرائق وتقنيات وأساليب ومناشط وتقويماً، على أن يركز في الأهداف على التعليم من أجل المواطَنَة والديمقراطية وحقوق الإنسان والتعلم مدى الحياة، وعلى أن يكون محتوى المناهج ملبياً لحاجات المتعلمين ومتطلبات المجتمع وسوق العمل في الوقت نفسه، وعاملاً على إكساب المتعلمين الكفايات والمهارات الحياتية والعملية ومهارات التعلم الذاتي، وأن يكون التركيز أيضاً على كلية المعرفة ووحدتها وتكاملها، وأن تكون المناهج ذات مرجعية عالمية، وتقوّم بمعايير دولية ومركزة على المستقبل، وتراعي الفروق الفردية، وتفسح في المجال لتعدد مصادر التعلم، ومتعددة الوسائط والتقنيات والقنوات من حيث استخدام الحواسيب والرزم التعليمية، وأن تستخدم الأساليب الفعالة لتنمية الإبداع، وتحترم الفروق الفردية، وتشجع على التفكير التأملي واتخاذ القرار، على أن يكون المعلم مرشداً وموجهاً وقدوة، ويتحول من ناقل للمعرفة هدفه القولبة، إلى محلل مشكلات تعليمية يكشف في طلابه مواطن التفوق والإبداع، ويزودهم بقواعد

التفكير العلمي وإثارة فضولهم وطموحاتهم، ويعلمهم كيف يفكرون، وكيف يتخيلون، وكيف يَتَحسَّبون المستقبلَ ، ويتخذون القرار، ويتكيفون مع التغير على حد تعبير «توفلر». على أن يجري تقويم المتعلمين باختبارات معيارية وبمعايير دولية للتحصيل الدراسي، ولا يمكن لناشئتنا أن يتكيفوا مع التغير إلا إذا أدركنا أبعاد هذا التغير، ودربناهم على منهجيات البحث في المستقبل ، وبوجه خاص فرض الفروض وتحليل السيناريوهات والتحسبات، والمفاضلة بين الأبدال، والتدرب على اتخاذ القرار، واستشعار الأزمة قبل وقوعها والإعداد لاحتوائها. ولقد ورد في الحكمة الهندية أن العقلاء يرون الأحداث قبل وقوعها، وأن الحمقى لا يرون الأحداث إلا ساعة وقوعها، وأن المجانين لا يرون الأحداث حتى بعد وقوعها.

ومن هنا كان التدريب على وضع السيناريوهات و الأبدال ورؤية الأحداث قبل وقوعها، والاستعداد لاحتوائها أمراً على درجة كبيرة من الأهمية في حياتنا المعاصرة، ذلك لأن الإنسان هو الذي يصنع المستقبل، فإذا لم يدرب على كيفية قراءة التاريخ قراءة واعية يستخلص منها الدروس والعبر، وكيف يفكر فيما يتعلم، وكيف يتخيل ويتصور الواقع الافتراضي، وكيف يتحاور مع الآخر حوار الند المشارك، وكيف يبتكر معرفة جديدة تؤهله لاستشراف المستقبل فإنه يبقى عاجزاً عن اللحاق بركب العصر والتهيؤ لمواجهة متغيراته ومستجداته.

١٤ – الاهتمام بالبحث التربوي و إرصاد الميزانيات الكافية له، على أن ترصد المشكلات التعليمية التعلمية في جميع المراحل بالأساليب التعليمية، وترتب ترتيباً تنازلياً في ضوء حدتها وتفاقمها، ويمكن التنسيق مع كليات التربية لأن

تكون هذه المشكلات موضوعاً لرسائل الماجستير والدكتوراه، على أن توظف نتائج البحوث المقدمة في معالجة المشكلات.

١٥-**تطوير واقع التعليم الخاص** ليضطلع بدوره إلى جانب التعليم الرسمي في مختلف مراحله، على أن توضع معايير تلتزم بها المدارس الخاصة والجامعات الخاصة من حيث مناهجها وأقسامها وشهاداتها واعتمادها، ليكون ذلك كله بإشراف وزارتي التربية والتعليم العالي إزالة للبلبلة الحاصلة، وعلى أن تكون اللغة العربية الفصيحة الأم هي اللغة المعتمدة في جميع مواد المعرفة، إضافة إلى مناهج إثرائية في العلوم والرياضيات تدرس باللغة الأجنبية إلى جانب اللغة الأم.

١٦-**التركيز على إكساب المتعلمين الكفايات والمهارات الضرورية للحياة وللتعلم مدى الحياة،** وأن يعتزوا بانتمائهم إلى وطنهم وأمتهم، ويتعلموا كيف يتعلمون ؟ وكيف يحافظون على هويتهم وذاتيتهم الثقافية وانتمائهم في عصر التغيرات المتلاحقة والتحولات السريعة والعولمة المهيمنة ؟ ثم كيف يفكرون ويمتلكون كفايات المبادرة وروح الابتكار، والكفايات السلوكية متمثلة في تنمية روح المسؤولية والاعتماد على النفس والتعاون مع الآخرين وتقبل النقد وممارسة النقد الذاتي في الوقت نفسه، والتحلي بالمرونة وقبول التغير استجابة لعصر يحكمه التغير المطرد والتحول السريع ؟

١٧-**الحرص الشديد من المسؤولين عن العملية التعليمية التعلمية على أن تكون مؤسساتنا التعليمية بيئات صديقة للمتعلمين جاذبة لهم في أنشطتها،** وأن تكون مرتبطة بالحياة والمجتمع من حولها ارتباطاً وثيقاً، تتنوع فيها مصادر المعرفة ومصادر التعلم، وتزود متعلميها بالمهارات التقنية التي تتطلبها طبيعة العصر،

عصر العلم والتقانة والمعلوماتية والشابكة والإنترنت، وتقدم فرصاً للتعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر، وتتعدد فيها المناهج المرنة والمراعية لحاجات المتعلمين، وتنأى بهم عن التلقين والحفظ والتعليم البنكي حتى تغدو مصنعاً للإبداع والابتكار والتفكير العلمي الناقد الموضوعي في الوقت الذي تكون فيه مصنعاً لقيم المواطنة والاعتزاز بالعروبة والقيم الإنسانية.

وظيفة التأثيل في الصناعة المعجمية العربية

د. أحمد عزوز(*)

يسعى البحث إلى تناول التأثيل في المعجمية العربية، ومعروف مقدار ما اهتمّ به العرب القدامى في التأليف المعجمي الشامل والمختصّ، إلاّ أنّنا لا نلفي تلك العناية دقيقة وجليَّة، ومشروعًا علميًّا عند الدارسين المحدثين.

ولعلّه من الأهمّية بمكان الإشارة في هذا المدخل إلى أسباب التركيز على المفردات في المجتمعات ولدى الشعوب. فهي بلا مريَّة مستودع أفكار ومعلومات، وحافظة عهود وعقود، ومسجّلة أحداث ووقائع وأيام.

وكلّ ذلك يدلّ على أنّ اللسان في الحقيقة هو ذلك الإنسان، في جوانبه الوجودية والروحية والعاطفية والانفعالية والاجتماعية.

كما أنّ المعجم هو وعاء الحضارات والمدنيَّات. وتُقاس اللغات بما تمتلكه من الرصيد المفرداتي الذي يشبه التوفيرَ المالي أو الذهب في البنوك، ومحلَّه من الاستثمار والتجارة والتداول بين أيدي الناس، ولذلك ليس عجيبًا أن يكون الاهتمام بهذا الاختصاص منذ القديم ولدى الشعوب المختلفة. وقد نبع اختيارنا لبحث التأثيل من أمور موضوعية عامّة وأخرى علمية خاصّة نذكر أهمّها:

أ- تعدّ صناعة المعجم العربي من أقدم الصناعات المعجمية، إذ كانت غزيرة كمًّا

(*) أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران.

وغنية نوعًا. وهي ميدان مهمّ من ميادين اللسانيات التطبيقية؛ وتنطلق مفاهيمها في أساسها الأوّل من الرصيد المعجمي.

فكلّ معرفة لغوية مادّتها الأوّلية هي مفردات اللغة. ومن ثمّ اجتهد الأوائل من العرب بوضع معاجم متنوّعة في مختلف العصور. وكان الغرض الأسمى – الذي طمحوا إليه – هو حماية لغة القرآن الكريم من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه، وكذا الحفاظ على الثروة المفرداتية من الفساد؛ بَلْهَ من الضياع، فمرّ التأليف المعجمي بأطوار مختلفة فتعدّدت مدارسه وتمايزت مناهجه.

ب- كما يُعتبر العمل المعجمي العربي من أهمّ الأعمال اللغوية التي تحفظ وجه الأمّة العربية إذ كانت لها اليد الطولى، فطوت مفرداتها بين صفحاتها لتبقى خالدة على مرّ الدهور، فتسجّل مكوّنات خطاباتها المختلفة، وعاداتها وتقاليدها وكانت وعاءها الحضاري والتاريخي.

وفي ضوء هذه الأُسس والأهمّية لوظيفة المعجم في الحياة الإنسانية، نجمل إشكالية البحث في الآتي:

– هل تستطيع المعجمية العربية المعاصرة أن تُؤرخ لأصول المفردات في اللغة العربية؛ وملاحظة تطور دلالاتها، وفهم مراحل حياة المجتمع العربي؟ وكيف يتمّ لها ذلك؟ فهل بالاستعانة بالإشارات التأثيلية التي اعتمدها الدرس المعجمي القديم فقط وتدوينها؛ أم بإضافة ما يستجدّ من فلسفة ومنهجية وتقنية وما تتطلّبه حاجات العصر وضروراته ؟

ومن هنا تسعى فرضية البحث إلى تحليل التأثيل؛ انطلاقًا من الرؤية التقنية والموضوعية، والإشارة إلى الاجتهادات، وما يمكن أن تضيفه إلى الدرس المعجمي، سواء في جانبه المعرفي أو المنهجي.

١ - أسباب عدم الاهتمام الكلي بالتأثيل

ومن المفيد ذكر بعض العوامل التي حالت دون العناية الكافية والشافية بمجال وموضوع التأثيل في التراث العربي، والتي يمكن إبراز منها يلي:

أ – اعتزاز المعجميين العرب بعبقرية اللسان العربي من حيث الثراء المفرداتي – وهو أمر طبيعي لدى الأمّة ، وتعدّد آليات التوليد والاشتقاق وتنوعها؛ ممّا ولّد عزوفًا عن الاهتمام بألسنة الأمم الأخرى، والقرآن يذكر:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [يوسف: ٢].

ب – وقلّة الألفاظ الأعجمية في اللسان العربي إذ لم يتجاوز عددها ٢٥١٥ مفردة في المعاجم القديمة حسب إحصاء رفائيل نخلة، ويقابل هذا أكثر من ١٢٠ ألف كلمة عربية الأصل على حسب متن «تاج العروس للزبيدي»، فقُدِّرت نسبة الدخيل في اللسان العربي قديمًا بـ ٢.٠٩٪ .

ج - ولقد أرجع المعجميون الألفاظ الأعجمية الموسومة بالدخيل أو المعرّب إلى أصل عربي منطلقين من مقولة ابن جني «كلّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[(١)].

د – ندرة المدوَّنات اللغوية الخاصة باللغات الأجنبية.

والواقع يمكن أن نشبّه الدخيل في فكر العرب بالأعجمي أو الأجنبي الذي يلتحق بمجتمع جديد، فتُوضع له القوانين ليصبح واحدًا من أفراده، ولكن بدون تساهل؛ وهو ما يؤكّد أنّه لم يكن هناك تسامح في تلك الشروط أو القوانين، فالفرد الأجنبي يخضع للبحث والمعاشرة والتمحيص والتدقيق واحترام القوانين والشرائع والعادات والتقاليد ليلتحق بالمجتمع.

(١) ابن جني، أبو عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١/ ١١٤.

ومن هنا نقول: إذا كنا نتساهل مع هذه الكلمات الدخيلة – اليوم – حتى غدت لغتنا هجينة – في كثير من المواقف –، لا نكاد نتفاهم بها؛ بل أصبح الفصيح فيها تطرح أمامه أسئلة، لم تكن تلك الظاهرة بهذا الشكل عند العرب القدامى.

ونحسب أنّ الأمر في اللغة لا يختلف عمّا سبق، فالكلمات تحمل في طياتها التاريخ والفلسفة والمبادئ، وإذا أردت أن تغيّر من المجتمع فغيّر من مفرداته؛ لأنّ هناك علاقة بين الألسن والشعوب ولها تأثير في عقلها وسلوكها.

وإذا كان التأفّف يسري على ألسنة الناس – اليوم – من سعة حجم الدخيل في لغة الخطاب اليومي فقد كان – على قلّته – موجودًا في العصور السابقة، إذ ورد عن المتنبي – وهو يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف – قوله:

مغـاني الـشِّعب طيبًـا في المغـاني بمنـــزلة الربيـــع مـــن الزمـــان
ولكـــن الفتـــى العـــربي فيهـــا غريـــب الوجـــه واليـــد واللـــسان
ملاعـــب جنّـــة لـــو ســـار فيهـــا ســـــليمان لـــــسار بترجمـــــان
طبـــت فرســـاننا والخيـــل حتّـــى خـــشيت وإن كـــرمن مـــن الحـــران[٢]

ولعلّ تميّز العرب القدامى بالحسّ التأثيلي والتاريخي للألفاظ، هو الذي أدّى بهم إلى البحث في مسار تطوّر الألفاظ والدلالات في مراحل تاريخية محدّدة، فوضعوا مصطلحات مثل الصحاح والمولد والمحدث والمعرَّب.

١ – تحديد مصطلح التأثيل

قد يصعُب تحديد مصطلح التأثيل أو الإيتيمولوجيا في صورته المعرّبة، فهو – أحيانًا – يختصّ بالبحث في أصول الكلمات، ومرّة في هذه الكلمة بعينها أو تلك

(٢) شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي لبنان، سنة: ١٩٨٦، ج:٣-٤ ، ص:٣٨٥.

من اللغة المعينة؛ حيث ورد في لسان العرب:«أثل:أثلة كلّ شيء:أصله- مال مؤثّل ومجد مؤثّل: أي مجموع ذو أصل. أثّلت الشيء: أدمته. أثّل الله ملكًا آثلاً: أي ثبّته. التأثيل:التأصيل، المؤثّل: القديم، قال امرؤ القيس:

ولكـــنّما أسْـــعَى لِمَجْـــدٍ مُؤَثَّـــل وقد يُدْرِكُ المجدَ المُؤثَّلَ أمْثَالِي(٣)

فأثّل: تعني أصّل. وعرّف معجم Le Petit Robert التأثيل بأنّه علم تناسل المفردات وتوالدها، وإعادة تكوين أصل الكلمة بالرجوع من حالته الآنية إلى أقدم حالة ممكنة كان عليها، وتؤسَّس الإيتيمولوجيا على القوانين الصوتية والدلالية(٤).

فالتأثيل «هو علم أصول الألفاظ، وهو مشتق من الأثل بمعنى الأصل، وهو على هذا الاصطلاح مقابل الكلمة الفرنسية ETYMOLOGIE».

ومفهوم التأثيلية في الدرس المعجمي يدلّ على دراسة أصول الكلمات من حيث انحدارها من لغة أمّ، أو دخولها بالاقتراض؛ أي دراسة نشأة الكلمات وتطوّرها، بُغية الوقوف على البنية الأصلية لها، والصيغ التي تفرّعت عنها صوتيًّا أو صرفيًّا أو دلاليًّا، وعلى الانتماء اللساني والحضاري للمفردة(٥).

وهذا يعني «أنّ التأثيل عملية لسانية تعتمد المقارنة بين الصيغ والدلالات لتمييز الأصول والفروع، ومن ناحية أخرى عملية تاريخية حضارية، لأنّها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون، للبتّ في القضايا اللسانية، إضافة إلى مقارنة الألسن لمعرفة أنسابها وأنماطها، لأنّ اللسان

(٣) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.ط:١، سنة:٢٠٠٠، مادّة: (أ،ث،ل).

(٤) Voir ;Le Petit Robert,T : ١ ;P: ٧١٣

(٥) د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٢٦.

الذي يكون فرعًا تكون ألفاظه فروعًا»[٦].

ويرى فندريس أنّ: «العلم الذي موضوعه دراسة المفردات يسمى الاشتقاق Etymologie، وتنحصر مهمّته في أخذ ألفاظ المعجم كلمة كلمة، وتزويد كلّ واحدة بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت، ومتى وكيف صيغت، والتقلبات التي مرّت بها»[٧].

والملاحظ أنّنا لا نلمس فرقًا بين ما يذهب إليه الدارسون العرب في بحوثهم للتأثيل أو تعريفهم له، وما ورد لدى فندريس؛ ذلك أنّ مصطلح الاشتقاق الموظّف في نصّه ليس مقابلاً دقيقًا – في رأينا ممّا يجعله يلتبس على الكثير، ولكنّه قدّم لنا العملية الإجرائية في التعامل مع الكلمات المراد البحث في أصولها، وهو لا شكّ المجال الذي يلتقي مع التأثيل الذي عالجه العرب القدامى، وهو جزء من علم دراسة المفردات الذي يقابل في اللغة الأجنبية «اللكسيكوغرافيا الذي يستمدّ وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، فيهتمّ ببيان كيفية النطق بالكلمة، ومكان النبر فيها، وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها، وبذلك فالتأثيل هو فرع من علم دراسة المفردات»[٨].

وتتجلّى طبيعة وصفة ووظيفة الاشتقاق في أنّه علم تاريخي يحدّد صيغة كلّ كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرّت به الكلمة مع التغيّرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال»[٩].

---

(٦) د.حلام الجيلالي، المرجع نفسه، ص: ٣٢٦.

(٧) فندريس، اللغة، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة،سنة:١٩٥٠، ص: ٢٢٦.

(٨) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٤، ص:١٠٤٢.

(٩) فندريس، اللغة، ص:٢٢٦.

والإيتيمولوجيا هو علم أصول الألفاظ أي نعود به إلى الأصل الممكن للكلمة، وهو مجال تعاقبي تاريخي للسانيات (يدرس أصول الكلمات)، ويرتكز على الصوتيات التاريخية (علم الأصوات التاريخي) والتطور الدلالي للمفردات المدروسة، فهو إذن يندرج ضمن الأركييولوجيا اللسانية L'archéologie (linguistique) التي تهتمّ بها كلّ اللغات التي تسجّل تطور دلالات مفرداتها عن طريق التحديث والبحث المستمر، فضلاً عن الاهتمام بعلم التأصيل.

ولتوضيح ما سبق نسوق تأثيل الفعل: «(بستر) الذي دخل المعاجم العربية المعاصرة حديثًا، فالأثل الأول هو الاسم اللاتيني (Pastor) ١٠٥٠م، وأصبح يعني سائق القطيع (Pastur) في أوربا ابتداءً من سنة ١٢٣٨م، وبمعنى خادم الكنيسة ١٥٤١م، وفي عام (١٨٢٢-١٨٩٥م) أصبح اسمًا للعالم الأحيائي الفرنسي (PASTEUR) مكتشف طريقة تعقيم السوائل والمواد الغذائية بالغليان والتبريد المفاجئ؛ ومنها اشتقّ الفعل: (Pasteuriser) سنة ١٨٧٢ ليدخل المعجم العربي في القرن العشرين كفعل رباعي معرّب: (بستر: اللبن: عقّمه على طريقة العالم الفرنسي باستور)[١٠].

وهذه الصورة التأريخية والتحليلية التي نلفيها في المثال السابق تفتقر إليها معاجمنا العربية أشدّ الافتقار، كما تنقصها دراسة التطوّر الدلالي للكلمة الواحدة من عصر إلى عصر، وهما جانبان «من وجهة النظر التاريخية» يستحقّان عناية المجامع اللغوية والهيئات والأفراد، لما يكمن وراءهما من الفائدة الكبيرة التي تعود على تاريخ حياة اللغة الفصحى[١١].

(١٠) د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة ،ص:٣٢٦.

(١١) ينظر د.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، ص: ٣٣٣.

وإذا كان التأثيل يقترن بمصطلح الاشتقاق؛ فذلك يعود إلى منهجيته في تتبّع المفردة تاريخيًّا وتوليدها ومن أي أصل انحدرت.

أمّا الاشتقاق في اللغة العربية – كما عالجه الدارسون العرب القدامى واليوم – فهو «توليد الألفاظ بعضها من بعض ولا يكون ذلك إلاّ من بين الألفاظ التي يفترض أنّ بينها أصلاً واحدًا ترجع إليه وتتولّد منه، فهو في الألفاظ أشبه بالرابطة النسبية بين الناس»(١٢).

وقد عرّفه القدماء بأنّه: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادّة أصلية، وهيئة تركيب لها ليدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفًا أو هيئة كضارب من ضَرَب وحَذِرٌ من حَذِر»(١٣).

٢ – التأثيل وعلم الدلالة المقارن

يربط الدارسون بين التأثيل وعلم الدلالة المقارن «الذي يهتمّ في المقام الأول بتحديد الكلمات التي توارثتها لغة الفصيلة من اللغة الأمّ، وتلك الكلمات تعرف بالنسبة للغات السامية باسم: المشترك السامي؛ وهذا المشترك يعدّ جزءًا من الكيان الأساسي للغات السامية»(١٤).

ويأتي إضافة إلى ما سبق «دور الدراسات اللغوية التي اهتمت بتحديد الكلمات الأجنبية، حيث يستعين المعجمي بها في معرفة الكلمات التي تدرج تحت كلّ قسم من القسمين الآتيين:(١٥)

أ – الكلمات الأجنبية الأصل. ب– الكلمات الأجنبية الشكل.

(١٢) محمد المبارك، فقه اللغة، دار الفكر، ط:٧، سنة:١٩٨١، سورية، ص:٧١.

(١٣) السيوطي، المزهر ص:٣٤٦.

(١٤) د.حازم علي كمال الدين، علم الدلالة المقارن ص: ٢٥٨.

(١٥) د.حازم علي كمال الدين، علم الدلالة المقارن، ص:٢٥٨.

وما يقوم به علم الدلالة المقارن – وهو يؤصّل للمفردات – هو تحديد جذور كثير من الكلمات تحديدًا ينبع من الواقع اللغوي الذي يتعامل معه هذا العلم، ويتّضح من ذلك أنّ عملية التأصيل تشمل جانبين هما:

أ – تأصيل الكلمة من ناحية الوطن اللغوي.

ب – تأصيل الكلمة من ناحية الجذر اللغوي(١٦).

وانطلاقًا ممّا تقدّم يمكن تعريف المعجم بأنّه الكتاب الذي يضمّ كلمات تنتمي إلى لغة واحدة أو أكثر من لغة، فتأتي مرتّبة وفق منهج معيّن، ومع كلّ كلمة دلالتها الخاصة بها، والصيغ المرتبطة بها، ويضاف إلى ذلك ضبط بنية كلّ صيغة من الصيغ؛ لتوضيح عناصرها الصوتية المكوّنة لها توضيحًا يمنع من الوقوع في الخطأ عند التعامل معها في مجال القراءة والكتابة(١٧)، مع التركيز على جذورها وتأصيلها والدلالات التي حملتها في صيرورتها التاريخية، أو في مرحلة معيّنة من الزمن.

٣- أهمّية التأثيل وفائدته

يرى فندريس أنّه «من إضاعة الوقت أن نحاول البرهان على أهمّية هذا العلم (الاشتقاق)، فلم يأخذ العلماء في تأسيس الصوتيات والصرف المقارنين إلاّ بفضل ما وصل إليه الاشتقاق من نتائج، والاشتقاق والصوتيات والصرف يسند بعضها بعضًا، فما دامت القواعد التي يجري عليها تتابع الأصوات والصيغ النحوية في صورة الاشتقاق، فإنّ هذا الاشتقاق الذي يطبّقها تطبيقًا صحيحًا يقدّم لعلم اللغة أجدى المساعدات»(١٨).

(١٦) د.حازم علي كمال الدين، المرجع نفسه، ص:٢٥٨.

(١٧) ينظر د.حازم علي كمال الدين، علم الدلالة المقارن، ص:٢٥٧.

(١٨) فندريس، اللغة، ص:٢٢٦.

ومن هنا أولى علماء العربية الدخيلَ جُلَّ رعايتهم، لما له من علاقة وصلة بالتأثيل، فَسَعَوا يجمعون ألفاظه، ويؤصّلونها، بغية الوصول إلى الطريق التي دخلت منه، والزّمن الذي عبرت فيه إلى مجتمعهم، وذلك لفهم تأثير العوامل التاريخية والثقافية والتقاليد والعادات الاجتماعية، وأثر طرق العيش في تغيّر الدلالة، وهو الأمر الذي يفترض أن يسجّله المعجم لمعرفة هذا التغيّر.

فكان منها كتاب «المعرّب» لأبي منصور الجواليقي (ت ٥٥٠ هـ)، وبرزت في تضاعيف بعض المؤلّفات محتلّة فصولاً فيها، منها كتاب «المزهر» للسيوطي (ت٩١١هـ) الذي أفرد أبوابًا، تحدّث فيها عن الدخيل، وكيفية الاهتداء إليه، وكذلك حال ابن قتيبة (ت٢٠٩ هـ) في «أدب الكاتب»[١٩].

فعلى سبيل المثال كلمة ريشة في اللغتين العربية والفرنسية:

أ – في العربية: كانت تدلّ على ريشة الطائر، ثمّ على أداة الكتابة ثمّ على الفرشاة في الرسم، وكلمة PLUME في الفرنسية: ريشة الطائر وسيلة الكتابة مهنة الكتابة:vivre avec sa plume، وكاتب حسن الكتابة[٢٠]: homme de plume.

و«لعلّ تغيّر معنى الريشة في العربية الفصحى كان بسبب أثر الفرنسية، ويعود ذلك إلى طرق الاتصال الثقافية والحضارية»[٢١].

«والاستعمال – حسب فندريس – يخلع على كلّ كلمة قيمة محدودة دون أن يُدخل في حسابه المعنى الذي كان لها في الماضي، فالماريشال Maréchal لقب أكبر مقام في نظامنا الحربي، جاءت من خادم الإسطبل (في الألمانية القديمة، scalc –

(١٩) ينظر: محمد كشاش، مقدمة شفاء الغليل، ص:٣.

(٢٠) Le Petit Robert,T :١,p: ١٤٦٢

(٢١) د.أحمد محمد قدور،مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط:٢، سنة: ١٩٩٩، ص: ٣٢٨.

marach ومنها mariscalus في لاتينية القرون الوسطى)، ولذلك يرى العالم الاشتقاقي أنّ ماريشال فرنسا maréchal de France والمارشال فران Maréchal Ferrant بيطار يحملان اسمًا واحدًا»(٢٢).

وقد يكون هناك جناس تأثيلي يطلق عليه التأثيل الشعبي وهو مصطلح بيير جيرو(Pierre Guiraud)، ومعناه «اختلاط يحصل في ذهن أناس من ذوي الثقافة الضحلة فينسبون إلى الكلمة بسبب هذا أصلاً وتشكيلاً تخيّليًّا، فتتغيّر قيمتها تبعًا لهذا، ممّا يؤدّي - في بعض الأحيان - إلى تغيّر فعلي للمعنى. من ذلك كلمة (souffreteux) التي جاءت الفرنسيةَ من مصدر لاتيني (souffrancta) بمعنى مقطوع لكنّها ربطت من مسوّغ بكلمة (souffrir) بمعنى تألّم»(٢٣).

فهذا التأثيل وهذه الدلالات هي التي يركز عليها المعجم التأثيلي التأصيلي، لأنه يسجّل حياة الكلمة، ولهذا وجدنا مؤلفين يكتبون كتبًا بعناوين «حياة الكلمات» مثل دارمستتير Darmesteter.

ولعلّ من الفوائد التي نجنيها من الدراسة التأثيلية ما يلي:

- معرفة نسبة الرصيد الأثيل من المفترض في اللسان القومي.
- حفظ الرصيد الأثيل من التداخل والوقوف على درجة عجمة اللفظ.
- معرفة اللسان الذي انحدرت منه الألفاظ الأعجمية وبنيتها ودلالتها قبل اقتراضها.

٤ - تطوّر التأثيل في المعاجم العربية المعاصرة

لقد تطوّرت المعاجم العربية المعاصرة بفضل عوامل كثيرة منها: الحياة الاجتماعية والسياسية، وبسبب التطوّر العلمي والتكنولوجي والنمو الاقتصادي

(٢٢) فندريس ،اللغة، ص:٢٢٧.

(٢٣) د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:٣٢٧.

في البلدان العربية، وبفضل المجامع والجامعات، والمؤسسات العلمية، ودور الطبع وتوسّع المدن وتطور الصحافة، والوسائل العلمية والاتصالية المختلفة والترجمة وتطوّر المناهج العلمية التي كان لها تأثير في صناعة المعاجم وترتيبها، كما أصبح الاحتكاك العلمي بين شعوب العالم أكثر من ذي قبل.

ولقد أسهمت كلّ تلك العوامل في جعل مسألة التأثيل قضية أساسية في الحياة اللغوية، وقد أشار المجمع اللغوي في القاهرة بالمادة الثانية من مرسوم إنشائه إلى: «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيّر دلالاتها».

٥ – التمييز بين المعجم التأثيلي والمعجم التاريخي

إنّ البحث في اللغة سرعان ما فتر بحسب تراكم النظرة المعيارية التي ظهرت مع نهاية القرن الرابع الهجري، وظلّ يعتمدها بعض الدارسين لقرون تلت، والواقع لم يبعث الدرس التأثيلي والتاريخي بعد ذلك إلاّ مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي في أوربا[٢٤]، بحيث ظهرت الدراسة التاريخية المقارنة بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية من قبل وليام جونز١٧٨٦، وظهور فقه اللغة المقارن، وخاصة بعدما وضع فردينان دي سوسير (١٨٥٧–١٩١٣) الفرق بين منهجين متباينين هما: المنهج الآني والمنهج التطوري التاريخي.

ويفترض أن يجد الدارس في كلّ معجم اهتمّ بالتأثيل، المعلوماتِ الاشتقاقيةَ لكل كلمة، فيلفي التواريخ التي تسبق الكلمات أو الدلالات وتناسب هذه التواريخ أول استعمال الكلمة، وتعطي صورة صادقة عن طبقات التكوين لمفردات اللغة. كما يقدم هذا الجانب التاريخي الاستعمال والاستعمالات

(٢٤) د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٢٥.

والدلالات المتداولة في اللغة القديمة.

وفي ضوء ذلك يمكن وضع فرق بين نوعين من البحث المعجمي هما، الدراسة التأثيلية والدراسة التاريخية ممّا يؤدّي إلى صنفين من المعاجم:

١ – المعجم التأثيلي Dictionnaire étymologique ويصطلح عليه – أيضًا – المعجم التأصيلي الاشتقاقي، وهو الذي يُركّز اهتمامه على أصول الكلمات أو ما قبل تاريخها، وعلى أصولها الحديثة، ممّا يجعله مقتصرًا على شكل الكلمة دون معناها(٢٥).

وهو المعجم الذي ظهر إثر شيوع الدراسات المقارنة في حقل الأبحاث التاريخية، ويمثّل الجانب التطبيقي لفقه اللغة المقارن، وتكون من اهتماماته – في بداية الأمر – وتركيزاته على:

أ– دراسة أصول الكلمات ومعناها في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة وتاريخها، ونسبتها إلى اللغة التي انحدرت منها.

ب – بيان اللغة أو الأسرة المصدر.

ج – دخول الكلماتِ اللغةَ مع بيان ما لحقها من تطوّر صوتي ودلالي.

د – إيضاح مشتقاتها لمعرفة ما يمكن أن يشتق منها، ومعاني هذه الصيغ وبيان العلاقات الاشتقاقية بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة(٢٦).

هـ – بيان بنيتها من حيث النطق والشكل الكتابي والمضمون الدلالي الذي رافقها مع مرور الزمن، مع الإشارة ضمنيًّا إلى تاريخها.

وكانت نقطة البدء في المعجم التأثيلي عام ١٨٠٨م لدى الغربيين، حينما قام جون جامييسن (John jamiesen) بنشر معجم للغة الإسكتلندية، فأظهر الكلمات في

(٢٥) د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث،عالم الكتب،سنة:١٩٩٢، ط:٢،ص: ٥٦.

(٢٦) ينظر د.محمود السعران، علم اللغة،ص:٧٥

استعمالات متتالية مع أمثلة مقتبسة مرتبة ترتيبًا تاريخيًّا من كتّاب قدامى ومحدثين[٢٧].

وقد تتناول المعاجم التأثيلية الألفاظ الدخيلة فتبحث في أصولها، وتوقف الباحث على أصل الكلمة إن كانت عربية الأصل أو غير عربية، وتعالج أصل الدخيل حيث يذكر أمامه أصله في لغته الأصلية ومعناه وأمثلة استعمالاته[٢٨].

٢ – المعجم التاريخي (Dictionnaire historique)، وهو معجم متطور عن المعجم التأثيلي، ويمثّل الجانب التطبيقي لعلم اللغة التاريخي، الذي ظهر نتيجة إيمان اللغويين بأنّ اللغة لا تختلف عن الكائنات الحية التي تولد، وتنمو، وتشبّ، وتهرم، ثمّ تموت، ورأوا انطلاقًا من هذه الرؤية الطبيعية التطورية، ضرورة وضع معجم تاريخي يساير كلّ لفظ من لدن مولده إلى موته، فيبحث بذلك في تطور الكلمة على مرّ العصور سواء في جانب لفظها، أو معناها، أو طريقة كتابتها، ويسجّل بداية دخولها اللغة وأصولها الاشتقاقية، ويتتبع تطوّرها حتى نهاية مرحلة الدراسة أو نهاية وجود الكلمة اعتمادًا على النصوص التي وردت فيها[٢٩] ومن غاياته:

أ – معرفة التاريخ الدلالي الأولي الذي اكتسبته الكلمة.

ب – وكذلك ما طرأ عليها من تغيّر دلالي مؤرّخًا بالسنوات مع الإشارة إلى بنيتها ونسبتها[٣٠]، وهنا نستفيد من رأي فندريس في وضع بطاقة التعريف للكلمة.

ومع التداخل بين النوعين من المعاجم إلاّ أنّه يتجلّى التباين كالآتي:

(٢٧) ينظر د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص:٥٧.

(٢٨) ينظر د.البدراوي الزهران، المعجم العربي، ص:٢٣.

(٢٩) ينظر د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث،ص:٥٦.

(٣٠) ينظر د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٢٥.

- إنّ الأوّل يؤكّد أصل الكلمة وبنيتها ودلالتها بالدرجة الأولى.

- أمّا الثاني فَيُلِحُّ على دلالة الكلمة وتاريخها.

- والمعجم التأثيلي الاشتقاقي يبحث في الكلمة بالنظر إلى اللغات الأخرى، والعلاقة التي تربطها بها، وكيف تحتلّ مكانتها الدلالية والتاريخية ضمنها، أمّا المعجم التاريخي فهو يتناول الكلمة وأصلها وبنيتها وغير ذلك مما له صلة بالاشتقاق في لغة معيّنة.

- فنستنتج من هذا التمييز هاتين المعادلتين:

- م/ تأثيلي = أصل + بنية + دلالة +- تاريخي

- م/ تاريخي= دلالة + تاريخ + بنية +- أصل.

فنلاحظ العناصر نفسها؛ ولكن التناول مختلف وكذلك المضمون، كما أنّ هناك اختلافًا في ترتيب العناصر وموقعها(٣١).

ومن المحاولات الجادّة في وضع أول معجم عربي تاريخي - ولم يكتمل مشروعه - ما قام به المستشرق فيشر، الذي تبنّى عمله مجمع اللغة العربية في القاهرة، ولم يستطع أن ينشر من معجمه إلاّ مقدمة ونموذجًا صغيرًا، سبق للمؤلّف أن أعدهما(٣٢).

ذلك أنّ المستشرق الألماني فيشر (١٨٦٥-١٩٤٩م) فكّر في وضع معجم تاريخي للغة العربية، وضبط منهجه بقوله: «ومنتهى الكمال لمعجم عصري، أن يكون معجمًا تاريخيًّا، ويجب أن يحوي المعجم التاريخي كلّ كلمة تداولت في

(٣١) ينظرد. حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٤٤.

(٣٢) ينظر د.صافية زفنكي، المرجع السابق،ص:٧٩.

اللغة، فإنّ جميع الكلمات المتداولة في لغة ما، لها حقوق متساوية فيها، وفي أن تعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها»[٣٣].

٦ – طرائق التأثيل عند المعجميين العرب:

يعتمد المعجميون العرب طرقًا في تأثيل الكلمات، وهذا باتباعهم المنهج الآتي:

أ – ذكر الكلمة ثمّ اللسان الذي انحدرت منه، مع الإشارة إلى نطقها، ورسمها الإملائي ودلالاتها، والتغيّرات التي طرأت عليها؛ نحو (بهرج: الباطل وهو بالفارسية نبهره).

يمّ: البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطّاه، وزعم بعضهم أنّها لغة سريانية، فعرّبته العرب وأصله يمّا)[٣٤].

ب – الإشارة إلى اللغة التي انحدر منها اللفظ فقط:مثل شطرنج:فارسي معرب.

ج – الإشارة إلى أنّ عجمة الكلمة غير مؤكّدة نحو:

الأسى :المشموم: أحسبه دخيلاً.

فردوس:البستان: قال الفراء: هو عربي، قال ابن سيده: الفردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم البستان.

ولا شكّ في أنّ المعجم العربي القديم قد اهتمّ قليلاً بموضوع التأثيل، إذ احتوى على إشارات وتلميحات، دون تتبّع أصل الكلمات وشرحها وتطوّر دلالاتها وبيان الأصول التي انحدرت منها.

(٣٣) ينظر د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٤٤.

(٣٤) ينظر د.حلام الجيلالي، المرجع نفسه، ص:٣٣١.

منهجية دراسة التأثيل في ضوء تطوّر المدارس اللسانية وتعددها «تنوعت منهجية دراسته انطلاقًا من القوانين الصوتية والتمايز الدلالي للمفردات، والتحليل الداخلي للصيغ في صلب النظام اللساني، والخارجي في إطار الزمان والمكان والعلاقات الحضارية»(٣٥).

ولا ريب في أنّ تأثيل الكلمة يمثل قمّة هرم ثلاثي، حيث تمثل قاعدته تاريخ الكلمة وحياتها وعلاقتها.

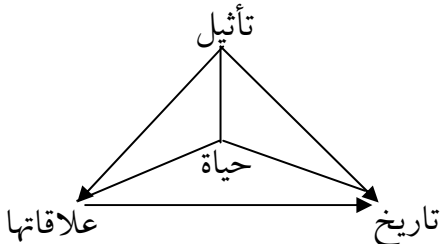

ومن هنا يراعي التأثيل الجوانب الأساسية الآتية:

«أ – تحديد تاريخ النشأة الأولى للكلمة، حيث دخلت لسانًا من الألسن بشكل من الأشكال.

ب – تتبع حياتها للوقوف على ميلادها، وما طرأ عليها من تطوّر، وتغيّر من حيث الصوت والبنية والدلالة.

ج – إيجاد العلاقات التي تربط الأثل بالسابق واللاحق من الأشكال والدلالات في إطار النظام اللساني، وبما يشاكلها في الألسن الأخرى»(٣٦).

(٣٥) د.حلام الجيلالي ، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص: ٣٢٨.

(٣٦) د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٢٨.

ولعلَّ ما سبق هو الذي أفضى بحلام الجيلالي إلى أن يخلص – انطلاقًا ممّا سبق – إلى أنّ هذه المعطيات توضّح أن بداية «المعلومات التي يمكن أن يوفرها المعجم اللغوي في المجال التأثيلي، تركّز على الأصل الذي انحدرت منه الكلمة الأثل، والشكل الذي جاءت عليه كتابةً ونطقًا ثم الدلالات وطبيعة التطوّرات التي رافقتها من خلال علاقتها في النظام اللساني بغيرها عبر الزمان»(٣٧).

ويعود ذلك إلى أنّ أي لسان يحتوي على كلمات «تشكل اللسان القومي، وترجع إلى قرون ضاربة في القدم، كما توجد كلمات دخيلة أو مقترضة ترجع إلى ألسن أخرى، وبين هذا وذاك توجد كلمات لا يمكن الوقوف على أصلها، إمّا لأنّها دخلت قبل ظهور الكتابة؛ وإمّا لأنّها فقدت مميزاتها، واكتسبت خصائص اللسان الذي انتمت إليه أو لأنّها ترجع إلى المشترك الإنساني»(٣٨) .

وأكّد الواقع أنّ اللسان العربي مقبل على مرحلة يحتاج فيها إلى توليد آلاف المفردات، واستعارة مئات المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية الدخيلة والمعرّبة لمسايرة التطوّر العلمي السريع والمذهل.

وحتى يتمكّن المعجم العربي من الحفاظ على أصالته العربية وتراثه المفرداتي، يحتاج إلى أن يجري تجديده سنويًّا وفق منهجيات وتقنيات حديثة ومتطوّرة، تسمح بتأثيل المداخل وتأريخ الدلالات، وتعريف المواد تعريفًا علميًّا دقيقًا، وتطعيمه بالرموز والمختصرات ليواكب مستجدات العصر، ويدخل زمن العولمة والاتصالات والتكنولوجيات والإعلاميات والقرن الجديد ممتلكًا

(٣٧) د.حلام الجيلالي، المرجع نفسه، ص:٣٢٨.

(٣٨) د.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص:٣٢٩ .

أسباب الحياة، وقادرًا على الصمود أمام لغات العالم المعاصر بل ومنافستها[٣٩].

وفي الأخير، يمكن القول: إن موضوع التأثيل مجال واسع ومهمّ، فهو يكشف عن العلاقات بين الشعوب، واحتكاكها وربط الحضارات والأمم فيما بينها؛ ذلك أن اللّغات استفادت بعضها من بعض في مجال الألفاظ والدلالات؛ ممّا أدّى إلى رقي العقل البشري.

ولاشكّ في أنّ ذلك يمكن اعتباره مشروعًا علميًّا وحضاريًّا تعتمده المؤسّسات والهيئات والمختبرات العلمية لتعالجه معالجة دقيقة، فيفيد الأجيالَ في لغتها وثقافتها وتراثها ومستقبلها.

المصادر والمراجع

١ – أحمد عزوز، صناعة المعاجم العربية وآفاق تطوّرها، مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٨٤.

٢ – أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ودار الفكر، دمشق، ط:٢، سنة:١٩٩٩.

٣ – أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث،عالم الكتب،ط:٢،سنة:١٩٩٢.

٤ – البدراوي الزهران، المعجم العربي– تطور وتاريخ في ضوء نظريات علم الدلالة لدى المحدثين، دار الآفاق العربية،ط:١، القاهرة، سنة:٢٠٠٩.

٥ – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.

٦ – ابن جني، أبو عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

٧– حازم علي كمال الدين، علم الدلالة المقارن، مكتبة الآداب، ط١: ٢٠٠٧، القاهرة.

٨ – حلام الجيلالي، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، منشورات اتحاد

(٣٩) ينظر د.حلام الجيلالي، الأثيل والدخيل في معاجم العربية، مجلة اللسان العربي، ص:١٣.

الكتاب العرب، دمشق، سنة:١٩٩٩.

٩ – السيوطي، المزهر، مكتب دار التراث، تحقيق وتعليق على الحواشي، محمد أحمد جاد المولى بك وآخران.مكتب دار التراث، المجلد الأول، ط:٣، القاهرة.

١٠ – شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، لبنان، سنة:١٩٨٦.

١١ – صافية زفنكي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة في المنشورات العربية السورية، دمشق، سنة:٢٠٠٧.

١٢ – فندريس، اللغة، ترجمة أ. عبد الحميد الدواخلي ود. محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، سنة:١٩٥٠.

١٣ – محمد كشاش، مقدمة شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، قدّم له وصحّحه، ووثّق نصوصه وشرح غريبه د. محمد كشاش، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان.ط:١، سنة: ١٩٩٨.

١٤ – محمد المبارك، فقه اللغة، دار الفكر،ط:٧، سنة:١٩٨١، سورية.

١٥ – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.ط:١، سنة:٢٠٠٠.

١٦ – Le Petit Robert, rédaction rédigée par A.REY et J;REY-DEBOVE;Paris;١٩٩٢

العرباض بن سارية السُّلمي (... ٧٥ هـ)
وحولة حمص

د. عبد الكافي توفيق المرعب(*)

العِرْباضُ بنُ ساريةَ السُّلَميُّ وحُوْلَةُ حِمْصَ

لاريبَ أنَّ سِيَرَ الصحابةِ تاريخُ رجالٍ جاءتْهُم دعوةُ الإسلامِ فآمنوا بها، وصدَّقتْها قُلوبُهم، وما كانَ قولُهُم إذا دُعوا إلى الله ورسولِهِ إلا أنْ قالوا: ﴿ربَّنا إنَّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمانِ أنْ آمِنُوا بربِّكم فآمنَّا﴾ [آل عمران/ ١٩٣]، ووَضَعوا أيديَهُم في يدِ الرسولﷺ، وهانتْ عليهم نفوسُهُم وأموالُهُم وعشيرتُهُم، واستطابوا المكارِهَ في سبيلِ الدعوةِ إلى الله، وكان العِرباضُ أحدَ هؤلاءِ الصحبِ والركبِ الذي آمَن بدعوة النبيِّ ﷺ مبكِّراً وهو مدارُ بحثنا هذا(١).وقبلَ الحديثِ عن الصحابيِّ الجليلِ أبي نَجيْح العِرْباضِ بنِ ساريةَ السُّلميِّرضي الله عنه- الذي ترك الجزيرةَ العربيَّةَ وولَّى وجْهَهُ شَطْرَ بلادِ الشَّامِ غازياً فاتحاً جُنْديّاً في جيوشِ الفتحِ الإسلاميِّ-لابدَّ من الكلام على «**حُولةِ حِمْصَ**» التي سكنَها العِرْباضُ ورقدَ فيها واحتضنتْ رُفاتَهُ.

(*) مدرس النحو والصرف في جامعة البعث ـ قسم اللغة العربية.

(١) انظر حياة الصحابة ١/ ٧ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

قال القاضي عبدالصمد بن سعيد في تاريخ **حِمْصَ**:[٢] «كان العِرْباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ يسكنُ حُولةَ [٣] **حِمْصَ**».

فالحُولةُ بالضمِّ ثمَّ السكونِ: اسمٌ لناحيتين بالشَّام، **إحداهما** من أعمالِ **حِمْصَ**، ثم من أعمالِ **بارينَ**[٤] بين **حِمْصَ وطرابلسَ، والأخرى** كورةٌ بين بانياسَ وصُوْرَ من أعمالِ دمشقَ ذاتُ قرًى كثيرةٍ.[٥]

والحُوْلةُ لغةً: العَجَبُ والداهيةُ والأمرُ المنكرُ، ذكر ابنُ منظورٍ (ت٧١١هـ) والفيروزآباديُّ (ت٨١٧هـ) والزَّبيديُّ[٦] (ت١٢٠٥هـ): **الحُولَةُ** بالضمِّ: العَجَبُ،

(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر٤٧/ ١٩١ ، و معجم البلدان ٢/ ٣٢٣-٣٢٥ بتصرف.

(٣) تقع الحولة في الحوض الغربي لنهر العاصي شمال غربي حمص، وتضمُّ أربعَ قرًى الآن، هي: تَلْدَو، وتبعد عن حمص (٢٥كم)، وكفرلاها، وتبعد عن حمص(٢٨كم)، وتَلْذَهَب، وتبعد عن حمص (٣٠كم)، والطيبةُ، وتبعد عن حمص(٣٤كم) تقريبًا، وجميعها تقع في شمال غربي حمص في وسط الطريق الذي يصل حمص بمصياف. انظر جدول المسافات للقطر العربي السوري ص٥٢.

(٤) بارين: تسمِّيها العامة بعرين، وهي مدينة حسنة تقع بين حلب وحماة من جهة الغرب، وهي بالقرب من الحولة و تقع في الشمال الغربي منها ، وتبعد عنها (١٠ كم) وعن حمص (٤٠ كم) تقريبًا في الطريق الواصل بين حمص ومصياف، وتبعد عن حماة (٤٢كم) من جهة الغرب . انظر معجم البلدان ١/ ٣٢٠ -٣٢١ وجدول المسافات للقطر العربي السوري ص ٥٢ بتصرُّفٍ.

(٥) انظر معجم البلدان ٢/ ٣٢٣-٣٢٥ بتصرف.

(٦) اللسان والقاموس المحيط وتاج العروس (حول) ، ٢٨/ ٣٧٣-٣٧٦ .

والأمرُ المنكرُ، وهذا من حُوْلَةِ الدهرِ: أي من عجائبِهِ، ويقالُ أيضًا: هو حُولةٌ من الحُوَلِ: أي داهيةٌ من الدواهي، ويُوصَفُ به، فيقال: جاءَ بأمرٍ حُوْلَةٍ، قال الشاعرُ:

ومِن حُوْلَةِ الأيامِ والدهرِ أنَّنا لنا غَنَمٌ مقْصورَةٌ[٧] ولنا بَقَرُ

ولا غَرْوَ ولا عَجَبَ أنْ تُوصَفَ الحُوْلةُ وغيرُها من البقاعِ بهذهِ الأوصافِ في ماضياتِ الأيام، ولاسيَّما أنّها كانتْ منطقةَ مُسْتنقعاتٍ وغيْطلاتٍ[٨] تسْكنُها الفهودُ والأسودُ وحُمُرُ الوحشِ والفيلةُ والغِزلان، وهذا ما تؤكِّدُهُ الحملاتُ العسكريةُ المصريةُ في زمن **الميتانيين** (١٤٩٠-١٤٠٥ ق.م) على المدنِ السوريَّة ، التي بلغت ستَّ عشرةَ حملةً، و في عهد (**تحوتمس الثالث**) الذي استولى على مدنِ الساحلِ السوريِّ، وانتصرَ على عدوِّهِ في (**قادش**[٩]) ، ثمَّ استولى على (**قَطْنا**[١٠]) في حملته الثامنة على سوريَّة، ثمَّ ارتحل من(**قطْنا**) إلى شمالِ سوريَةَ، إذ خاضَ حربًا في جبل «وَعَن» غربي حلبَ، ومن المؤكَّد أنَّ (**تحوتمس الثالث**) استولى على حلبَ، وإلا لما

(٧) مقصورة : أي مُسنَّة أو مَنسوبةٌ، اللسان (قصر).

(٨) الغيطلات: واحدها غيطلة، وهي الشجر الكثير الملتف. اللسان (غطل).

(٩) تقع مدينة قادش وسط سهل حمص الداخليّ، إلى الجنوب من بحيرة حمص، وإلى الغرب من بلدة القصير بـ(٩كم) تقريباً، ويحدُّها من جهة الشرق نهر العاصي، وهي التي تسمَّى الآن (تل النبي مندو)، وتبعد عن حمصَ (٤١ كم) تقريباً. انظر جدول المسافات للقطر العربي السوري ص٥١.

(١٠) قطْنا: هي المُشْرِفة حاليّاً، تبعد (١٨ كم) إلى الشمال الشرقي من مدينة حمص، في وسط سهل خصبٍ فسيحٍ، بين تخوم بادية الشام ووادي نهر العاصي . انظر جدول المسافات للقطر العربي السوري ص ٤٩، والموسوعة العربيَّة ١٥/ ٤٧٧.

استطاع أن يتقدَّم نحو «**قرقميش**»، إذ بيَّن احتلالُ هذه المدينةِ للفرعون أحسنَ الطرق لعبور الفراتِ، وفي طريقِ العودةِ قامَ (**تحوتمس الثالث**) ببعض المعاركِ الصغيرةِ في كلٍّ من (**سَيْجَر**[١١] **وقادش وني**[١٢])، ولما وصل إلى غربيٍّ(**قَطْنا**)بدأ يصطادُ في مستنقعاتِ حوضِ نهرِ العاصي، ثمَّ صادف قطيعًا كبيرًا من الفيلة[١٣] غربي النهر المذكور، فعمدَ إلى صيدِها وإرسالها إلى العاصمةِ طِيْبةَ، ويذكرُ (**أمنمحاب**) قائدُ أركانِ جيشِ الفرعون (**تحوتمس الثالث**) في سيرته الشخصيَّةِ أنَّ فيلاً ضخمًا استدارَ نحو الفرعون ليفتكَ به، لكنَّ (**أمنمحاب**) عاجلَهُ بضَرْبةٍ من سلاحهِ قطعَتْ خرطومَهَ، واستطاع بذلك أن يُنقِذَ سيِّدَهُ، كما اصطادَ في منطقةِ حوضِ العاصي بالقربِ من قادشَ الغِزْلانَ والمهارَ وحُمُرَ الوحشِ[١٤].

ومما تقدَّمَ نرى أنَّ الأوصافَ التي نُعِتَتْ بها الحولةُ – الواقعة في حوض العاصي الغربيِّ – من عَجَبٍ وخوفٍ وغيرِهِ كانتْ موجودةً في جلِّ بقاعِ الأرضِ قبلَ أنْ تكونَ مسكونةً عامرةً بالسكانِ، وهذا العرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ أبو

(١١) وهي قلعة شيزر الحالية الواقعة إلى الشمال الغربي لـ حماة، وتبعد (٢٩ كم) عن حماة. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٣ وجدول المسافات للقطر العربي السوري ص٦٤.

(١٢) من المحتمل أن تكون قلعة المضيق، وهي إلى الشمال الغربي من مدينة حماة، على بعد (٥٧كم) منها. انظر جدول المسافات للقطر العربي السوري ص٦٨.

(١٣) يزيد هذا القطيع على المئة من الفيلة. انظرسلسلة العلاقات السوريّة المصريَّة عبر التاريخ ١/ ٨٦- ١٠٦ للدكتور محمود عبدالحميد أحمد. بتصرُّفٍ.

(١٤) انظرسلسلة العلاقات السوريّة المصريَّة عبر التاريخ ١/ ٨٦- ١٠٦ للدكتور محمود عبدالحميد بتصرف، وتاريخ سوريَّة ولبنان وفلسطين للدكتور فليب حتِّي ١/ ١٤١-١٤٢.

نجيحٍ أحدُ الذين سكنوا الحولةَ التي أصبحتْ آمنةً به وبأمثاله من أهل الصَّلاحِ والفضلِ والعلم، وكذلك سائرُ بقاعِ الوطنِ العربيِّ والإسلاميِّ.

العِرْباضُ بنُ ساريةَ السُّلَميُّ (... –٧٥هـ)

لاشكَّ أنَّ العِرْباضَ كانَ صحابِيّاً صُفِّيّاً، مشهورًا، طويلاً جَلْداً، شيخًا كبيرًا، بكَّاءً، زاهداً، ورِعاً، سابقاً في إسلامهِ، مجاهداً فاتحًا، سُلَمِيّاً بُهْثِيّاً، حِمْصيّاً مسكناً ووفاةً رضي الله عنه، راوياً لحديث رسولِ الله ﷺ.(١٥)

ولابدَّ من الوقوفِ على سيرتهِ الذاتيَّةَ التي تتضمّن:

١ – اسمَهُ ونسبَهُ. ٢– كنيتَهُ. ٣– ولادَتَهُ. ٤– قبيلَتَهُ. ٥– إسلامَهُ. ٦– مسْكنَهُ. ٧– أولادَهُ. ٨– زُهدَهُ وورعَهُ. ٩– جهادَهُ في سبيل الله. ١٠– روايتَهُ لحديثِ رسولِ الله ﷺ ١١ – الذين روَوا عنه الحديث. ١٢– وفاتَهُ رضي الله عنه.

١– اسمُهُ ونَسَبُهُ: العِرْباضُ بنُ ساريةَ السُّلَميُّ، والعِرْباضُ لغةً: الغليظُ الشَّديدُ الجَلْدُ القويُّ العريضُ الكَلْكَلُ من الناسِ وغيرِهم، ورجلٌ عِرْبَضٌ وعِرْباضٌ وعَرابِضٌ: غليظٌ شديدٌ ضخْمٌ. وقال أبو عمرَ غلامُ ثعلبٍ: العرباضُ الطويلُ الجلْدُ المخاصمُ من الناسِ وغيرِهم، وهومدحٌ.(١٦) وعلى هذه الصفات كان

(١٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٢، ١٩٤ ، والعبر في خبر من غبر ١/ ٧٥ ، ودول الإسلام، ١/ ٣٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٩، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣، واللسان (صفف) . وأهل الصُّفَّةِ: هم الفقراء من المهاجرين، ومَن لم يكن له منهم منزلٌ يسكُنُهُ، فكانوا يأوون إلى موضعٍ مظلَّلٍ في مسجد المدينة المنوَّرةِ يسكنونهُ، والصفَّةُ: الظُّلَّةُ.

(١٦) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٤٠، و تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠، واللسان والتاج (عربض).

الصحابي الجليل العِرباض بن سارية.

٢- كُنْيَتُهُ: أبو نجيحٍ، والنجيحُ لغةً: الوشيكُ، والمجِدُّ ، وتدلُّ على السرعةِ والجدِّ والنّجاحِ والصّوابِ.(١٧) وحقًّا إنَّ العرباضَ يحملُ هذه الصفاتِ والمزايا،إذ كانَ رابعَ أربعةٍ في الإسلامِ، ومع المجدِّينَ الفاتحينَ الأوائل الذين كانوا جنوداً أوفياءَ في حَمْلِ رايةِ الإسلامِ.

وذكرَ يحيى بنُ مَعين (ت٢٣٣هـ) والدولابي (ت ٣١٠هـ)، وابنُ عساكرَ (ت٥٧١هـ)، والمِزيُّ (ت٧٤٢هـ)، والذهبيُّ (ت٧٤٨هـ)، والصفديُّ (ت٧٦٤هـ)، وابنُ كثيرٍ (ت٧٧٤هـ)، وابنُ حجرٍ العسقلانيُّ (ت٨٥٢هـ)، والسخاويّ (ت٩٠٢هـ)، والزَبيديُّ (ت١٢٠٥هـ): أنّ كُنْيَةَ العِرْباضِ بنِ ساريةَ السُّلَميِّ: أبو نَجيحٍ.(١٨)

ممّا ذُكِرَ يتبيَّنُ أنَّ الرواياتِ التي ترجمتْ للعِرباضِ بنِ ساريةَ أجمعتْ على أنَّ كُنْيَتَهُ أبو نجيحٍ.

٣- ولادتُهُ: لم تذكرِ المظانُّ التي تحدَّثتْ عن العِرباضِ بنِ ساريةَ السُّلَمِيِّ سنةَ ولادتِهِ، لكنَّها تكلَّمتْ على سنةِ وفاتِهِ مُجْمِعَةً على أنَّ وفاتَهُ كانت في سنةِ (٧٥هـ) في خلافة عبدالملك بنِ مروانَ(١٩)، لكنَّني أخالُهُ من الذين عاشوا زهاء مئة سنةٍ تقريباً،

(١٧) اللسان (نجح).

(١٨) معرفة الرجال ٢/٢٠٣، رقم (٦٧٨) والكُنى والأسماء ١/ ٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٩، ١٩٣، وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٥٦ ، البداية والنهاية ٩/ ١٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢/ ٢٥٧، ودول الإسلام ١/ ٣٦، والعبر في خبر من غبر ١/ ٧٥، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣، وشذرات الذهب ١/ ٣١٣.

(١٩) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٨، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣.

وسببُ ذلك يعودُ إلى أنَّ عتبةَ بنَ عبدٍ السُّلَميَّ[٢٠] قال: «أتينا النَّبيَّ ﷺ ونحن سبعةٌ من بني سُلَيْمٍ، أكبرُنا العِرباضُ بنُ ساريةَ، فبايعناهُ جميعاً».[٢١]

ونقلَ الذهبيُّ خبراً عن الواقديِّ، قال فيه:[٢٢] «إنَّ عتبةَ بنَ عبدٍ السُّلَميَّ عاشَ أربعاً وتسعينَ سنةً»، إذ تُوفِّيَ عتبةُ سنةَ (٨٧هـ). وهذا يعني أنَّ عتبةَ عاشَ بعدَ العرباضِ اثنتي عشرةَ سنةً، وكانَ عمْرُهُ حينئذٍ «اثنتين وثمانينَ سنةً» عند وفاة العِرْباضِ، لكنَّ العِرباضَ كانَ أكبرَ الرَّهْطِ من بني سُليْمٍ عند مبايعتهم رسول الله ﷺ، وهذا الكِبَرُ قد يكون بخمسَ عشرَةَ سنةً، أو أكثرَ، أو أقلَّ، لكنَّهُ قريبٌ من هذا والله أعلمُ.

وروى ابنُ عساكرَ عن العرباض خبراً جاء فيه:[٢٣] «دخلتُ مسجدَ دمشقَ، فصلَّيتُ فيه ركعتين، وقلتُ: اللهمَّ كبِرَتْ سنِّي، ووَهَنَ عظمي، وضَعُفَتْ قوَّتي، فاقبضني إليكَ. وإلى جنبي شابٌّ لم أرَ أجملَ منه، فقالَ لي: ما هذا الذي تقولُ؟ فقلتُ: فكيفَ أقولُ؟ قالَ: قلْ اللهمَّ حسِّنِ العملَ، وبلِّغِ الأجلَ». وكانَ «كلُّ واحدٍ من عمرِو بنِ عبَسَةَ،[٢٤] والعِرباضِ بنِ ساريةَ يقولُ: أنا رابعُ الإسلامِ،

(٢٠) عتبة بن عبد السُّلَميُّ أبو الوليد، صاحب النبيِّ ﷺ نزل الشَّام بحمصَ، وله أحاديث، وحدَّث عنه ولده يحيى وغيره، توفِّي سنة (٨٧هـ).

(٢١) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٤، و سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١ بتصرّفٍ يسيرٍ .

(٢٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٥٠، وشذرات الذهب ١/ ٣٥٤.

(٢٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٨، بتصرُّف يسيرٍ .

(٢٤) عمرو بنُ عَبَسَةَ بن خالدٍ بن حُذيفةَ، الإمام الأمير، أبو نجيحٍ السُّلَميُّ البجليُّ، وبُجيلةُ رهطٌ من سُليْمٍ، وهو رُبُعُ الإسلامِ، وكان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك، ونزل حمص باتفاق، مات بعد سنة ستيَّن للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٥٦– ٤٦٠ .

لايُدْرَى أيُّهُما أسلمَ قبل صاحبِهِ»[٢٥].

مما تقدَّمَ يتبيَّنُ أنَّ العرباضَ كانَ أكبرَ الذين بايعوا النبيَّ ﷺ من بني سُلَيْمٍ سِنّاً، وكان شيْخاً كبيراً يحبُّ أنْ يُقْبَضَ، وكان رابعَ الإسلامِ كما ذُكِرَ. وهذا يُشيرُ إلى أنَّ العِرْباضَ بلغَ المئةَ من السنينَ، أو كادَ أنْ يقتربَ منها.

٤- **قبيلتُهُ**: لاريبَ أنَّ العِرْباضَ بنَ ساريةَ السُّلميَّ البُهْثيَّ من قبيلةِ سُلَيْمٍ، وبُهْثةُ بطنٌ من سُلَيْمٍ.

قال ابنُ عساكرَ:[٢٦] «كان العِرْباضُ بنُ ساريةَ من بني سُلَيْمٍ بن منصور بن عِكْرِمةَ بن خَصفةَ بن قيسِ بن عيلان بن مُضر».

وذكر ابنُ حزمٍ الأندلسيُّ (ت ٤٥٦هـ):[٢٧] «وهؤلاءِ بنو سُلَيْمٍ بن منصور بن عِكْرِمةَ بن خَصْفةَ بن قيسٍ بن عيلان بن مُضر، ووَلَدُ سُلَيْمِ بنِ منصور بُهْثَةُ». وقال القلْقَشَنْدي: (ت ٨٢١هـ) «وبُهْثةُ - بضمِّ الباء - بطنٌ من سُليْمٍ، ومن بُهْثةَ جميعُ أولاده، وبنو سُلَيْمٍ - بضمِّ السين - قبيلةٌ عظيمةٌ من قيسِ عيلانَ، والنسبة إليه سُلَمِيٌّ، وهم بنو سُلَيْمٍ بن منصورٍ بن عِكْرِمةَ بن خَصْفةَ بن قيسٍ، وكانتْ منازلُهم في عاليةِ نجدٍ بالقربِ من خَيْبرَ، ومن منازلهم حَرَّةُ سُلَيمٍ، وحَرَّةُ النارِ، ووادي القُرى ، وتيماء ، وفي أفريقية منهم حيٌّ عظيمٌ، وفيهم الأبطالُ الأنجادُ،

(٢٥) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣.

(٢٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٩، ١٩٣.

(٢٧) جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١ بتصرُّفٍ يسيرٍ، وانظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ١٧١، ٢٧١، ٣٦٢.

والخيلُ الجيادُ».[٢٨]

فالعرباضَ من بني سُليم الذين سكنوا في عالية نجدٍ، وحرَّةِ سُليمٍ، وحرَّةِ النار، ووادي القُرى، وتيماءَ.

٥- **إسلامُهُ**: لاشكَّ أنَّ العِرباض بنَ ساريةَ السُّلَميَّ أبا نجيحٍ صحابيٌّ جليلٌ رضي الله عنه، أسلمَ قديماً، هو وعمرُو بن عَبَسَةَ، وعتبةُ بنُ عبدٍ، وغيرهم من بني سُلَيْمٍ. إذ قالَ عتبةُ بنُ عبدٍ السُّلَميُّ[٢٩]: «أتينا النَّبيَّ ﷺ ونحن سبعةٌ من بني سُلَيْمٍ أكبرُنا العِرباضُ بنُ ساريةَ، فبايعناهُ جميعاً». ونزلَ الصفَّةَ، وكان من البكَّائين الذينَ أنزلَ اللهُ فيهم في غزوة تبوك سنةَ تسعٍ للهجرةِ: ﴿ ولا على الذينَ إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم قُلْتَ لا أجدُ ما أَحْمِلُكُم عليهِ تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُم تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حَزَناً ألاَّ يَجِدوا ما يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة/ ٩٢] .

قال ابنُ هشام (ت٢١٣هـ) في غزوةِ تبوك: [٣٠] «إنَّ رجالاً من المسلمين أَتَوْا رسول الله ﷺ، وهم البكَّاؤون، وهم سبعةُ نفرٍ من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوْفٍ: سالم بن عُمَيْر، وعُلْبَة بن زيدٍ أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النجَّار، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو

(٢٨) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ١٧١، ٢٧١، ٣٦٢ بتصرُّفٍ يسيرٍ .

(٢٩) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١ بتصرّفٍ يسيرٍ .

(٣٠) السيرة النبويّة لابن هشام ٤/ ١١٩-١٢٠، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٢٨، والبداية والنهاية ٥/ ٦، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣.

بني سلمةَ، وعبد الله بن المِغفَّل المزنيّ – وبعضهم يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزني–، وهَرْمي بن عبد الله أخو بني واقفٍ، وعِرْباض بن ساريةَ الفزاريّ».

وأشار الطبريُّ (ت ٣١٠هـ) إلى خبرٍ في تفسيرِهِ، جاء فيه:[٣١] «حدَّثنا عبد الله بنُ الزبير، عن ابنِ عيينةَ، عن جُريجٍ، عن مجاهدٍ في قولهِ: ﴿تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُم تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حَزَناً﴾، قال: منهم ابنُ مقرِّن، وقال سفيان: قال الناس: منهم عرباضُ بنُ ساريةَ. وقال آخرون، بل نزلَتْ في عرباضِ بنِ ساريةَ، وعن عبد الرحمن بن عمرٍو السُّلميِّ[٣٢] وحجر بنِ حجرٍ الكلاعيِّ[٣٣] قالا: دخلنا على عرباضِ بنِ ساريةَ، وهو الذي أُنزل فيه:﴿ولا على الذينَ إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم﴾».

وذكر قاضي القضاة سري الدين أبو البركات عبد البَرِّ (ت٩٢١هـ) البكَّائين في غزوة تبوك في شعرٍ نظمَهُ بأسمائهم، وهم الذين نزلت فيهم: ﴿ولا على الذينَ إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم قُلْتَ لا أجدُ ما أَحْمِلُكُم عليهِ تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُم تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حَزَناً ألاَّ يَجِدوا ما يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة/ ٩٢]، قال:

ألا إنَّ بَكَّـاءَ الـصحابةِ سـبعةٌ لِكَـوْنِهِمُ قـد فـارقوا خـيرَ مُرْسَـلِ
فَعَمْـرٌو أبـو لـيلى وعُلْبـةُ سـالمٍ كـذا سَـلْمَةٌ عِربـاضُ وابـن مُغْفَـلِ

(٣١) تفسير الطبري ١٤/ ٤٢٢.

(٣٢) هو عبدالرحمن بن عمرٍوبن عَبَسَةَ السُّلميِّ، ثقة، مترجم له في التهذيب. انظر تفسير الطبري ١٤/ ٤٢٢، الحاشية رقم (١).

(٣٣) حجر بن حجر الكلاعي، ثقة. انظر تفسير الطبري ١٤/ ٤٢٢، الحاشية رقم (١).

وذيَّل عليه والدُ البدرِ الغزِّيِّ، فقال:

كَثَعْلَبَةٍ عمرٌو وصخْرٌ وديعةٌ وعبدُ بن عمرٍو وابنُ أزرقَ مَعْقِلُ

وذكرَ البدرُ الغزي (ت ١٠٦١هـ) خبراً جاء فيه: «قال الشيخُ الوالدُ ﷺكنتُ قبل أن أقفَ على بيْتيّ القاضي عبد البَر قد استوفيْتُ أسماءَهم، ونظمتُها في هذه الأبياتِ»:

وفي الصّحبِ بكَّاؤونَ بِضْعَةَ عَشْرَ قَد بَكَوْا حَزَناً إذْ فارقوا خيْرَ مُرْسَلِ
فمنهم أبو ليلى وعمرُو بنُ عَتْمَةٍ وصخرُ بنُ سلْمانٍ ورَبِّعْ بمَعْقِلِ
كذلك عبدُ الله وهو ابنُ أزرقٍ كذاك ابنُ عمرٍو ثمَّ نجلُ مُغْفَلِ
وثعْلَبةٌ وهو ابنُ زيدٍ وسالمٌ هو ابن عُميْرٍ في مقالٍ لهم جلي
أبو عَلْيَةَ أو عُلْبةَ ووديعةٌ وبالأمجدِ العِرْباضِ للعدِّ أكْملِ[٣٤]

وقال ابن عساكرَ:[٣٥] «كان عتبةُ بنُ عبدٍ يقولُ: العِرباضُ بنُ ساريةَ خيرٌ منِّي، سبقني إلى النبيِّ ﷺبسنةٍ».

وقد استعملَ رسولُ الله ﷺ العرباضَ رسولاً- وآخرين معه - إلى بني سُلَيمٍ حين أراد الخروجَ إلى فتح مكَّةَ، إذ قال ابن عساكر:[٣٦] «بعثَ رسولُ الله ﷺ- حين أرادَ الخروجَ لغزوِ مكَّةَ- إلى بني سُلَيْمٍ الحجَّاجَ بنَ عِلاطٍ، ثمَّ البَهْزِيَّ، وعِرْباضَ بنَ ساريةَ».

كلُّ ما تقدَّمَ ذكْرُهُ من أخبارٍ حولَ إسلامِ العرباضِ بنِ ساريةَ يدلُّ على

(٣٤) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/ ٢٢٠ -٢٢١، وشذرات الذهب ١٠/ ١٤٣.

(٣٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٥- ١٩٦، وانظر البداية والنهاية ٩/ ٧٨.

(٣٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٥.

إسلامهِ المبكِّرِ، وعلى إيمانهِ برسالةِ الإسلامِ، التي جاءَ بها رسولُ اللهﷺ، واستعمالهِ رسولاً لرسولِ اللهﷺ إلى بني سُليْمٍ وغيرهم.

١-**مسْكنُهُ**:لقد أشارتْ جُلُّ الرواياتِ التي تحدَّثتْ عن سيرةِ الصحابيِّ الجليلِ العِرباضِ بنِ ساريةَ السُّلَميِّرضي الله عنه إلى انتقالِهِ من الحجاز إلى الشام، ومنها إلى حِمْصَ وحُوْلَتِها التي رقد فيها، شأنُهُ في ذلك شأنُ كثيرٍ من الصحابةِ الذين نزلوا حمصَ إبَّانَ الفتحِ الإسلاميِّ، وسكنوها وماتوا ودفنوا فيها، وكانوا جمعاً كبيراً، ومنهم العرباض رضي الله عنه (٣٧).

وقد تتبعتُ مسكنَ العِرباضِ في المظان التي وقفتُ عليها، فوجدتُها كما يلي:

أ- **نزولُهُ في الشام**: ذكرَ ابنُ سعدٍ في طبقاتِهِ (ت٢٣٠هـ) (٣٨) أنَّ العِرباضَ بنَ ساريةَ السُّلميَّ، ويُكنَّى أبا نجيحٍ توفِّيَ في الشام.

ونقلَ ابنُ عساكرَ عن أبي زُرعةَ في طبقاتهِ ، قولَهُ فيمن نزلَ الشام من مصرَ(٣٩): العِرباض بن ساريةَ السُّلَميّ، وعن الحاكم قولَهُ(٤٠): أبو نجيحٍ العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلَميُّ، من بني سُلَيْم بنِ منصور بنِ عِكْرِمةَ ... له صحبةٌ مع رسولِ اللهﷺ، سكنَ الشامَ، ونقلَ عن الحافظِ في الطبقة الأولى من الأسماء المنفردة قولَهُ:«عرباضُ بنُ ساريةَ نزلَ الشامَ»، وأشارَ إلى وفاتهِ قال: توفِّيَ العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ، في الشام(٤١) .

(٣٧) انظر تاريخ حمص ٢/ ٦٤ ، الذين نزلوا حمص من الصحابة زهاء أربعمئة صحابيٍّ تقريباً، وقد يزيدون على هذا.

(٣٨) الطبقات الكبرى ٧/ ٤١٢.

(٣٩) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٠ .

(٤٠) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٣، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٩.

(٤١) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٩ بتصرُّفٍ يسيرٍ .

ونقلَ عن عُرْوَةَ بنِ رُوَيْمٍ، عن العِرْباضِ بنِ ساريةَ قولَهَ[٤٢]: دخلتُ مسجدَ دمشقَ، فصلَّيْتُ فيه رَكْعَتينِ.

وأشار الذهبيُّ إلى موتِ العِرباضِ في الشامِ، قال:[٤٣] «وماتَ العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ، أحدُ أصحابِ الصُّفَّةِ في الشامِ». وذكرَ ابنُ الأثيرِ (ت٦٣٠ هـ)[٤٤]، وابنُ العمادِ (ت١٠٨٩هـ) [٤٥] أنَّ العِرباضَ بنَ ساريةَ السُّلميَّ مات في الشام، وأشارَ النوويُّ (ت٦٧٦هـ)[٤٦] إلى أنَّ العِرباض بنَ ساريةَ السُّلميَّ نزلَ الشامَ وسكنَ حمصَ.

إذن الروايات التي تقدّمَ ذكرُها تجمعُ على انتقال العِرباضِ بنِ ساريةَ من الحجازِ إلى الشامِ، وموتِهِ فيها، لكنَّ الشامَ كبيرةٌ، وأعمالُها كثيرةٌ.

ب- **نزولُهُ في حمصَ الشامِ**: وأشارَ ابنُ عساكرَ إلى أنَّ العِرباضَ بنَ ساريةَ السُّلميَّ صاحبَ رسولِ الله ﷺ من أهل الصُّفة سكنَ حمصَ[٤٧]، وسمعَ أبا الحسنِ بنَ سُمَيْعٍ يقول:العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ حمصيٌّ، ونقلَ عن محمَّدِ بنِ عوفٍ: منزلُ العرباضِ بحمصَ عند قناةِ الحَبَشَة[٤٨] .

وذكرَ النوويُّ، وابنُ منظورٍ، والمِزيُّ، والذهبيُّ، والصفديّ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ حجرٍ، والسخاويُّ أنَّ العِرباضَ بنَ ساريةَ أبا نجيحٍ سكنَ حمصَ، ومنهم مَن

(٤٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٧ – ١٨٨ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٩.
(٤٣) العبر في خبر من غبر ١/ ٧٥ ، ودول الإسلام ١/ ٣٦.
(٤٤) الكامل في التاريخ ٤/ ١٥٠.
(٤٥) شذرات الذهب ١/ ٣١٣ .
(٤٦) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٠٤ .
(٤٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٢ ، وانظر تاريخ حمص ٢/ ٦٣ .
(٤٨) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩١ – ١٩٢ بتصرُّفٍ يسيرٍ .

قالَ[٤٩]: سكنَ حمصَ عند قناةِ الحَبَشَة.

ممّا تقدّم ذكرُهُ نرى أنَّ العِرباضَ نزلَ الشام، ثمَّ رحلَ إلى حمصَ ليسكنَ شطراً من حياتهِ فيها، ثمَّ انتقلَ إلى حولتِها، ليرقدَ فيها إلى يومنا هذا، شأنُهُ في ذلك شأنُ كثيرٍ من صحابةِ رسول اللهﷺ الذين سكنوا حمصَ ورقدوا فيها.

ج- نزولُهُ في حُوْلةِ حمصَ[٥٠]: ونقلَ ابنُ عساكرَ عمَّنْ نزلَ حمصَ مِنَ الصحابةِ جاء فيه: العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ، ويُكنَّى أبا نجيحٍ، ومنزلُهُ في الحُوْلَةِ[٥١]، وذكر ياقوتُ الحمويُّ (ت٦٢٦هـ)[٥٢] خبراً نقلَهُ عن القاضي عبد الصمد بن سعيدٍ في تاريخ حمص، قال: كان العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ يسكنُ حولةَ حمصَ، في قريةٍ يُقالُ لها: مريمين[٥٣]، وولدُهُ بها إلى اليوم. وأشار المِزيُّ[٥٤] إلى مَنْ نزلَ حمصَ من الصحابة العِرباض بن ساريةَ السُّلميّ، ويكنَّى أبا نجيحٍ، ومنزله في الحولةِ.

---

(٤٩) انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٥٦.

(٥٠) الحُولةُ بالضمِّ ثمَّ السكونِ: اسمٌ لناحيتين بالشَّام، إحداهما من أعمالِ حِمْصَ، ثم من أعمالِ بارينَ بين حِمْصَ وطرابلسَ، والأخرى كورةٌ بين بانياسَ وصُوْرَ من أعمالِ دمشقَ ذاتُ قرًى كثيرةٍ . انظر معجم البلدان ٢/ ٣٢٣-٣٢٤

(٥١) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩١ بتصرُّفٍ يسيرٍ .

(٥٢) معجم البلدان ٢/ ٣٢٣-٣٢٤.

(٥٣) مريمين قرية من أعمال حمص،ثمَّ من أعمالِ الحولة، تقع بالقرب من الحولة غربي قرية كفرلاها، وهي قريبة منها ، وتبعد عن حمص (٣٥كم) في الشمال الغربي منها. انظر جدول المسافات للقطر العربي السوري ص٥٣.

(٥٤) تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠.

ونقل ياقوت الحمويُّ(٥٥) عن القاضي عبد الصمد بنِ سعيدٍ في تاريخِ حمصَ، قال أحمدُ بنُ محمَّدٍ: سألتُ أبا معاويةَ السُّلميَّ عن مسجدِ عِرباضِ بنِ ساريةَ السُّلميِّ، فقال: منزلُهُ خارج حمص في قرية من قُرى حمصَ يُقال لها مريمين، وولدُهُ بها إلى اليوم.

وذكر المِزيُّ خبراً جاء فيه(٥٦): «قال أحمدُ بنُ محمَّدٍ بنُ عيسى البغداديُّ صاحبُ تاريخِ الحمصيينَ: سألتُ عن منزل العِرباضِ، فقيلَ لي عند قناة الحَبَشَة، وذكرَ أنَّ له منزلاً بمريمين، وولده بها إلى اليوم.

ومريمين من أعمال حمصَ ثمَّ من أعمالِ الحولةِ، إذ العرباضُ يرقدُ في شرقيّ مريمين في بلدة كفرلاها وهي من الحولةِ أيضاً، ومسجدهُ ومقامهُ فيها إلى اليوم.

د- مسجدُهُ ومقامُهُ في الحُولةِ: يرقدُ العرباضُ بنُ ساريةَ السُّلميُّ أبو نجيحٍ ﷺ في مقامهِ الذي يتوسَّطُ سهلَ بلدةِ كفرلاها، وهي إحدى بلدات الحولةِ واقعةً شرقيّ مريمينَ، والمقام يقعُ بالقربِ من رسمٍ دارسٍ عفا عليه الدهرُ، يُدْعى «جورجيا»(٥٧) ويدلُّ هذا الرسم على أنّ المنطقةَ كانتْ مأهولةً بالسكانِ منذُ زمنٍ بعيدٍ، وبجانب المقام مصلًّى صغيرٌ بُنيَ بالحجارة البازلتية الزرقاء، وعلى إحدى زوايا المصلَّى شاخصةٌ كُتبَ عليها (مسجد الصحابي الجليل العِرْباضِ بنِ ساريةَ). وسكَّانُ منطقةِ الحولةِ توارثوا اسمَهُ ولقَبَهُ كابراً عن كابرٍ، إذ يُدعى

(٥٥) معجم البلدان ٥/ ١١٩.

(٥٦) تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠ بتصرُّفٍ يسيرٍ .

(٥٧) لم أقفْ عليه في مظَّان البلدان التي عدتُ إليها.

عندهم (الشيخ الفارس)، وعلى مقربةٍ من المقام، من الناحية الجنوبيةِ، تقعُ قناةُ ماءٍ تصبُّ في سدِّ الرستن، وهي من روافد نهر العاصي، ولاسيَّما في فصل الشتاءِ، وأحسَبُ أنَّ هذه القناةَ قناةُ الحبَشَةِ التي تحدَّثَ عنها المؤرِّخون وأصحابُ السيرِ والتراجمِ، وسبقتِ الإشارة إليها، والله أعلم.

ويحدُّ مقامَ العِرباضِ من الجنوب بلدةُ تلْدَو، ومن الشمال الغربي قريةُ تلذهب، ومن الغرب بلدةُ كفرلاها ومريمينَ، ومن الشرق قريةُ طلّف، وهي من أعمال محافظة حماةَ.

٢-**أولادُهُ**:لم تذكرِ المظانُّ التي وقفتُ عليها أولاداً للعرباضِ إلا أُمَّ حبيبةَ(٥٨) التي كانتْ راويةً من راوياتِ الحديث، روتْ عن أبيها العرباضِ المتوفَّى سنة (٧٥) للهجرة، وروى عنها أبو خالدٍ وهبُ بنُ خالدٍ الحمصيُّ،(٥٩) وروى لها الترمذيُّ. وذكر المِزيُّ أنَّ أمَّ حبيبةَ بنتَ العرباضِ بنِ ساريةَ السلميِّ روتْ عن أبيها العرباضِ بنِ ساريةَ السلميِّ وروى عنها أبو خالدٍ وهبُ بنُ خالدٍ الحمصيُّ، وروى لها الترمذيُّ، وقد وقع لنا حديثُها عالياً جداً، أخبرنا به أبو إسحاقَ بنُ الدرجي، قال أنبأنا أبو جعفرٍ الصيدلانيُّ، قالَ أخبرنا أبو القاسم الطبرانيُّ، قالَ حدَّثنا أبو مُسلمٍ، قال حدثنا أبو عاصمٍ عن وهب أبي خالدٍ، قال

(٥٨) انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٣٧، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ٧/ ٤٧٧، وأعلام النساء ١/ ٢٤٢.

(٥٩) وهب بن خالد الحمصيُّ، روى عن أسد بن وداعةَ وأبي سفيان وأمِّ حبيبةَ بنتِ العرباض بن ساريةَ، وروى عنه أبو عاصمٍ النبيل، سمعتُ أبي يقول ذلك. انظر الجرح والتعديل للرازي ٩/ ٢٤.

حدَّثتْنا أمُّ حبيبةَ بنتُ العرباضِ بنِ ساريةَ عن أبيها أن النبيَّ ﷺ :نهى يومَ خيْبرَ عن كلِّ ذي نابٍ من السَّبُعِ وعن كلِّ ذي مِخْلَبٍ من الطيرِ وعن المُجَثَّمَةِ(٦٠)، وأن يُوْطَأْنَ الحبالى(٦١) حتى يضَعْنَ ما في بطونهن(٦٢).

ممّا تقدَّم نرى أنَّ أُمَّ حبيبةَ روتْ حديثَ رسولِ الله ﷺ عن أبيها العِرْباضِ، وكانتْ روايتُها للحديثِ عاليةً كما ذُكرَ. وتزدادُ سيرةُ العرباضِ وضوحاً كلَّما وقفنا على شيءٍ جديدٍ يتعلَّق بمسيرةِ حياتهِ من زهدٍ وورعٍ وغيرِهِ.

٣-**زُهْدُهُ ووَرَعُهُ**: لاريبَ أنَّ العرباضَ بنَ ساريةَ السُّلميَّ أبا نجيحٍ رضي الله عنه كان زاهداً ورعاً، تركَ الدنيا وزُخْرُفَها، وأيقنَ أنَّ عَرَضَها يسيرٌ. وأشارَ ابنُ عساكرَ، وابنُ منظورٍ، والذهبيُّ، وغيرُهُم إلى شيءٍ من زُهدهِ ووَرَعهِ، إذ نقلَوا عن العرباضِ قولَهُ: «لولا أنْ يقالَ: فعلَ أبو نجيحٍ لألحقتُ مالي بسُبُلِهِ، ثمَّ لحقتُ وادياً من أودية لبنانَ، فعبدتُ اللهَ حتّى أموتَ».(٦٣)

أي أراد أن يوزِّعَ مالَهُ ويُفرِّقَهُ في سبيل الله، لكنَّهُ خشيَ أن يكونَ ذلك طريقةً تُلتَزَمُ وتُحْتَذى من بعدهِ، وهذا ضربٌ من الزهدِ في الدنيا.

---

(٦٠) المجثَّمةُ: هي الحيوان المصبور، ينصب ليكون هدفاً للنبل والسهام حتى الموت. انظر اللسان (جثم) بتصرف يسير .

(٦١) في رواية أخرى السبايا، أي سبايا الحرب.

(٦٢) انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ١٤٧، وتهذيب الكمال ٣٥/ ٣٣٧.

(٦٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٤٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١-٤٢٢، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢/ ٢٥٧.

وذكرَ ابنُ عساكرَ، وابنُ منظورٍ، والذهبيُّ، وغيرُهُم أيضاً خبراً عن العِرباضِ يدلُّ على ورعهِ، إذ قالَ فيه: «أعطى معاويةُ المقدادَ حماراً من المغنمِ، فقال له العرباضُ بنُ ساريةَ: ما كان لكَ أن تأخُذَهُ، وما كان لمعاويةَ أن يُعْطيَكَهُ، كأنِّي بكَ في النارِ تحملُهُ على عُنُقِكَ أسفلُهُ أعلاهُ، فردَّهُ». وكان العرباضُ من أعيان الصُّفَّة[٦٤] ومن البكَّائين الذين أنزلَ اللهُ فيهم[٦٥]: ﴿ولا على الذينَ إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم قُلْتَ لا أجدُ ما أَحْمِلُكُم عليهِ تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُم تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حَزَناً ألاَّ يَجِدوا ما يُنْفِقُونَ﴾[التوبة/ ٩٢]، وذلك في غزوة تبوك.

مثل هذه الآثارِ وغيرِها التي وردتْ عن العِرباضِ تدلُّ على ورعِه وزُهْدِهِ، ولاسيَّما أنه أوصى، فقال: «ألْحِدوا لي لحداً، وسنُّوا عليَّ الترابَ سنًّا، ولا تجعلوه ضريحاً»[٦٦]، وهذا شأن الزُّهّادِ والورعين الذين رغبوا عن الدنيا وملذَّاتها وزخارِفِها.

٤- جهادُهُ في سبيل الله: لاشكَّ أنَّ العرباضَ شاركَ رسولَ اللهﷺ بغزواته وفتوحاتهِ، شأنُهُ شأن أصحابِ رسولِ الله الذين خرجوا معهُ مجاهدين فاتحين

(٦٤) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٢، ١٩٤، والعبر في خبر من غبر ١/ ٧٥ ، ودول الإسلام، ١/ ٣٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٩، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣.

(٦٥) انظر تاريخ مدينة دمشق٤٧/ ١٨٦، و الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢٠، والبداية والنهاية ٥/ ٦، و ٩/ ١٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣.

(٦٦) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٨، و مختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٤٢. و سنّنْتُ الترابَ: أي صببْته على وجه الأرض صبّاً سهلاً. وفي حديث عمرو بن العاص عند موته: «فسنُّوا عليَّ التراب سنًّا». انظر اللسان (سنن)، و الضريح: الشَّقُّ وسط القبر، واللحدُ في الجانب . انظر اللسان (ضرح).

رافعين رايةَ الإسلام، والعرباضُ يروي لنا حديثاً وهو في تبوكَ مع جيوشِ الفتحِ، إذ قال[٦٧]:«كنتُ ألزمُ بابَ رسولِ الله ﷺ في الحَضَرِ والسَّفَرِ، فرأينا ليلةً ونحن بتبوكَ، وذهبنا لحاجةٍ، فرجعنا إلى منزل رسول اللهﷺ وقد تعَشَّى ومَنْ عندَهُ مِن أضيافِهِ، ورسول اللهﷺ يريدُ أن يدخلَ في قبَّتِهِ، ومعه زوجتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بنتُ أبي أميَّةَ، فلمَّا طلَعْتُ عليه قال: أينَ كنتَ منذُ الليلةِ؟ فأخبرتُهُ، فطلعَ جُعالُ بنُ سراقةَ، وعبد الله بنُ مغفَّل المُزَنيُّ، فكنّا ثلاثةً، كلُّنا جائعٌ يعيشُ ببابِ رسول الله ﷺ. فدخلَ رسول اللهﷺ البيتَ، فطلبَ شيئاً نأكُلُهُ، فلم يجدْهُ، فخرجَ إلينا، فنادى بلالاً: يا بلالُ، هل من عشاء لهؤلاء النَّفَرِ؟ قال: لا، والذي بعثكَ بالحقِّ، لقد نفَضْنا جُرُبَنا، وحُمُتَنا[٦٨]، قال: انظر عسى أن تجدَ شيئاً؟ فأخذ الجُرُبَ ينفضُها جِراباً جِراباً، فتقعُ التمْرةُ والتمرتانِ حتى رأيتُ بين يديه سبعَ تَمراتٍ، ثمَّ دعا بصَحْفةٍ، فوضعَ فيها التمرَ، ثمَّ وضعَ يدَهُ على التمراتِ، وقال: «كلوا بسم الله»، فأكلنا، فأحصيْتُ أربعاً وخمسين تمرةً أكلتُها، أعدُّها، ونَواها في يدي الأخرى، وصاحبايَ يصنعانِ ما أصنعُ، وشبعنا، وأكلَ كلُّ واحدٍ منّا خمسين تمرةً، ورفعنا أيدينا فإذا التمراتُ السبعُ كما هي، فقال: «يا بلالُ، ارفعها في جرابك، فإنّهُ لا يأكلُ منها أحدٌ إلا نهلَ شِبَعاً».

من هذا الحديث الذي رواه العِرباضُ وهو في تبوك، يتبيَّن لنا أنّه كان في جيش الفتح جُنْديّاً غازياً فاتحاً مقاتلاً رافعاً رايةَ الإسلام عالياً، هو وسائر

(٦٧) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٦– ١٩٧.

(٦٨) الحُمُتُ: جمع حَميت، وهي النحي والزّقّ الذي يوضعُ فيه السمنُ. اللسان (حمت).

أصحاب رسول اللهﷺ، ومن نزوله الشام، ثمَّ انتقاله إلى حمصَ، ووفاته في حولتِها، نستدلُّ على مشاركته في جيوش الفتح الإسلامي. وذكر الطَّبريُّ خبراً جاء فيه(٦٩): «شهدَ اليرموكَ ألفٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، فيهم نحو مئة من أهل بدرٍ، وكان أبو سفيان يسيرُ فيقفُ على الكراديسِ، فيقولُ: الله الله إنّكم ذادةُ(٧٠) العربِ، وأنصارُ الإسلام، وإنَّهم ذادةُ الرُّوم وأنصارُ الشركِ». وأشارَ الذهبيُّ إلى أنّ (٧١)«عَمْرَو بنَ عَبَسَةَ، كان من أمراءِ الجيشِ يومَ وقعةِ اليرموك». والعرباضُ وعمرُو بنُ عبسةَ سواء، أسلما معاً مع رهطٍ من بني سُلَيْمٍ، وكان كلُّ واحدٍ منهمايقول(٧٢): أنا رابع الإسلام، لايُدْرَى أيُّهما أسلمَ قبل صاحبهِ. وكلاهما نزلَ الشام ثمّ سكنا حمصَ، وماتا ودفنا فيها وفي أعمالها.

هذا الذي تقدَّمَ يدلُّ على أنّ أصحاب رسول الله ﷺخرجوا من الجزيرة العربيّة مع جيوش الفتح إلى مختلف بقاع العالم العربيِّ والإسلاميِّ غازين فاتحين ناشرين الإسلامَ، والعِرباضُ واحدٌ من هؤلاء الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين.

٥-**روايتُهُ لحديثِ رسولِ الله ﷺ**: عُدَّ العرباضُ بنُ ساريةَ السلميُّ من الصحابةِ الأوائل الذين روَوا الحديثَ عن الرسولِ ﷺ، إذ جعلَهُ الذهبيُّ من

(٦٩) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٧.

(٧٠) ذادة: جمع ذائدٍ ، وهو الحامي والدافع عن بلاده وغيرها. انظر اللسان (ذود).

(٧١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٥٧.

(٧٢) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء، إذ قال الذهبيُّ: لم يصحَّ أنّ العرباضَ قال: أنا رابع الإسلام.٣/ ٤٢١.

الطبقةِ الأولى من المحدِّثين الذين روَوا حديثَ رسولِ الله ﷺ، وذكرَ ابنُ عساكرَ، وابنُ منظورٍ، والمِزيُّ، والذهبيُّ، والصفديُّ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ حجرٍ، والسخاويُّ، أنَّ العرباضَ بنَ ساريةَ السلميَّ روى عن النبيِّ ﷺ أحاديثَ، وعن أبي عُبيْدةَ بنِ الجرَّاحِ(٧٣)، وروى له الإمامُ أحمدُ(٧٤)، وأصحابُ السُّننِ الأربعةِ. ومن الأحاديثِ التي رواها العِرباضُ عن النبيِّﷺ أَنَّهُ خرج رسولُ الله ﷺ فوعظَ الناسَ، ورغَّبَهم، ورهَّبَهم، وحذَّرَهم، وقال ما شاءَ اللهُ أن يقولَ، ثمَّ قالَ:(٧٥) «اعبدوا اللهَ، ولا تُشْرِكوا به شيئاً، وأطيعوا مَن ولاَّهُ اللهُ أمرَكم، ولا تُنازِعوا الأمرَ أهلَهُ، ولو كانَ عبداً حبشيًّاً، وعليكم بما تعرفون من سنّةِ نبيِّكم، والخلفاءِ الراشدين المهديِّين، وعضُّوا عليها بنواجذِكم بالحقِّ».

وحدَّثنا عبدُ اللهِ(٧٦) حدَّثني أبي حدَّثنا الْوَلِيدُ بنُ مُسْلِمٍ حدَّثنا ثَوْرُ بن يَزِيدَ حدَّثنا

(٧٣) المعين في طبقات المحدِّثين ص٣٩، وتاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٩-٣٤٠، وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٩، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٥٦.

(٧٤) أي أحمد بن حنبل، انظر البداية والنهاية ٩/ ١٣.

(٧٥) أخرجه أحمدُ في المسند ٤/ ١٢٦، وأبو داوود في السنن برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦) في العلم، والدارمي ١/ ٤٤، وابن ماجة برقم (٤٢) في المقدِّمة، وانظر تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٣ ، و مختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٩.

(٧٦) أخرجه أحمدُ في المسند ٤/ ١٢٦، وانظر كتاب المجروحين من المحدِّثين والضعفاء والمتروكين١/ ٩-١٠، وتاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٨٥- ١٨٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٩،والتمهيد لابن عبد البرَ٢١/ ٢٧٨.

خَالِدُ بن مَعْدَانَ قال: حدَّثَنا عبدُ الرحمن بنُ عَمْرٍو السُّلميُّ وَحُجْرُ بنُ حُجْرٍ قَالاَ: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بنَ سَارِيَةَ وهو مِمَّن نَزَلَ فيه ﴿وَلاَعلى الَّذِينَ إذاما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاأَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عليه﴾ [التوبة/ ٩٢]، فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِين وَمُقْتَبِسِين فقال عِرْبَاضٌ صلّى بِنَا رسول اللهَّ ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللهَّ كأنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فقال: «أُوصيكم بِتَقْوَى اللهَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وإن كان عَبْداً حَبَشِيًّا، فإنَّهُ من يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، فتمسَّكوا بها وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور، فإنّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ».

ممّا تقدَّمَ نرى أنَّ العرباضَ روى أحاديثَ كثيرةً عن الرسولِ ﷺ، منثورةً في مظانِّ الحديثِ، وروى عنهُ أصحابُها بسندٍ متَّصلٍ إلى النّبيِّ ﷺ، ولابدَّ من الوقوف على رُواةِ العِرْباضِ، حتَّى تغْدُوَ بهم روايتُهُ للحديثِ النّبويِّ واضحةً جَليّةً.

٦- **الذين روَوا عن العرباضِ الحديث النبوي الشريف:** مما لاشكَّ فيه أنّ العرباضَ بنَ ساريةَ كان من الطبقةِ الأولى من المحدِّثين، روى عن الرسولِ ﷺ أحاديثَ، وروى عنه جَمْعٌ من رواة الحديث النبوي، إذ أشارَ ابنُ عساكرَ، والذهبيُّ، وابنُ حجرٍ، والسخاويُّ، إلى الذين روَوا عنه حديثَ رسولِ الله ﷺ، إذ روى عنه: أبورُهم أحزاب بن أسِيْد السَّمَعي، وأبو أُمامة الباهليُّ، وجُبَيْر بن نُفَيْر، وحبيب بن عُبَيْدٍ، وحُجْر بن حُجْرٍ الكلاعيُّ، وخالد بن معدان، وسعيد بن هانئ الخولاني، وسُوَيْد بن جبلةَ، وشريح بن عُبَيْد، وعُبادة بن أبي أوفى النُّمَيْريّ، وعبد الأعلى بن هلال، وعبد الرحمن بن عمرو السُّلميُّ، وعبد الرحمن

بن ميْسرة أبو سلمةَ الحضرميّ، وعبد الله بن أبي بلال، وعمرو بن الأسود الكندي، والمُهاصِر بن حبيب، ويحيى بن أبي المُطاع، وأُمُّ حبيبةَ بنتُ العرباضِ. وروى عن العرباض غيرُ هؤلاء كما ذُكرَ.(٧٧)

٧- **وفاتُهُ** ﷺ:أجمعتْ جُلُّ المظانِّ التي ترجمتْ للعرباضِ بنِ ساريةَ على أنَّ وفاتَهُ وقعتْ في سنةِ (٧٥هـ) في حمصَ الشامِ، إذ ذكرَ ابنُ عساكرَ، وابنُ منظورٍ، والمِزيُّ، والذهبيُّ، والصفديُّ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ حجرٍ، والسخاويُّ، وابنُ العمادِ، وغيرُهُم أنَّ العرباضَ بنَ ساريةَ السُّلميَّ تُوفِّيَ في حمصَ الشامِ سنة (٧٥هـ).(٧٨)

ومن تتبُّعِ سيرةِ العرباضِ خَلَصْتُ إلى أنَّهُ صَاحَبُ رسولِ اللهﷺ وغزا معهُ وروى حديثَهُ، وعاشَ في عهد الخلفاءِ الراشدين، وأمضى شطْراً من حياتهِ في عهد الدولة الأُمويَّة، وسكنَ حمصَ الشام التي هي من المدنِ القديمةِ الحديثةِ الحيَّةِ في التاريخ، إذ توالى عليها أقوامٌ كثيرونَ من الجبّارين وغيرِهم قبلَ الإسلامِ وبعدَهُ، وأمَّها وزارَها وسكنَها الحكماءُ والعباقرةُ ونزلَ فيها جمعٌ كثيرٌ من الصحابةِ في أيامٍ خَلَتْ(٧٩)، وهذا العِرْباض بنُ ساريةَ السُّلَميُّ ﷺ واحدٌ من هؤلاءِ الصحابةِ الذين نزلوا حمصَ، ورقدَ في حُولَتِها.

---

(٧٧) انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٩، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٧٣، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢/ ٢٥٧، و تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٨.

(٧٨) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٩٨، وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢٢، والعبر في خبر من غبر١/ ٧٥، والإعلام بوفيات الأعلام، ص ٤٦، ودول الإسلام ١/ ٣٦، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٥٦.

(٧٩) وصل عدد الصحابةِ الذين نزلوا حمص وأعمالَها زهاء أربعمئة صحابيٍّ تقريباً ورقدوا فيها. انظر تاريخ حمص ٢/ ٦٤ .

المصادر والمراجع

١ – الاشتقاق لابن دريد، تح عبد السلام هارون، بغداد– العراق،ط٢، ١٩٧٩م.
٢ – الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي، تح رياض عبد الحميد مراد، وعبد الجبار زكّار، ط١، دار الفكر دمشق ١٩٩١م.
٣– أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، تأليف عمر رضا كحَّالة، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٩،٩م.
٤ – الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث، بيروت .
٥ – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تح محي الدين عبد الحميد، قم إيران.
٦ – البداية والنهاية لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان تح د/ أحمد أبوملحم.
٧–تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تح عبد الستار أحمد فرّاج، الكويت .
٨– **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، للذهبي، تح د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان– بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ط١.
٩– **تاريخ حمص**، لـمنير الخوري وعيسى أسعد، نشرته مطرانية الأرثوذكسية، ١٩٨٤م .
١٠–**تاريخ سوريَة ولبنان وفلسطين** للدكتور فليب حتِّي، ترجمة الدكتور كمال اليازجي، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٨م .
١١– **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٣.
١٢– **تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر**، تح سكينة الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق، ١٤١٧هـ –١٩٩٦م.
١٣– **تاريخ مصر القديم** للدكتور جباغ قابلو، اليرموك، تعز الجمهورية اليمنية، ٢٠٠١م .
١٤– **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، تأليف: الامام شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م، ط١.
١٥– **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)** لأبي جعفر بن جرير الطبري، تح

محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
١٦- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير الدمشقيّ.
١٧- **تقريب التهذيب**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد، سورية ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ط١، تح محمد عوامة.
١٨- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، المغرب ١٣٨٧هـ، تح مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري.
١٩- **تهذيب الأسماء واللغات**، تأليف: محي الدين بن شرف النووي،دار الفكر – بيروت ١٩٩٦ ط١، تح مكتب البحوث والدراسات.
٢٠- تهذيب الكمال، تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠ – ١٩٨٠، ط١، تح د. بشار عواد معروف.
٢١- **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**، دار إحياء التراث العربي بيروت–لبنان، ١٩٨٥م.
٢٢- **جدول المسافات للقطر العربي السوري**، إدارة المساحة العسكرية بدمشق، وحدة الكارتوغرافيا، ط١، ١٩٧٩.
٢٣- **الجرح والتعديل**، تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ، ط١، ١٩٥٢م.
٢٤- **جمهرة أنساب العرب** لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلميَّة، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٢٥- **جمهرة اللغة** لابن دريد، تح د/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط١ ١٩٨٧م.
٢٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لـ أحمد بن عبدالله الأصبهاني أبي نُعيْم، دار الكتاب العربي – بيروت ط٤، ١٤٠٥هـ.
٢٧- **حياة الصحابة** للعلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تح محمود الأرناؤوط، ورياض عبدالحميد مراد، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٨- **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تأليف: الحافظ الفقيه صفي الدين

أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، مكتب المطبوعات الإسلامية،دار البشائر حلب – بيروت١٤١٦ هـ، ط٥، تح: عبد الفتاح أبو غدة.

٢٩- **دول الإسلام** تأليف الإمام الحافظ المؤرّخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد، ط٢، ١٣٦٤هـ.

٣٠- **ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي**، تح د. عزّة حسن، منشورات وزارة الثقافة، ط٢، دمشق،١٩٧٢م- ١٣٩٢هـ.

٣١- **سلسلة العلاقات السوريّة المصريَّة عبر التاريخ**، للدكتور محمود عبدالحميد أحمد، جزء١، مطبعة ابن حيان دمشق ، ١٩٨٥م .

٣٢- **سنن ابن ماجه**، دار الفكر – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

٣٣- **سنن أبي داود**، دار الفكر ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٤- **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تح أحمد محمد شاكر وآخرون.

٣٥- **سنن الدارمي**، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧، ط١، تح فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي.

٣٦- **سير اعلام النبلاء** للذهبي، مؤسسة الرسالة، تح محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ط٧ ، ١٩٩٠م.

٣٧- **السيرة النبويَّة لأبن هشام**، قدَّم لها وعلَّقَ عليها وضبطها طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل بيروت.

٣٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد**، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت،ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٣٩- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري**، تح أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ،بيروت.

٤٠- **طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث**، تأليف أحمد بن هارون البرديجي أبو بكر، دار المأمون للتراث دمشق ، ١٤١٠، ط١، تح عبده علي كوشك.

٤١- **الطبقات الكبرى** لـمحمد بن سعد بن منيع الزهري، دار صادر بيروت.

٤٢- **العبر في خبر من غبر** للذهبي الدمشقي، تح د/ صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت،ط٢، ١٩٨٤م.

٤٣- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٧م.

٤٤- **قصَّة الحضارة لـ(ول ديورانت)** ، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربيَّة.

٤٥- **الكامل في التاريخ**، تأليف أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، تح عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤٦- **كتاب المجروحين من المحدِّثين والضعفاء والمتروكين**، لمحمد بن حبّان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، دار المعرفة بيروت لبنان،تح محمود إبراهم زايد، ١٩٩٢م.

٤٧- **الكنى والأسماء** لمحمد بن أحمد بن حمّاد الدولابي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، حيدر آباد، ط١٣٢٢،١هـ.

٤٨- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، للشيخ نجم الدين الغزيِّ، تح د/ جبرائيل سليمان جبور، دار الأفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٤٩- **لسان العرب لابن منظور المصري**، بيروت، دار صادر، ط١- ١٩٩٠م.

٥٠- **لسان الميزان**، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦، ط٣ ، تح دائرة المعارف النظامية، الهند.

٥١- **اللباب في تهذيب الأنساب**، تأليف أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر بيروت ،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٥٢- **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، للإمام محمد بن مكرّم المعروف بابن منظور، تح مأمون صاغرجي، دارالفكر.

٥٣- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ط١، تح مصطفى عبد القادر عطا.

٥٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة – مصر.

٥٥- **معجم البلدان**، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي

الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٦– **معرفة الرجال**، للإمام أبي زكريا يحيى بن معين، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، تح مطيع الحافظ وغزوة بدير.

٥٧– **المُعين في طبقات المحدِّثين لشيخ الحفّاظ شمس الدين الذهبي**، تح د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة للنشر، ط١٤٠٧،١هـ١٩٨٧م.

٥٨– **الموسوعة العربية في الجمهورية العربية السورية**، رئاسة الجمهورية، هيئة الموسوعة العربية، الجزء(١٥).

٥٩– **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي، دار الكتب العلمية بيروت – ١٩٩٥، ط١، تح الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

٦٠– **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، للقلقشندي، دار الكتب العلميَّة، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ –١٩٨٤م.

العربية من وجهة نظر الآخر

د. محمد عبدو فلفل(*)

لعل مقاربة واقع العربية بعد الوقوف على وجهة نظر الآخر فيها تكون أقرب إلى الموضوعية، لذا سنعرض لوجهة النظر هذه من خلال الأمور التالية: **نضج العربية وكفاءتها ، وا لعربية بين الثبات والتغير، والعربية في ميزان اليسر والعسر، والعربية بين لهجاتها ، والعربية في علاقتها باللغات الأخرى في العصر الحديث.**

أولا : نضج العربية وكفاءتها .

لا تشكو أي لغة في بنيتها من قصور عن الوفاء بالتعبير عن حاجات أبنائها، وهذا ما نص عليه غير واحد من اللغويين، يقول إدوارد سابير(لا نعرف شعبًا واحدًا ليست له لغة مكتملة التطور... فالقاعدة الأساسية للغة، من تطور النظام الصوتي الواضح المعالم، واقتران العناصر الكلامية بالمفاهيم، والاحتياط للتعبير الشكلي المرهف عن جميع العلاقات، كل ذلك يواجهنا باستمرار كاملاً ومنتظمًا في أية لغة نعرفها)(١).

(*) عضو الهيئة التدريسية في كلية الآداب الثانية بحماة.

(١) اللغة والخطاب الأدبي ٢٦-٢٧ .تر. سعيد الغامدي. وانظر: اللغة واللغويات ٤٧. جون ليونز . تر . د . محمد العناني ،و اللغة ٤٢١.جوزيف فندريس . تر . عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص.

وعبَّر الآخر عما لاحظه من نضجٍ واكتمال في بنية العربية، ففي معرض حديثه عن هذه اللغة يقول أرنست رينان (تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي ، لقد كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز : إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحديث لم تتعرض لأي تعديل ذي بال، اللغة العربية لا طفولة لها، وليست لها شيخوخة أيضًا)(٢). أما فندريس فيقول في تسويغه لسعة انتشار بعض اللغات العالمية(**القدرة** على الانتشار التي نشاهدها في بعض اللغات الهندية الأوربية أو السامية كاللغة العربية مثلاً ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة ، ولكن القيمة الذاتية للغة لها في ذلك نصيب)(٣). ويقول برنارد لويس: (يقال غالبًا عن العربية من الذين لا يعرفون شيئًا منها :إنها غامضة ومنمَّقة، وإن النصوص العربية مطنبة وتفتقر إلى الدقة وطنانة، وهذا الوصف للغة العربية الكلاسيكية غير صحيح أبدًا... اللغة العربية

(٢) الساميون ولغاتهم ١٦٣-١٦٤. د. حسن ظاظا .

(٣) اللغة ٣٥١. وإلى مثل ما ذهب فندريس ورينان ذهب ياروسلاف استاتكوفتش في العربية الفصحى الحديثة ٢٣-٢٤ ..وكارل هيكر في دراسات في العربية ٣٨. تحرير فولف ديتريش فيشر. تر. د. سعيد حسن بحيري . وانظر: التراث اللغوي العربي ١٥ . بوهاس ، جيوم ، كولوغلي. تر. د. محمد حسن عبد العزيز ، ود. كمال شاهين. و التطور النحوي للغة العربية ١٢٧. برجشتراسر .أخرجه وصححه وعلَّق عليه د. رمضان عبد التواب ، و اللغة العربية ؛ تاريخها ومستوياتها وتأثيرها ٩٤. كيس فريستيغ . تر. محمد الشرقاوي .

الكلاسيكية ناقل دقيق للفكر ...فهي أيضًا لغة تتصف بوضوح ودقة عاليين، وهي أداة تواصل علمية وفلسفية)[٤] وإلى مثل ذلك ذهب ديفيد جستس[٥] .

ويشير حاييم رابين وغيره إلى ما تتحلى به العربية من قوة كامنة تمكنها من التجدد والحياة دون الإخلال ببنيتها، فيقول (لم تكن هذه اللغة غنية بالصيغ والتراكيب ، لكنها كانت على درجة عالية من الطواعية التي مكنتها من الوفاء بحاجات ثقافة ، كانت على درجة عالية من التمدن والبراعة اللغوية من غير أن يؤدي ذلك إلى اختلال بنيتها)[٦] و هذه الميزة التجدُّدية مع المحافظة على أصالة البنية مما مكن العربية في نظرالآخر من الاستمرار، وسعة الانتشار.

ثانيًا : العربية بين الثبات والتغير .

لوحظ أن العربية لم تتعرض لتغيرات جوهرية في أسِّ بنيتها المجردة، وهذا ما نبه عليه يوهان فك[٧] وغراتشيا غابوتشيان[٨]، وتشارلز فرجسون،[٩] وأندرو

(٤) الإسلام والغرب ١٠٦. برنارد لويس. تر. د . فؤاد عبد المطلب.

(٥) انظر : محاسن العربية في المرآة الغربية ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٥٣،٣١٥، ٣٥٣، ٣٩٩. تر . د .حمزة قبلان المزيني .

(٦) دراسات في تأريخ اللغة العربية ٤٩-٥٠، وانظر: العربية الفصحى لفليش ١٩٢-١٩٤

(٧) انظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ١٤. يوهان فك . تر. د. رمضان عبد التواب .

(٨) انظر: نظرية أدوات التنكير والتعريف، وقضايا النحو العربي ١١٦ .غراتشيا غابوتشيان.

(٩) انظر : دراسات في تأريخ اللغة العربية ١٣٩-١٤٠

فريمان[١٠]،وديفيد جستس[١١] وهانز فير[١٢] ، وقد تراءت لهم العوامل المؤثرة في ثبات العربية فيما يلي:

١- **العامل الحضاري**، ويتمثل بالمدونة اللغوية للعربية الحافظة لتراثنا، وقد نبه على أثر هذا العامل في مسيرة هذه اللغة غير واحد من المعنيين[١٣] كيوهان فك في قوله (لقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة، يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية)[١٤].

٢- **العامل الديني**، وقد نص غير واحد[١٥] على أثره في حياة العربية.

٣- **العامل الاقتصادي والسياسي الذي** نبه فيشر على أثره في حياة العربية، فقال (في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين مرَّت العربية بنهضة شكلتها لتصير لغة الكتابة الحديثة، أو بالأحرى اللغة الفصحى للأمة العربية، فقد أدرك

(١٠) انظر : دراسات في تأريخ اللغة العربية ٤٩١، ٥١١

(١١) انظر كتابه «محاسن العربية في المرآة الغربية» ١٧-٢٠

(١٢) دراسات في تأريخ اللغة العربية ٨١

(١٣) انظر : محاسن العربية في المرآة الغربية ١٨

(١٤) العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب٢٤٢.

(١٥) انظر مثلاً : العربية لفك ٢١٦، ومحاسن العربية في المرآة الغربية ١٨، ودراسات في العربية لمجموعة من المستشرقين ١١-١٢.

العرب في ردِّ فعلٍ على التقائهم بشكل الحياة الأوربية، ضرورة تحويل لغة الثقافة الموروثة التي كانت حتى القرن الثامن عشر الميلادي مرتبطة بمضامين الإرث الثقافي الخاص.. ففي أكثر من عشرين بلدًا عربيًا تعد اللغة الرسمية للدولة، واكتسبت العربية أيضًا مع تزايد الأهمية الاقتصادية والسياسية لهذه الدول أهمية باعتبار أنها لغة دولية للتعامل والثقافة، وتحتل العربية ...المكانة السادسة في ترتيب لغات العالم)[١٦]. **وفي كلام** فيشر ما يدل على تعامل الآخر في الآونة الأخيرة خلافًا لما كان قبلاً[١٧] مع العربية على أنها لغة حية مع مزاحمتها بعاميات محلية، قد لا يستغني هذا الآخر عن العناية بها إلى جانب الفصحى، يقول كيس فريستيغ (حتى عقود قليلة مضت كان تدريس اللغة العربية يقوم على فكرة أنها لغة ميتة، وكانت الأقسام التي تقدم فصولًا في اللهجات قليلة، أما الآن فكل الأقسام تقريبًا في أوربا والولايات المتحدة ترمي إلى أن يعرف الطالب قسطًا حسنًا من الفصحى المعاصرة، وتتوقع منه أن يتعلم لهجة عربية واحدة على

(١٦) دراسات في العربية لمجموعة من المستشرقين ١٧.

(١٧) تعامل بعضهم في مطلع القرن العشرين مع العربية الفصحى على أنها لغة ميتة ، وممن زعم ذلك الألماني ولهلم سبيتا، والبريطاني ويلكوكس انظر : «تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر» للدكتورة نفوسة زكريا سعد، ولا سيما ص ١٢-٤٢ وما بعدها لغة الضاد في ملف المستشرقين . د . صالح زهر الدين . مجلة الفكر العربي ٩٤-٩٥ ، ٩٧.ع . ٦١ للعام ١٩٩٠.

الأقل)[١٨] وسنعاود الحديث فيما بعد بشيء من التفصيل عن علاقة العربية الفصحى بلهجاتها من وجهة نظر الآخر .

٤- **العامل الذاتي** . ويتمثل هذا العامل بما تراءى للآخر مما تتسم به العربية من الكفاءة، وتكامل البنية والقدرة على الثبات مع التجدد المستوعب لمستجدات الحياة ، وقد وقفنا من قبل على نصهم عليه غير مرة، واللافت هو توقفهم طويلًا ومفصَّلًا عند أثر القياس اللغوي في قدرة العربية على توليد الألفاظ الجديدة وعلى هضم ما تقترضه من الألفاظ ، وهو ما توقف عنده استتكفتش[١٩]، وبيَّن[٢٠] فريستيغ وهانز فير، وشتيفان فلد أن للقدرات التجددية الذاتية للغة العربية دورًا مهمًا في استمرارها. على أن ذلك لا يعني أنها عند الآخر ثابتة كليًّا، بل لا يعني أنها بمنأى عن النقد، وهذا ما سيتضح فيما يلي:

ثالثا : العربية في ميزان اليسر والعسر .

اللغات عامة على درجة لافتة من التعقيد والصعوبة، يقول روي سي هجمان (ربما كانت أعظم إنجازات البحث اللغوي في عصرنا الحديث هو أن يكشف لنا عن مدى تعقد قواعد كل لغة من لغات العالم...أي لغة مجموعة

(١٨) اللغة العربية لفريستيغ ١٧

(١٩) انظر:العربية الفصحى الحديثة، ٢٦-٢٧، ٣٦

(٢٠) انظر: على التوالي: اللغة العربية لفريستيغ ٢٠٤، ودراسات في تأريخ اللغة العربية ٨٢-٨٣، و دراسات في العربية لفيشر ١٤٩ -١٥٠

كبيرة من التقنيات المعقدة)[٢١] ويصنف الآخر العربية في اللغات الصعبة[٢٢] يقول ديفد جستس (اشتهرت العربية بأنها لغة صعبة، ومن ذلك أن معهد الخدمات الخارجية، وهو معهد لتعليم اللغات الأجنبية يتبع وزارة الخارجية الأمريكية يصنفها في قائمة أصعب اللغات، وهي القائمة التي تحوي إضافة إليها الصينية واليابانية والكورية فقط)[٢٣] على أن جستس نبه على(أن الجانب البنيوي المحض، أي نظام العربية المجرد لا يسهم في صعوبتها إلا بقدر ضئيل، فاللغة العربية من حيث البنية لغة مطردة ومصقولة بشكل غير معهود).[٢٤] والجدير بالذكر أن صعوبة اللغة لا تعني عدم تمكن أبنائها على الأقل من التكيف معها ومن التعبير والتفكير بها تفكيرًا بنَّاء ومبدعًا، كاليابانية والصينية والكورية التي صنفت في أكثر لغات العالم صعوبة، إضافة إلى العربية التي نبه ديفد جستس على أن الحديث عن صعوبتها غير بريء من التحامل[٢٥] عليها، يقول جستس

(٢١) اللغة والحياة والطبيعة البشرية ١٤٨، ١٥٨. روي. سي . هجمان . تر .د. داود حلمي أحمد السيد. وانظر: اللغة ٢٥.

(٢٢) انظر:العربية الفصحى ٣١ ،٦٢.و العربية ١٢،٢١، ليوهان فك ، ومحاسن العربية في المرآة الغربية٢٥، يقول برنارد لويس في «الإسلام والغرب» ١٧-١٧٣تعلُّم اللغة العربية تعلُّمًا مناسبًا فضلاً عن إتقانها يستغرق وقتًا وجهدًا كالذي يستلزمه تعلم عدة لغات أوربية .

(٢٣) محاسن العربية في المرآة الغربية٢٥.

(٢٤) محاسن العربية في المرآة الغربية ٢٥-٢٦.

(٢٥) لمعالم من هذا التحامل و ردِّ جستس لغير قليل منه كاتهام العربية بالانتفاخ والعنف، والحشو والإطناب، وعدم النضج، والأصوات الحلقية العدائية. انظر: محاسن العربية في المرآة الغربية ٥٣-٥٤ ،٦٣-٦٨.

(ظلت اللغة العربية ضحية للتنميط والغرائبية نفسيهما اللذين عانت منهما اللغة الصينية ، وربما أسهمت العوامل السياسية في تعاظم سوء الفهم)[٢٦] ولا يتنكر جستس لما في العربية من إشكاليات ومثالب، ولكنه يرى أن الأساسي في هذا الباب يقع خارج اللغة بوصفها نظامًا مجردًا، أي إنه يقع في ملابسات أدائية وتاريخية واجتماعية وحضارية[٢٧] كالازدواجية بين العربية ولهجاتها، وكثرة مترادفات هذه اللغة كثرة مفرطة يصعب التحكم بها، ويُفقد اللغة الدقة في المصطلح[٢٨]، وقصور نظامها الكتابي، وعدم وجود طرق معترف بها لتعليمها، وسنعرض فيما يلي لبعض هذه المسائل .

رابعًا : العربية بين لهجاتها .

إشكالية العلاقة بين اللغة المشتركة ولهجاتها إشكالية عالمية، لذا يقول أندريه مارتينيه (ليس من النادر أن كثيرًا من الأشخاص الذين أتقنوا الفرنسية المعيارية المدرسية فحسب يصابون بالحيرة لدى وصولهم إلى فرنسا...من الأفضل لكم عند ما تُعَلِّمون الإنكليزية مثلًا أن تُسْمِعوا بضعَ أسطوانات على الأقل لأشخاص يتكلمون اللهجة اللندنية، حينما وصلت إلى لندن للمرة الأولى لم أفقه شيئًا على الإطلاق مما قاله لي بوَّاب الفندق، ومع ذلك فقد كنت

(٢٦) محاسن العربية في المرآة الغربية ١٣ .

(٢٧) لاحظتُ أن هذه هي المعالم الأبرز لصعوبة للغة العربية والتي يقر بها جستس . انظر : محاسن العربية في المرآة الغربية ٢٨– ٤٥، ٥٩، ١٢٨، ٢٨٣،٢٧٨.

(٢٨) لمشكلات الثروة اللفظية في العربية انظر: محاسن العربية في المرآة الغربية ٢٨٣ والعربية الفصحى الحديثة لاستتكفتش ٥٨-٥٩، والإسلام والغرب ١٠٣-١٠٤.

أتكلم الإنكليزية جيدًا، لم يكن ثمة مشاكل مع أصدقائي الطلاب)[٢٩] وخطورة إشكالية العلاقة بين اللغة الموحدة ولهجاتها تختلف من لغة إلى أخرى، فلهجات العربية الفصحى مثلاً عقبة كأداء تحول دون الاكتفاء بإتقانها للتواصل مع سائر أبنائها الذين لا يتقنون إلا لهجة من لهجاتها، وهو ما لاحظه الآخر كاستتكفتش[٣٠]، وأندور فريمان[٣١] وأوتو ياسترو[٣٢]، بل إن فريستيغ يرى أن (العامية في حقيقة الأمر هي اللغة الأم لكل الناس، على حين لا يستعمل الناس الفصحى إلا في مواقف معينة..الفرق بين معظم الجماعات اللغوية الغربية والعالم العربي هو الهوة الكبيرة الموجودة بين العاميات العربية والفصحى)[٣٣] . وذهب آخرون[٣٤] كالألماني ولهلم سبيتا، والبريطاني ويلكوكس، من قبل إلى ما هو أخطر من ذلك حين زعما أن العربية الفصيحة لغة ميتة، وأنها سبب تخلف العرب، وأنه لا حل لهذه المشكلة إلا بالتخلي عنها، واعتماد كل بلد عربي للهجته المحلية .

(٢٩) وظيفة الألسن وديناميتها ٥٢-٥٣. أندري مارتينيه. تر . نادر سراج ط١ بيروت ١٤١٦-١٩٩٦، وانظر : اللغة العربية لفريستيغ ١٣١،

(٣٠) انظر : العربية الفصحى الحديثة ٢٨٤-٢٨٥

(٣١) انظر: دراسات في تأريخ اللغة العربية ٤٨١، ٤٩١، ٥٠٠-٥٠١.

(٣٢) انظر: دراسات في العربية ٣٢٩.

(٣٣) اللغة العربية لفريتسيغ ٢١٦، ٢٢٤. وانظر: ١٠٩منه .

(٣٤) انظر: «تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر»، ولا سيما ص ١٢-٤٢ وما بعدها، ولغة الضاد في ملف المستشرقين. مجلة الفكر العربي ٩٤-٩٥ ، ٩٧.

وقد أشار بعضهم كفرستيغ، وأندور فريمان ويوهان فك [٣٥] إلى ما لتفعيل الثقافة والتعليم في العالم العربي من أثر في جَسْر الهوة بين العربية ولهجاتها، على حين دعا آخرون من أجل ذلك إلى إيجاد عربية حديثة متطورة عن القديمة ومتأثرة بروح اللغات الأوربية الحديث، يقول استتكفتش (العربية الحديثة تبتعد الآن عن اللغتين كلتيهما؛ الفصحى والعامية، فَعَلى تحتفظ بالبناء الصرفي للعربية الفصحى، تقترب من حيث التركيب النحوي والأسلوبي من الشكل والروح من طائفة اللغات التي تعبر عن الثقافة الغربية، وهذا مشروط بأن تمضي العربية المعاصرة في هذا الطريق إلى مداه، وربما لا يمضي جيلان أو ثلاثة حتى تصبح عضوًا متكاملًا في طائفة الثقافة الغربية، وحيث تسهم بدور كامل في هذه الجماعة اللغوية المشتركة، سوف يخضع النحو عندئذ لتغيرات بعيدة الأثر، فرضتها عليه دينامكية الفكر الغربي، فأنماط الجملة الفعلية والاسمية لن تكون الخواص النحوية الأساسية، وبدلًا من ذلك سوف يكون مفهوم النبر الدلالي حاكمًا لترتيب عناصر الجملة، وسوف يتطلب هذا تغييرًا طبيعيًا في الاتجاه من الجانب الشكلي القواعدي إلى الجانب الأسلوبي الديناميكي ..والجملة العربية سوف تصبح أغنى بالجمل التابعة، وسوف يصبح نظامها وترتيب عناصرها مرنًا كالعادات الفكرية الحديثة...و محاكاة الأساليب المعربة سوف يتبعه سلسلة

(٣٥) انظر: دراسات في تأريخ اللغة العربية ٥١٣، واللغة العربية لفريستيغ ١١٣١، والعربية ٢٣٩، ٢٤١.

من المشتقات الأسلوبية الفعالة، والتي ستبدو أصيلة في إطار الروح اللغوية الجديدة، و مستقبل اللغة العربية ... سيكون في خط مستقيم للتطور غير بعيد عن الصرف الساميِّ القديم متوجهًا إلى نحو غير ساميٍّ تفرضه عادات التفكير أكثر مما تفرضه عادات الحديث اليومي الحي)[٣٦]. وبهذه الحلة الجديدة التي تنبأ بها استتكفتش للعربية ستحل هذه اللغة إشكاليات علاقتها بعامياتها ،فـ(عندئذ فحسب سيكون العرب، بامتلاكهم لغة يفكرون بها، قادرين على التغلب على مشكلة الصراع بين الفصحى والعامية، فالفصحى التقليدية كانت وسوف تكون عاجزة عن مواجهة العاميات، لأنها لا تُعبِّر عن العادات الفكرية للذين يستعملونها، إن العربية الحديثة التي نحاول تحديدها وتعريفها هنا سوف تصبح لغة للفكر المتطور تمامًا، وسوف تحلّ محلّ اللهجات المنطوقة دون أن تطمسها طمسًا مصطنعًا)[٣٧] وما يعلق به على مزاعم استتكفتش هذه أمور، سنعرض لها بتفصيل أكثر بعد قليل، لدى الحديث عن تصور الآخر للعربية في علاقتها باللغات الأوربية الحديثة، أما الآن فسنكتفي بالإشارة إلى أن الوقائع التاريخية لاحتكاك العربية بلغات الأمم الأخرى من فرس ورومان وأتراك، وأوربيين في التاريخ الحديث والمعاصر، لم تأت بما توحي به مزاعم استتكفتش، فقد مضى على مصارعة العربية للغات الأوربية في العصر الحديث على الأقل منذ حملة نابليون

(٣٦) العربية الفصحى الحديثة ٢٨٤-٢٨٥ . لأغراض أسلوبية أخضعت النص لبعض التغيير.

(٣٧) العربية الفصحى الحديثة ٢٨٥

على مصر سنة ١٧٩٨ ما يربو على القرنين، ومع ذلك لم تؤل إلى ما يتنبأ به لها استتكفتش على المستوى النحوي خاصة، على ما تعرضت له هذه اللغة من محاولات التتريك والفرنسة وغيرهما[٣٨] من محاولات إقصائها وإحلال اللهجات العامية محلها، بل اقتصر الأمر على تبادل التأثير المفرداتي، وهو بالتأكيد ما سيقتصر عليه أثر الاحتكاك باللغات الأوربية الحديثة في اللغة العربية مادامت محصنة بعوامل حصانتها التي ذكرناها قبل قليل، بل يمكن القول: إن حال العربية في حقبتنا هذه، على شكوانا المحقة من سوئها، أفضل بكثير مما كانت عليه في حقب الحكم العثماني أو الأوربي للبلاد العربية ، وذلك بفعل ما شهدته هذه البلاد من تحسن نسبي في المستوى التعليمي، وبفعل ما وفَّره تطور وسائل التواصل المجتمعي من انتشار للعربية الفصحى في ميادين لم تكن لتبلغها قبل القرن العشرين – كما يرى ستيفان فلد الذي يقول: (وسَّع التطور التقني من طريق الإذاعة والفيلم والتلفزة إلى حد بعيد مجال العربية المنطوقة، وليس اللهجة ، فقد نشرت التقنية التعبير اللغوي المطابق لمعيار العربية الفصحى نَشْرًا مكثفًا ومستمرًا، وأفاد من ذلك التعبير اللغوي المطابق للفصحى في مجالات سيطرت عليها حتى الآن اللهجة ، فالكلمة العربية الفصيحة زحفت إلى مواضع كانت محجوبة عنها حتى الآن... كان القرن التاسع عشر زمن البعثات الدراسية إلى

(٣٨) يمكن الوقوف على ذلك في «تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر» ١٩٦٤ و«لغة الضاد في ملف المستشرقين» مجلة الفكر العربي . ٨٧-١٠٣.

أوربا، والحوار العقلي للأفكار الأوربية ، وكان لهذا الحوار على طَريق ما هو لغوي وأدبي نغمة عليا سياسية، لا يمكن تجاهلها..وعن هذا الحوار نجمت العربية الفصحى الحديثة، وبدأ المثقفون العرب الذين تعلموا الفرنسية أو الإنكليزية تحت ضغط هذا الحوار في استعمال العربية لمضامين وصيغ لم تُستعمل لها إلى ذلك الوقت مطلقًا، وترجمت كتب على نحوٍ متزايد من اللغات الأوربية إلى العربية)[٣٩].

ولاشك أن العوامل الأساسية الكفيلة بجَسْر الهوة بين العربية الفصحى ولهجاتها هي انتشار التعليم بهذه العربية، وتفعيل دور الفصحى ما أمكن في مختلف أوجه النشاط اللغوي، والتنبه على الغايات غير العلمية[٤٠] لتشجيع الآخر على دراسة العاميات العربية، وعدم التخلي عن العربية الفصحى خيارًا وحيدًا كلغة رسمية في البلدان العربية ، وهذا ما تنصح به بعض الأصوات في تصور الآخر لحالة اللغة العربية، وفي ذلك يقول هانز فير(لا شك أن لوجود لغة مكتوبة موحدة في الأساس في الأقطار العربية كلها من العراق إلى المغرب قيمة عظيمة للذين يتكلمون العربية، مثاليًّا وعمليًّا، إذ هي رمز وحدتهم الحضارية القديمة، ووحدتهم السياسية في الوقت الحاضر، لهذا فإنه يمكن الاستنتاج أنه لا يوجد سبب يجعلنا نتوقع أن يُستبدل باللغة المكتوبة لهجة محلية، أو أن تنحى عن

(٣٩) دراسات في العربية لفيشر ١٤٣-١٤٤.

(٤٠) من المعروف أن الأغراض الاستعمارية هي العامل الأساسي لتشجيع المستشرقين على دراسة اللهجات . انظر : تاريخ الدعوة إلى العامية ٩-٧١، و لغة الضاد في ملف المستشرقين . مجلة الفكر العربي . ٨٧-١٠٣، واللغة العربية لفريستيغ ١٥٤.

الاستعمال العملي)[٤١]. بل يخلص مؤتمر للمستشرقين فيما بعد إلى (أنَّ اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف، وإن من واجب الحكومات في هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح لغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق)[٤٢].

خامسًا: العربية في علاقتها باللغات الأخرى في العصر الحديث:

قُدِّرَ للعربية في العصر الحديث لأسباب لا تخفى على المعنيِّ أن تدخل في صراع مع لغات الحضارة العالمية الحديثة، ولا سيما الفرنسية والإنكليزية، وقد كانت ملابسات هذا الصراع اللغوي، وآثاره في العربية على الأقل موضع اهتمام الآخر المعني بشأن هذه اللغة، ومن ذلك ما نقف عليه عند استتكفتش[٤٣] ويوهان فك[٤٤] وفريستغ[٤٥] وستيفان فلد[٤٦] وفليش[٤٧] وهانزفير[٤٨] وديفيد جستس[٤٩]،

(٤١) دراسات في تأريخ اللغة العربية٨٣ .

(٤٢) لغة الضاد في ملف المستشرقين مجلة الفكر العربي ٩٩.ع . ٦١ للعام ١٩٩٠.

(٤٣) انظر : العربية الفصحى الحديثة ٦٠- ٧١.، ٢٧٧، ٢٨٤.

(٤٤) انظر: العربية ٢٤٠.

(٤٥) انظر: اللغة العربية ٨٢-٨٣، ٢٠٤-٢٠٥، ٢٠٨-٢٠٩، ٢٦٣.

(٤٦) انظر: دراسات في العربية لفيشر ١٤٨-١٥٢.

(٤٧) انظر: العربية الفصحى ١٨٦، ١٨٨-١٨٩.

(٤٨) انظر: دراسات في تأريخ اللغة العربية ٨٠-٨١.

(٤٩) انظر: محاسن العربية في المرآة الغربية ٤٠٢-٤٠٣ ، ٤٣٤.

وقد سعت هذه الجهود لمقاربة تأثر العربية الناجم عن احتكاكها باللغات الأوربية الحديثة على المستوى المفرداتي الصرفي، والمستوى التركيبي النحوي(٥٠) .

١ – تأثر العربية على المستوى المفرداتي والصرفي :

تَمَثَّل تأثُّر العربية بما احتكت به من اللغات الأوربية الحديثة من وجهة نظر الآخر على المستوى المفرداتي والصرفي باقتراضها الكثير من المفردات، ولاسيما في باب المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة، وقد اقتصر هذا الاقتراض على مجرد النقل حينًا، وبادر إلى ضرب من التغيير المكيِّف للمفردة المقترضة مع الذائقة العربية حيناً ثانيًا، وأخضع حينًا ثالثًا الجذر اللغوي للمفردة المقترضة إلى أصول الصرف العربي، وولَّد منها، وجمعها وفق هذه الأصول، والملاحظ أن تأثُّر العربية بما احتكت به من لغات أوربا الحديثة على المستوى الصرفي لم يَرْقَ إلى حد التغيير في أصول العربية على هذا المستوى ، وإن فعَّل طرقًا لم تكن مألوفة بوضوح يذكر في إغناء ثروتنا اللفظية ، كالاعتماد في ذلك على التركيب بين المفردات ، أو إلصاق اللواحق و السوابق بالكلمة لتوليد مصطلح جديد .

(٥٠) علمًا أن العربية في استعمال بعضهم حديثًا للكلمات الأعجمية تأثرت صوتيًّا بما في النظم الصوتية للغات الأخرى كاستعمال صوت (G) الإنكليزي عندما ينطق كالجيم القاهرية، واستعمال صوتي (p)و(v) الإنكليزيين. وغني عن التأكيد أن مثل هذه الممارسات الصوتية مع عدم اتفاق المَعْنيين على لزوم نطقها كما هي في لغاتها الأصلية لا تمثل تغيرات صوتية في العربية الفصحى ترقى إلى إحداث أي تغيير في بنية نظامها الصوتي. انظر: قضايا لغوية معاصرة ٥٢-١٣٦،٥٩-١٣٨. د. ممدوح محمد خسارة.

فممن أشاروا إلى اقتراض العربية للألفاظ مع إخضاعها، أو عدم إخضاعها لضوابط الصرف العربي فيشر(٥١) و فريستيغ في قوله (رأى بعضهم أن عملية تعريب الكلمات المقترضة هو الحل الوحيد للحفاظ على وحدة اللغة بمجرد أن تُقَدَّم كلمة مقترضة جديدة إلى العربية يسعى العلماء إلى الاشتقاق منها كما هو الحال في: تمغنط وبستر، ولكن عملية استخدام الكلمات المقترضة جذورًا حية للاشتقاق لم تتوقف عند الكلمات العلمية فقط ...كذلك فعل الكُتَّاب إذ لم يترددوا في تضمين مشتقات كلمات أجنبية مقترضة مقبولة في اللغة، ولهذه الظاهرة أمثلة كثيرة في الأفعال، هناك تلفن، وتلفز، وفي الأسماء هناك صيغ جمع التكسير أفلام، وبنوك، وبالرغم من مقاومة المجامع اللغوية العربية لبعض تلك الاشتقاقات فإنها قُـبِلتْ واستخدمت استخدامًا عامًّا)(٥٢)

ولاحظ هنري فليش وفريستيغ (٥٣) أن آلية الإلصاق والتركيب أو الجمع بين أكثر من كلمة لتكوين مصطلح جديد مقترض لم يكن له أثر ذو بال في إغناء

(٥١) انظر: دراسات في العربية لفيشر ١٤٩

(٥٢) اللغة العربية لفريستيغ٢٠٤، وانظر: دراسات في العربية لفيشر ١٤٩. علماً أن المجمع القاهري أقرَّ تعريب الألفاظ والتوليد منها على هذا النحو، ولكنه اشترط لذلك شيوع الاستعمال والحاجة التعبيرية، والاستساغة في الذوق العام . انظر: كتاب في أصول اللغة٦٢-٦٨، ٢٥١-٢٥٢ .إخراج وضبط وتعليق محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين .ط . مجمع اللغة العربية القاهرة ١٣٨٨-١٩٦٩.

(٥٣) انظر: العربية الفصحى ١٨٦لفلش،و اللغة العربية لفريستيغ٢٠٦ولضوابط المجمع القاهري في إجازته لتوليد الألفاظ بفعل النحت، أو التركيب المزجي انظر: كتاب في أصول اللغة ٤٩-٦١

العربية لثروتها اللفظية، وذلك لما ينجم عن هذا المبدأ من النسج الصوتية والمركبات المفرداتية التي لا تستسيغها الذائقة اللغوية العربية. واللافت أن فرستيغ جعل من المولدات التركيبية ما لا يمثل عنصرًا صرفيًّا مفرادتيًّا بقدر ما هو عبارة نحوية تركيبة إضافية غير متلازمة الجزأين دائمًا، بل هما قابلان للتحليل والتركيب نحويًّا، وذلك بحسب المعنى، خلافًا لما رآه فريستيغ من مركبات مصطلحية إلصاقية في نحو «غير شرعي، وغير رسمي، وشبه جزيرة»(٥٤)

وبعد فلعله اتضح أن العربية في علاقتها بلغات أوربا في العصر الحديث لم يتأثر نظامها الصرفي في نظر الآخر بما في تلك اللغات تأثرًا ذا بال، وهذا يفسر نص غير واحد منهم(٥٥) على ثبات النظام الصرفي للعربية الفصحى إلى يوم الناس هذا.

٢- تأثر العربية على المستوي التركيبي النحوي:

عُني الآخر(٥٦) بتأثر العربية الفصحى الحديثة باللغات الأوربية، على المستوى التركيبي النحوي، واللافت في تناولهم لهذه القضية، المبالغة،

(٥٤) انظر: اللغة العربية لفريستيغ٢٠٦

(٥٥) ممن نصوا على ذلك شتيفان فلد في «دراسات في العربية» ١٤٨، ١٥١-١٥٢، وهانز فير في «دراسات في تأريخ اللغة العربية» ٨٠-٨١، ويارو سلاف استتكفتش في «العربية الفصحى الحديثة » ٢٨٢.

(٥٦) ومن هؤلاء ياروسلاف استتكفتش في «العربية الفصحى الحديثة» ٢٧٧-٢٨٤، ويوهان فك في «العربية» ٢٤٠، وكيس فرستيغ في «اللغة العربية» ٢٠٥، ٢٠٨-٢٠٩. وشتيفان فلد في «دراسات في العربية» ١٤٨، ١٥١- ١٥٢.وديفيد جستس وغيره في «محاسن العربية في المرآة الغربية» ٤٣٤،٤٠٤،٤٠٢.

والتضخيم، وتوهُّمُ تأثُّرات مزعومة، يضاف إلى ذلك أن المسوغات العلمية لهذه التأثرات عند بعضهم ليست موضع اتفاق مقطوع به لدى المعنيين بالدرس اللغوي، فقد رأى استتكفتش(٥٧) ضرورة أن تحاكي البنية النحوية للعربية بنى لغات أوربا حتى يكون المتكلم بها قادرًا على التفكير في الأشياء والتعبير عنها ومناقشتها وفق أدبيات بحث وتفكير المتكلم بتلك اللغات، وبذلك يفسر ما زعمه من تحولات نحوية في بنية العربية (٥٨) .

والراجح أن واقع العربية في العصر الحديث ليس فيه من التحولات النحوية التي يحلو لاستتكفتش أن تحدث فيها، بل لا يمكن أن تكون فيها لأن التفوق المعرفي أو الفكري على التسليم بوجوده، أو الخصوصية القومية في ذلك ليسا هما العامل الوحيد الذي يحدد مسار تغيرات العربية في علاقتها باللغات الأخرى، فقد لاحظنا قبلاً أن في حياة العربية عوامل أخرى تضمن لها ضربًا من الثبات، لا يتفق وما يتراءى لاستتكفتش من تحولات في بنيتها النحوية ، يضاف إلى ذلك أن استتكفتش في تسويغه لمزاعمه هذا يربط(٥٩) ربطًا مباشرًا بين آلية عمل اللغة، على المستوى النحوي وبين آلية تفكير الناطقين بها على نحو يُـمَكِّـن من استخلاص طرائق تفكير الناطقين بلغة ما من آلية عمل لغتهم، وهذه المسألة موضع خلاف حاد ، يقول ديفد جستس (حيرت الخصيصة الغريبة لاستقلال- عدم تبعية- جملة الصلة في العربية مثلاً أولئك المهووسين بالسعي إلى استخلاص

(٥٧) انظر: العربية الفصحى الحديثة ٢٧٩- ٢٨٠،٢٨٢.

(٥٨) انظر:العربية الفصحى الحديثة٢٨٢.

(٥٩) انظر: العربية الفصحى الحديثة ٢٧٨-٢٧٩.

شيء عن العقل من اللغة، لكن التاريخ أثبت أن الفشل كان مصير محاولات المشغوفين بالعرقية التي تسعى إلى اكتشاف بعض الروابط بين اللغة والأعراق، وكان قصدهم الأول أن يستنتجوا البساطة العقلية من البنية السطحية، لكن التعقيدات الصرفية التركيبية الشديدة التعقيد للغات الأمريكية الأصلية أدَّت إلى إخفاق هذه الفكرة إخفاقًا مخجلاً، ونحن نريد هنا أن ننبذ أية محاولة يقصد منها استخلاص أي شيء عن العرب من اللغة العربية، لا سيما أننا لا نملك إلا قدرًا محدودًا من الأدلة اللغوية الموثوق بها التي تعود إلى الحقبة التي كانت هذه اللغة خلالها مقصورة على عرق متجانس تقريبًا، وأعني حقبة الجاهلية حين كان البدو المنعزلون في جزيرتهم مجردين من أية رسالة تاريخية كبرى، أما العربية التي تمثلها المادة الضخمة التي بين أيدينا فهي لسان التنوع العرقي الإسلامي العظيم الذي كان نتيجة للتوسع الإسلامي، وهي التي تمثل أعظم تجاوز للنَّسَب والمكان الخالصين)[٦٠] .

والجدير بالذكر أن التأثرات التركيبية العربية باللغات الأوربية داخلة فيما يسمى بالكلام، لا في اللغة بالمفهوم السوسيري لهذين المصطلحين، فنحن نوافق استتكفتش[٦١] على أن حركة الترجمة المكثفة في القرن التاسع عشر وانتشار الصحف واجهَ العربية الحديثة بطوفان من المفردات أو العبارات، وأن هذه العبارات المركبة الجديدة كانت محصلة لترجمات خالصة، أو لنماذج مستقاة من اللغات الأوربية ، ولكننا لا نوافق على أن مثل هذه العبارات دليل على تحول في البنية النحوية للعربية الفصحى مادامت مستوعبة في هذه البنية، مما يعني أنها

(٦٠) محاسن العربية في المرآة الغربية٣٨٣-٣٨٤.

(٦١) انظر : العربية الفصحى الحديثة ٦٧.

إجراء كلامي، لا يرقى إلى تغيير في البنية النحوية للغة، ذلك أن هذا الإجراء يَنِمُّ على فهمٍ نسبيٍّ للغة، تمخَّض عنه ممارسات كلامية لا نستطيع الزعم بأنها المثال المطلوب لغويًّا، ذلك أن اللغة مفهوم افتراضي، فـ(هي ذلك الرصيد الداخلي الذي يمتلكه كل فرد من الجماعة، وليس للفرد عليها أيُّ سلطان، ولا يستطيع خلقَها أو تعديلَها، لأن اللغة بشكلها الاجتماعي لا توجد عند الفرد إلا جزئيًّا، ولا تكتمل إلا عند الجماعة، وهذه الخاصية فوق الفردية هي التي تجعل منها كلاًّ متجانسًا)(٦٢).

وهذا يعني أن ما شاع في المدونة اللغوية العربية الحديثة من تراكيب متأثرة بالنموذج اللغوي الأوربي، لا يمثل تغيرًا في البنية النحوية لهذه للعربية، ولا يرقى بعضه، على شيوعه، إلى مستوى السلامة اللغوية المنشودة، بقدر ما يمثل انحرافًا مرغوبًا عنه عند غير قليل من أبناء العربية، مما يشي بأنه نمط من الإجراء الكلامي المرحلي الذي لا يقوى بالضرورة على الديمومة في المدونة اللغوية العربية ، كما أنه لا يقوى على التغيير المزعوم في البنية النحوية لهذه اللغة ، خلافًا لمزاعم شتيفان فلد حين جعل هذه التأثرات من مظاهر تأثر العربية تأثرًا تركيبيًّا عميقًا وحاسمًا، وذلك في قوله (أكـرَهَ ضغطُ نماذج أوربية في المقالة العلمية وقسم الأخبار والمقالة الرئيسية في الصحيفة على تطورات عربية موازية...وتجد النماذج الأوربية في لغة الصحافة والإدارة ما يوازيها في أشكال ميل الفصحى الحديثة إلى توسيع استعمال المصادر «احتمال منع صدور الجريدة» وكذا العدد المتزايد من

(٦٢) علم اللغة ٢١٩. دانييل مانيس . تر. سهيل عثمان وزميله. مجلة الموقف الأدبي. ع ١٣٥٠١٣٦للعام ١٩٨٢.

الأبنية الظرفية مثل رسميًّا، وإطلاقًا وحديثًا، وتنقل الظروف الشائعة في اللغات الأوربية من خلال الباء: بلطف، بشدة، بهدوء، وعلى العكس من ذلك فإن الاستعمالات القديمة الجناسية مثل ضربه ضربًا صارت بوضوح على طريق الاستعمال المهجور، ويتصل بذلك استعمالات كلامية أكثر شيوعًا مثل: بكل معنى الكلمة، سيداتي سادتي، وطلب فلانٌ يد فلانةَ أزاحت الكلمة الكلاسيكية خطب)[٦٣] فما نقلناه عن فلد هنا ليس فيه دليل على ما استدل به عليه من أن نحو العربية يظهر تغيرات ذات أهمية، تُفَسَّر بالتداخل بين اللغة المنطوقة وتأثير لغات أوربية، وأن هذه اللغة على المستوى التركيبي والأسلوبي طبعت بالنماذج الأوربية طبعًا عميقًا وحاسمًا[٦٤] فكل ما نقلناه عنه مستوعب في البنية النحوية للعربية كـ «بلطف، بشدة ، بهدوء[٦٥]،ورسميًّا، وإطلاقًا وحديثًا» وربما[٦٦] مثَّل

(٦٣) دراسات في العربية ١٥١-١٥٢

(٦٤) انظر: دراسات في العربية١٥٢.

(٦٥) ليس في هذه الأمثلة خروج عن المألوف، فقولنا مثلاً : جذبته بشدة ، ليس فيه أدنى تأثر من العربية بما في غيرها، ولعل المراد من كلام فلد هو قولهم: جذبته بشكل شديد ، بدلا من «جذبته جذبًا شديدًا» ففي ذلك عدول عن الأسلوب العربي الفصيح المبين إلى ركاكة أسلوبية يتحاشاها الخبراء بالوظائف الدلالية الدقيقة للتراكيب النحوية في العربية . انظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٣٣٧محمد المبارك .

(٦٦) في اللسان (حسس) أن رجلاً قال : كانت لي ابنة عم، فطلبتُ نفسها، فقالت أو تعطيَني مئة دينار؟ فطلبتُها من حَسي و بَسي، أي من كل جهة. وانظر : لغويات١ (١٢٨) من نشر جماعة الأزهر وفقه اللغة المقارن ٣٠١ د. إبراهيم السامرائي.

بعضه مجازًا لم يُؤْلف من قبل في مدونة اللغة العربية، ولكنه مستوعب في بنيتها النحوية كقولهم «طلب فلان يد فلانة» بدلاً من «خطبها».

وهل يعقل أنه ما كان بوسعنا نحن العرب أن نقول: عزيزي فلان أو صديقي فلان، وعادات وأخلاق المصريين بدلاً من «عادات المصريين وأخلاقهم، وجريدة شبه رسمية لولا اطلاعنا على هذا النمط من التراكيب في النموذج اللغوي الأوربي كما يزعم فلد[٦٧] وهل يعقل أنه ما كان بمقدورنا أن نقول: تحية قلبية لولا وقوفنا عليه في ذلك النموذج كما يزعم فلش[٦٨] إلى غير ذلك من التراكيب التي رأى فريستيغ أن العربية اقترضتها من النموذج الأوربي كـ(لعب دورًا). و(قام بزيارة) بدلا من(زار) و(تم توقيع الاتفاقية) بدلاً من الفعل المبني للمجهول المتعارف في الفصحى الكلاسيكية، فهذه الاستعمالات التي استجدت في العربية نتيجة الاحتكاك بالنموذج الأوربي بفعل الترجمة، منها السليم، ومنها ما خالف أصول العربية بوجه من المخالفة بقَطْع النظر عن مدى شيوعه، فالواقع كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي أنه (جدَّتْ في العربية أساليب كثيرة لم تكن إلا وليدة الترجمة...غير أن العربية وهي السمحة السهلة الطيعة لم تتنكر لهذه الأساليب، فقد قبلها الاستعمال، وراضها حتى توهم القارئ وهو يقرأ صحيفته اليومية أن الذي يقرؤه عربي لم يعتوره الدخيل ، ولم يقتصر الأمر على القارئ الذي لا يعنيه أمر العربية و أطوراها، بل خفي ذلك

(٦٧) انظر:دراسات في العربية لفيشر ١٤٨

(٦٨) العربية ٢٤٠.

على القارئ الفطن المختص)[٦٩] علمًا أن (طائفة من هذه الأساليب لم تستفد منها العربية غنى وثروة لغوية ، فقد تُرجمت وحُشرت في العربية وكان سبب ذلك كله جهل من تصدى للترجمة بأصول العربية ، وفنون القول فيها، فلم يتيسر لهم نقل الأفكار الغربية بأسلوب عربي، ولو عرف هؤلاء بلاغة العرب، وعرفوا أسرارها لما اندست في العربية أساليب غريبة عنها)[٧٠] لذا نميل في ضوء كلام السامرائي إلى أن تأثير اللغات الأوربية في العربية لا يمثل تغيرًا يذكر[٧١] في بنيتها النحوية، ولعل هذا يفسِّر ما لاحظناه قبلاً من نص الآخر على أصالة هذه اللغة وثباتها كقول هانز فير(اللغة المكتوبة لم تتعرض لأي تغيير صوتي كما أن الصرف ظل على صورته التي كان عليها منذ القديم حتى العصر الحاضر، ويصح الشيء نفسه في التركيب ، فيما يخص سماته الأساسية على الأقل، ويتبين من هذا أن الطابع المحافظ للعربية برهن على أنه ذو أثر فعال)[٧٢].

(٦٩) فقه اللغة المقارن ٢٨٣ .

(٧٠) فقه اللغة المقارن ٢٨٤.

(٧١) لعل أقرب ما يكون إلى ذلك عبارة «ما إذا » في نحو (لا أعرف ما إذا كنت ناجحًا) ويبدو أنها تمثل تأثرًا من العربية بما في الإنكليزية، وهو ما نبه عليه كيس فريستيغ في قوله : قد يحدث اختراع معادلات نحوية في اللغة العربية لترجمة تراكيب نحوية أجنبية كما هي الحال في «ما إذا» للتعبير عن الكلمة الإنكليزية(WHETHER). اللغة العربية ٢٠٥. علما أن مجمع اللغة القاهري أجاز هذا التركيب محللاً إياه وفق الأصول المرعية في النظرية النحوية العربية. انظر: كتاب الألفاظ والأساليب ١٢٣–١٢٨. إعداد محمد شوقي أمين، ومصطفى حجازي . ط . القاهرة ١٩٧٧.

(٧٢) دراسات في تأريخ اللغة العربية ٨١.

مصادر البحث ومراجعه

- الإسلام والغرب. برنارد لويس. تر. د . فؤاد عبد المطلب . ط . دمشق ٢٠٠٧
- تاريخ الدعوة إلى العامية .د.نفوسة زكريا سعيد.ط١.دار نشر الثقافة . الإسكندرية . ١٩٦٤
- التطور النحوي للغة العربية . برجشتراسر .أخرجه وصححه وعلَّق عليه د. رمضان عبد التواب ط٢. مكتبة الخانجي . القاهرة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- دراسات في تأريخ اللغة العربية . تر. د. حمزة قبلان المزيني . ط١ دار الفيصل الثقافية . الرياض ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- دراسات في العربية. لمجموعة من المستشرقين المعاصرين ، حررها فولف ديتريش فيشر . تر . د . سعيد حسن بحيري . ط١ مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٥.
- الساميون ولغاتهم . د. حسن ظاظا . ط . دار المعارف ١٩٧١.
- العربية ؛ دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. يوهان فك . تر. د. رمضان عبد التواب . ط مكتبة الخانجي . مصر . ١٩٨٠.
- العربية الفصحى ، نحو بناء لغوي جديد . هنري فليش. تر . د. عبد الصبور شاهين . ط٢. دار المشرق . بيروت ١٩٨٣.
- العربية الفصحى الحديثة . ياروسلاف استتكفتش. تر . د. محمد حسن عبد العزيز ط . دار نمير للطباعة . القاهرة.
- علم اللغة . دانييل مانيس . تر. سهيل عثمان ، وعبد الرزاق الأصفر. مجلة الموقف الأدبي. ع ١٣٦ ١٣٥٠للعام ١٩٨٢.
- فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي. ط٢. دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٨.

- فقه اللغة وخصائص العربية . محمد المبارك . ط ٧ دار الفكر ١٤٠١-١٩٨١
- في أصول اللغة. ج٣. إخراج وضبط وتعليق مصطفى حجازي، وضاحي عبد الباقي . ط مجمع اللغة العربية . القاهرة ١١٤٠٣-١٩٨٣.
- قضايا لغوية معاصرة . د. ممدوح محمد خسارة . ط١. الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع . دمشق ٢٠٠٣.
- كتاب الألفاظ والأساليب.إعداد محمد شوقي أمين، ومصطفى حجازي. ط. القاهرة ١٩٧٧.
- كتاب في أصول اللغة.إخراج وضبط وتعليق محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين . ط. مجمع اللغة العربية القاهرة ١٣٨٨-١٩٦٩.
- كتاب في أصول اللغة. ج٢. إعداد محمد شوقي أمين،ومصطفى حجازي. ط١. مجمع اللغة العربية .القاهرة ١٩٧٥
- لسان العرب . ابن منظور . ط دار صادر. بيروت .
- اللغة . جوزيف فندريس . تر . عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص . ط . مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة .
- لغة الضاد في ملف المستشرقين. د. صالح زهر الدين . مجلة الفكر العربي.ع. ٦١ للعام ١٩٩٠
- اللغة العربية؛ تاريخها ومستوياتها وتأثيرها. كيس فريستيغ . تر. محمد الشرقاوي . ط. المشروع القومي للترجمة . القاهرة . ٢٠٠٣.
- اللغة العربية، وما ألحقته بها الترجمة من تشويهات . د . محمد عبد الرحمن مرحبا. مجلة الفكر العربي . ع .٦١. عام ١٩٩٠.

- اللغة والحياة والطبيعة البشرية. روي. سي . هجمان . تر . د. داود حلمي أحمد السيد ط٢عالم الكتب القاهرة ١٤٢٠-٢٠٠٠
- اللغة والخطاب الأدبي ؛ مقالات لغوية في الأدب . تر . سعيد الغانمي . ط١. المركز الثقافي العربي . بيروت – الدار البيضاء١٩٩٣.
- اللغة واللغويات . جون ليونز . تر.د . محمد العناني . ط١. دار جرير.عمان ٢٠٠٩.
- لغويات١ من نشر جماعة الأزهر . ط دار الكتاب العربي بمصر
- محاسن العربية في المرآة الغربية، أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوربية. تر . د . حمزة قبلان المزيني . ط . الرياض ١٤٢٥هـ
- نظرية أدوات التنكير والتعريف، وقضايا النحو العربي .غراتشيا غابوتشيان .ط. دمشق ١٩٨٠
- وظيفة الألسن وديناميتها . أندري مارتينيه. تر.نادر سراج ط١ بيروت ١٤١٦-١٩٩٦.

(ضوء السقط) يشهد لصاحبه بحسن الخاتمة

د. السعيد السيد عبادة (*)

كتاب (ضوء السقط) هو خاتمة كتب أبي العلاء المعري الذي أملاه – كما حقّقت[1]– في العام الأخير من حياته، وصدر أول مرة بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م، بعد تحقيق استمر ثلاثين عامًا. وبه أجاب أبوالعلاء تلميذه أبا عبد الله الأصفهانيّ، الذى سأله أن يشرح له ما يستعجم عليه من الكتاب المعروف بـ (سقط الزند)، فشرح له إلى (الدّرعيات)، ثم كانت الوفاة، التى حضرها وحدّث بها الأصفهانيّ[2]. ومن الشرح كانت نسخ، بعضها– و هو الأصل - لم يتضمن من المتن إلا المطالع، و إلا القول المشروح، كتلك التى اعتمدتُ عليها في تحقيقه، و بعضها جُمع فيه المتن إلى الشرح، تحت اسم (سقط الزند وضوءه)

(*) أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر – بالقاهرة.

(١) سقط الزند و ضوءه – بتحقيقي – صـ ١١٨ من التقديم.

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء صـ ٦٤.

كنسخة ابن الفُوَطِيّ[٣]، المصورة عندي، أو تحت اسم (ضوء السقط)، كنسخة ابن الورديّ[٤]، التي عنها هـذا الحـديث.

وآثرت أن أتحدث إليكم عن هذا الكتاب لأمرين:

أحدهما: ما لاحظت في مهرجان أبي العلاء بـ (معرّة النعمان ٢٠٠٦ م)، من اتهام له بأقوال لم يحقّق مصدرها – وهو (اللزوميات)– كما ينبغي.

والآخر: ما ورد في (ضوء السقط) من أقوال تشهد لصاحبها بحسن الخاتمة، كما لاحظ ابن الورديّ. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وصدق رسوله الكريم إذ يقول: (وإنما الأعمال بخواتيمها)، رواه البخاريّ في كتابيْ الرِّقاق والقدر، (بابُ: الأعمال بالخواتيم)[٥].

(٣) ابن الفُوَطيّ: عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي المعالي، البغداديّ، المعروف بابن الفُوَطيّ، كذا قال في آخر نسخته من (سقط الزند و ضوءه) ، التى كتبها بمراغة سنة ٦٦٦ هـ، و هو في الرابعة و العشرين، لأنه ولد ببغداد سنة ٦٤٢ هـ، و بها توفي سنة ٧٢٣ هـ، كما في (الأعلام ٣/ ٣٤٩) ، و فيه أيضًا – بعد «الفوطيّ» – : المروزيّ الأصل، الشيبانيّ البغداديّ، أبو الفضل كمال الدين، مؤرخ يعد من الفلاسفة، من ولد معن بن زائدة الشيباني. له: «معجم الآداب في الأسماء والألقاب» قيل، في خمسين مجلدًا، و له نظم جيد. والفُوَطيّ: جده لأمه، نسبته إلى بيع الفـُوَط.

(٤) ابن الورديّ: عمر بن مظفّر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين، ابن الورديّ، المعريّ الكنديّ، شاعر، أديب، مؤرخ، ولد في معرة النعمان (بسورية) سنة ٦٩١ هـ، و ولي القضاء بمنبج، و توفي بحلب سنة ٧٤٩ هـ، له كتب، ومقامات، ومناقضات، و ديوان شعر مطبوع. (الأعلام ٥/ ٦٧).

(٥) صحيح البخاريّ ٨/ ١٢٩، ١٥٥ طبعة دار الشعب بالقاهرة ١٣٧٨ هـ، و فتح الباري ١١/ ٣٣٠، ٤٩٩ تصوير دار الفكر (د.ت) عن طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٧٩ هـ. قوله:(بخواتيمها) هو الرواية في الموضع الأول (كتاب الرِّقاق)، و(بالخواتيم) جاءت الرواية في الموضع الثاني: (كتاب القدر – باب: العمل بالخواتيم).

ولأن ابن الورديّ كان أول من وقف على شهادة (الضوء) لصاحبه و نوّه بها سوف أورد قوله عنها وأبين مدى تحققه، لعله يكون لنا من تلك الشهادة الآن في الحكم على المعريّ، ما كان لابن الورديّ منها في القديم، قال ابن الورديّ:

«وأنا كنت أتعصّب له، لكونه من المعرة، ثم وقفتُ له على كتاب (استغفر واستغفري)، فأبغضته، وازددت عنه نفرة، و نظرت له في كتاب (لزوم ما لا يلزم)، فرأيت التبرّي منه أحزم، فإن هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمهما هائمًا حائرًا، و مذبذبًا نافرًا، يقرّ فيهما أن الحق قد خفي عليه، ويودّ لو ظفر باليقين، فأخذه بكلتا يديه، كما قال في مرثية أبيه :

طلبتُ يقينًا من جهينة عنهمُ ولم تخبريني يا جهين سوى ظنِّ
فإن تعهديني لا أزال مسائلًا فإني لم أُعطَ الصحيحَ فأستغنِي(٦)

(٦) شروح سقط الزند ٢/ ٩٢٥، ٩٢٧، و سقط الزند و ضوءه صـ ٣٦٢. وفي الثاني (الظنّ) بالألف واللام. أما استشهاد ابن الورديّ بالبيتين على شك المعريّ، فليس إلا متابعة منه لسابقيه، بدليل قول البطليوسيّ(٤٤٤-٥٢١ هـ) – في شرحه للبيتين: «إنما ذكر «جهينة» هاهنا لقولهم في المثل: (عند جهينة الخبر اليقين). فقال: أردت معرفة ما صار إليه أهل القبور بعد العدم و الفناء، من سعادة أو شقاء، فسألت عن ذلك جهينة الموصوف بأن عنده العلم اليقين، فلم أجد عنده أكثر مما عندي من رجم الظنون، والناس يرون هذا شكًّا منه في البعث و القيامة، و ليس ذلك عندي على ما يتوهمون، وإنما يريد أنه لا يعلم أحدٌ ما صارت حال الموتى إليه، وما الذي قدموا بعد الموت عليه. إلا أن الظن يغلب على من مات على طريقة حسنة أنه قد سعد، و على من مات على طريقة سيئة أنه قد شقي، من غير قطع على أحد منهم بسعادة أو شقاء».

ثم وقفت له على كتاب (ضوء السقط)، الذى أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهانيّ، الذي لازم الشيخ إلى أن مات، ثم أقام بحلب يروي عنه كتبه، فكان هذا الكتاب عندي مصلحًا لفساده، موضحًا لرجوعه إلى الحق و صحة اعتقاده، فإنه كتاب يحكم بصحة إسلامه مَؤُولًا[٧] . ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤]. فلقد ضمَّن هذا الكتاب ما يثلج الصدر، و يَلَذّ السمع، ويقرّ العين، ويسرّ القلب، ويُطلق اليد، و يثبّت القدم، من تعظيم رسول الله ﷺخير بريته، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة والرضا عنهم، والأدب عند ذكر ما يتلقَّى منهم، و إيراد محاسن من التفسير، والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير، وتضليل من أنكر المعاد، والترغيب في أذكار الله والأوراد، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها، وهو خاتمة كتبه والأعمال بخواتيمها[٨]».

في هذا القول بيّن ابن الورديّ موقفه من أبي العلاء، حيث كان في أول أمره يتعصب له، لكونه من بلده (المعرة)، ثم أبغضه و تبرأ منه، لما وقف له على كتابيْ (استغفر واستغفري) و(لزوم ما لا يلزم)، لأنه وجده في كليهما هائمًا حائرًا، ثم رضي عنه وعن خاتمته لما وقف على الشاهد بحسنها، وهو (ضوء السقط). ولأن خاتمة أبي العلاء هي ما يعنينا هنا، كان ما يدل عليها من كلام ابن الورديّ هو ما يعنينا كذلك،

(٧) مَؤولاً: اسم مفعول من (أول). قال ابن فارس: الهمزة والواو واللام أصلان، ابتداء الأمر، و انتهاؤه (مقاييس اللغة ١/ ١٥٨ مادة: أول) ، والمعنى على الثاني، أيْ يحكم بصحة إسلامه حال منتهاه.

(٨) تعريف القدماء بأبي العلاء صـ ٢١١.

فلا تعصبه للمعريّ ولا بغضه إياه مما يعنينا، ما دمنا بصدد تلك الخاتمة، التي شهد بحسنها (ضوء السقط)، كما سجل ابن الورديّ، وفي تسجيله - لا شك - درسٌ من الماضي للحاضر، لعلنا نعتبر، فندع ما قبل الخاتمة إليها في حكمنا على الرجل، لأن الأعمال بخواتيمها كما سبق. وحين ندع ما قبل الخاتمة إليها، و ننظر فيما شهد بحسنها - وهو (ضوء السقط) - سنجده كما وجده ابن الورديّ، يحكم بصحة اعتقاد صاحبه و صحة إسلامه في أواخر حياته، لكن ما ذكره ليس كل ما في (الضوء)، لأن بعضه - كما سيأتي - من (السقط)، و فيما يلي بيان لما ذَكَرَ و لما لم يذكر:

أما تعظيم صاحب (الضوء) لله - أهل العظمة و الجلال -: فهو أول ما يجده المتلقِّي للكتاب، لأن أول جملة في مقدمته هي: «قد علم اللهُ - جلَّت كلمته - أن أحبّ الكلام إليّ ما ذُكر به - عَزّ سلطانه - و أُثنيَ به عليه»[٩]. و كحرصه هنا على النعت لله بـ «جلّت كلمته» و «عزّ سلطانه» - حرصه في سائر الكتاب على نعوت الجلالة و التنزيه، لله لا لغيره - بـ «جَلَّ جلاله»[١٠] و «جَلّت عظمته»[١١] و بـ «عزّ و جلّ»[١٢] و بـ «تعالى»[١٣]، وبـ «سبحانه»[١٤] و بـ «سبحانه وتعالى»[١٥]. على

(٩) سقط الزند و ضوءه صـ ٧.

(١٠) المرجع السابق صـ ٧٨.

(١١) المرجع السابق صـ ٣٤٠، ٥٣٣.

(١٢) المرجع السابق صـ ١٦١.

(١٣) المرجع السابق صـ ١٢٤، ٤٥٢، ٦٨٩.

(١٤) المرجع السابق صـ ٧٩، ٣٢٥، ٣٤٥، ٤٣٨، ٤٨٤، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٨.

(١٥) المرجع السابق صـ ١٨٢، ٢٩٢، ٥٣٩، ٥٥٦، ٥٩٣.

أنني أدعوك إلى تأمل ما بين أوّل المقدمة وآخرها، لأنه إذا كان قد بدأ الجملة الأولى بـ «قد علم الله» فإنه قد بدأ الأخيرة كذلك، إذ هي كما وجدت: «وقد علم الله - و كفى به - أني حسير طريح، أشفق من الأخطاء و أليح»[١٦].

وأما تعظيمه للقرآن: فواضح من ذكره إيّاه، إذ ذكره بثلاثة من أسمائه التي وردت فيه، لكنه لم يذكره بالأعم الأشهر إلا ثلاث مرات، اثنتين بـ (القرآن)[١٧]، وثالثة بـ (كتاب الله)[١٨]، على حين ذكره بالأخص - وهو (الكتاب العزيز) – سبع مرات[١٩]، و إنما كان أخص لأنه لم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [فصلت:٤١- ٤٢]، وورد الأول عشرات المرات، في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] وورد الثانى مرتين، في قوله عز من قائل: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. على أن من خصوصية الثالث التى إليها قصدتُ، أن (الكتاب العزيز) - كما في التفسير – :هو المنيع المحميّ بحماية الله تعالى[٢٠]، أو هو الكتاب الغالب بقوة الحجة[٢١]. ومن مواضع ذكره في (الضوء) قول أبى العلاء عن الثاني من بيتيه :

(١٦) المرجع السابق صـ ١٤. الحسير: المعيي. و الطريح: المطروح. و أليح: أشفق.

(١٧) المرجع السابق صـ ١٥٤، ٢٢٤.

(١٨) المرجع السابق صـ ٥٤٧.

(١٩) المرجع السابق صـ ٧١، ١٠٨، ١٣٠، ٤٠١، ٥٦٠، ٥٦٦، ٦٩٢.

(٢٠) الكشاف – للزمخشريّ – ٤/ ١٥٨.

(٢١) صفوة التفاسير ٣/ ١٢٥.

أأخمـلُ و النبـاهةُ فِيَّ لفـظٌ وأُقـتِرُ والقناعـةُ لي عَـتادُ[٢٢]

وَأَلْقَى الموتَ لم تَخِدِ المطايا بحاجـاتي و لم تَجِـفِ الجيـادُ[٢٣]

والوَخْدُ أكثر ما يستعمل في النعام و الخيل. و الوجيف: يستعمل في الركاب والخيل، وفي (الكتاب العزيز): (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب)»[٢٤].

ومن تعظيم القرآن في (الضوء) - مع ذلك - ما يبدو من اعتداد المعريّ بفصاحته، حتى ليكتفي به في الاستشهاد كما في الموضع السابق وغيره، وحتى ليقدمه في الأكثر إن استشهد بغيره معه، كقوله عن بيته:

كأنّ أُذنيْهِ أَعطتْ قلبه خبرًا عـن الـسماء بـما يلقَـى مِـنَ الغِـيَرِ

«الاثنان عندهم جمعٌ، فلذلك جاز أن يُخبَرَ عنهما بإخبار الجمع. وفي (الكتاب العزيز): ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[ص: ٢٢]، وقال الفرزدق:

فلو بخلت يدايَ بها و ضنّتْ لكـان عـليّ للقَـدَرِ الخيـارُ

(٢٢) الخامل: ضد النبيه. و الإقتار: الفقر. و العتاد: العُدّة. و المعنى – كما قال البطليوسيّ –: كيف أكون خامل الذكر، غير نبيه القدر، و لي لفظ يفيدني الشرف والنباهة، و يدفع عني الغيّ و السفاهة. و كيف أكون قليل المال فقيرًا، و قد جعلت القناعة لي عتادًا و ظهيرا. (شروح سقط الزند ١/ ٢٨٧).

(٢٣) لم تَخِد: لم تسرع، يقال: وَخَدَت الناقة تَخِدُ ت وَخْدًا ووَخَدَانًا. ولم تَجِفْ: لم تسرع أيضًا، يقال: وَجَفَ وجيفًا. وعن البيتين قال الخوارزميّ: معنى قوله «والنباهة فيّ لفظ»: النباهة لفظ أنا معناه. لعل ذلك المغتاب - الذي أشيرَ إليه في بيت سابق – كان يقدح في أبي العلاء بأنه خامل غير نبيه، و فقير غير غنيّ، و محروم غير فائز، فأنكر عليه أبو العلاء بقوله: «أأخمل» «وأقتر» «و ألقى» (شروح سقط الزند ١/ ٢٨٨).

(٢٤) سقط الزند و ضوءه صـ ١٣٠.

والمراد: أن هذا الفرس أعطته أذناه الأخبار المقضية في السماء، و هذه مبالغة في صفة الفرس بجودة السمع»[٢٥].

وأما تعظيمه لرسول الله ﷺخير بريته: فقد ورد في (السقط) ثم في (الضوء)، لأننا نجد في (السقط) قوله للشريف أبي إبراهيم محمد[٢٦]:

٢- يابـنَ الـذي بلـسـانِهِ وبيانِـهِ هُـدِيَ الأنـــامُ ونُـزِّل التنـــزيلُ

٣- عن فضله نطق الكتاب وبَشَّرَتْ بــقدومه التــوراةُ والإنجــيلُ[٢٧]

ثم نجد في (الضوء) - من تعظيم أبى العلاء لخير البرية - أنه لا يذكره في أيّ موضع إلا بوصف (النبيّ)، و إلا متبوعًا بـ «صلّى الله عليه و سلم»، كقوله عن الثاني من بيتيه - و الخطاب للشريف السابق-:

٢٥- يابنَ مُستعرِض الصفوف ببدرٍ ومُبيـد الجمـــوع مـن غطفـانِ

٢٦- أحد الخمسة الذين هم الأغـ ــراض في كـلّ منطـقٍ والمعـانِي

«وقوله «أحد الخمسة» :أي النبيّ صلى الله عليه وسلم، وعليّ، وفاطمة، والحسن، و الحسين.

و السؤال: أيّهما أراد ابن الورديّ - من تعظيم خير البريّة - ما تضمنه المتن، أم ما تضمنه الشرح، في نسخته من (الضوء)؟؟

(٢٥) سقط الزند و ضوءه صـ ٧١، و انظر أيضا صـ ١٠٨، ٥٦٠، ٥٦٦.

(٢٦) الشريف أبو إبراهيم محمد بن أحمد العلويّ:، أديب حلبيّ، كانت بينه و بين أبي العلاء صداقة ومشاعرة، و كانت وفاته قبل الأربعمئة (بغية الطلب في تاريخ حلب ٨٩٦، ٤٣١٥).

(٢٧) سقط الزند و ضوءه صـ ٣٣٨. و الكتاب: هو القرآن.

وأما التقرّب – إلى الله – بمدائح الأشراف من ذريّته - ﷺ-: فهو أظهر في (السقط) منه في (الضوء)، لأننا لا نكاد نجد في (الضوء) إلا التفسير لبعض تلك المدائح، التى وردت في (السقط)، و كانت في اثنين من الأشراف نصًّا، وفي بعض أولادهما ضمنًا.

الشريف الأول : هو أبو إبراهيم محمد بن أحمد[٢٨]، وما قيل فيه ستّ قصائد، جاء في الأخيرة التي رُثي بها:

دعا حلبًا أختَ الغَرِيَّيْنِ مصرعٌ بِسيفِ قُوَيْقٍ للمكارم والحزم
أَبَ السبعة الشّهْب التي قيل إنّهَا منفذةُ الأقدارِ في العُرْبِ والعُجْمِ
وإنْ كنتُ ما سمّيتهم ، فنباهةٌ كَفَتني بهم ألّا أُعرِّفهمْ باسمِ
فهَذَا، و قد كان الشريف أبوهمُ أميرَ المعاني ، فارس النثر والنظم
لعلك في يوم القيامة ذاكِري فتسأل ربِّي أن يخفّف من إثمِي[٢٩]

والشريف الثاني: هو أبو أحمد الحسين بن موسى[٣٠]، الذي رثاه المعريّ حين كان ببغداد، بفائيته الطويلة التي مطلعها:

---

(٢٨) النصان في صـ ٥ ، ٦.

(٢٩) المرجع السابق صـ ٣٧٥ – ٣٨٨.

الغريّان: بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة، قرب قبر عليّ بن أبى طالب ﷺ(معجم البلدان ٤/ ١٩٦). و قويق: نهر حلب. و السيف: أصله ساحل البحر، و استعير لقويق هاهنا – و هو من صغار الأنهار – لأنه عظم قدره بكون هذا المفقود قريبا منه.

(٣٠) أبو أحمد الحسين بن موسى العلويّ، نقيب الطالبيين، الملقب بالطاهر، ولد سنة ٣٠٧هـ، و توفي ببغداد في جمادى الأولى سنة ٤٠٠ هـ (وفيات الأعيان ٤/ ٤٢٠).

أَوْدَى فليتَ الحادثاتِ كَفافِ مالُ المُسِيفِ وعنبرُ المُستافِ[٣١]

وله فيها يقول:

أبقيتَ فينا كوكبيْنِ سناهما في الصبح والظلماء ليس بخافِ
متأنِّقيْن وفي المكارم أَرْتَعَا مُتألّقيْن بسُؤددٍ وعفافِ
قَدَريْن في الإرداء، بل مَطَرين في الْـ إجداءِ، بل قمريْن في الإسدافِ
رُزقا العلاءَ، فأهل نجدٍ كلما نطقا الفصاحةَ مثلُ أهل دِيافِ
ساوَى الرضيُّ المرتَضَى و تقاسما خِطط العلا بتناصُفٍ وتَصافِ
حِلفا ندًى سبقا وصلّى الأطهر الـ ـمرضِي، يالثلاثةٍ أحلافِ[٣٢]

وكالمدح ضمِّنا في هذه الأبيات لأولاد المرثيّ، مدحُ أبي العلاء الضمنيّ في نص سبق، للزهراء ولولديها الحسن و الحسين رضي الله عنهم[٣٣].

وأما تبجيل الصحابة و الرضا عنهم، و الأدب عند ذكر ما يتلقّى منهم: فيتجلّى في أقوال لأبى العلاء:

منها: قوله عن «القريض» في بيت له[٣٤]: «القريض: الشعر .... و كانت

(٣١) سقط الزند و ضوءه صـ ٥١٦. أودى: هلك. و المسيف: الذي ذهب ماله. و المستاف: الذيّ يشمّ الشيء. ومال المسيف: هو المرثيّ، أي إنه كان يعطيه، فلما هلك كان المسيف كأنه قد ذهب ماله. وليت الحادثات كفاف: أي ليت خيرها يقوم بشرّها.

(٣٢) انظر ما سبق صـ ٦.

(٣٣) الأغلب العجليّ: راجز مخضرم، عدّه ابن سلام في الطبقة التاسعة من فحول الإسلاميين (طبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٣٧، و الشعر و الشعراء ٢/ ٦١٣).

(٣٤) سقط الزند و ضوءه صـ ٢٥٧.

العرب تفرّق بين القريض و الرّجز، و يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﷺ- وجّه إلى الأغلب العجليّ يقول له: ما بقي من شعرك؟ فقال:

أَرَجَزًا تريد أم قريضًا...»

ومنها: قوله عن «بُغَيْبِغ» في رَجَز(٣٥). «و يقال للماء القريب المنتزع: بُغَيْبِغ. وكان لعليّ بن أبي طالب – رحمة الله عليه – قربة [تعرف] بالبُغَيْبِغة ، ويجوز أن تكون سمّيت بذلك لأن ماءها قريب».

ومنها: قوله عن وصفهم الليل بالطول: «وهذا البيت يروى للحسين بن عليّ أبي طالب - رضي الله عنهما-:

كـأنّ الليـلَ موصـولٌ بليـلٍ إذا زارتْ سُـــكَينة و الرَّبـــابُ

سُكَينة: ابنته. والرَّباب: أمها. وكانت الرَّباب إذا زارت أهلها أخذت سُكَينة معها، فيطول الليل على الحسين عليه السلام» (٣٦).

ومنها: قوله عن «مَلَطْية» في بيتٍ له(٣٧): «ومَلَطْية: فتحها المسلمون في زمان

---

(٣٥) الرجز الذي استشهد به أبو العلاء على أن «الهَدال» شجر – هو:

يا رُبّ ماء لك بالأجبالِ
أجبال سلمَى الشُّمَّخ الطوالِ
طامٍ، عليه ورق الهدالِ
بُغَيبغٍ يُنزع بالعِقالِ

(٣٦) المرجع السابق صـ ٣٠٢ – ٣٠٣.

(٣٧) البيت من (السقط)، و هو:

و لم يجلبوها من وراء مَلَطْيةٍ تَصَدَّع أجبالٌ بها وإكامُ

الصحابة - رضي الله عنهم - ثم غلب عليها الرّوم بعد سنة ثلاثمئة»[٣٨].

و إذا كانت هذه الأقوال و أمثالها[٣٩] مما يشهد لأبي العلاء هنا، فإنه مما يشهد لابن الورديّ كذلك، أنه نظر إليها في الحكم و لم ينظر إلى غيرها، مما خلا من الدعاء سهوًا أو نسيانا[٤٠]، و جلّ من لا يَسْهُو و لا ينسى.

وأما إيراده محاسن من التفسير - يعني (تفسير القرآن الكريم) - فجلّه لغيره، لأننا لا نجد له فيما يبدو إلا قوله عن بيته:

و تَوَخَّى له النجاةَ و قد أيـ ـقـن أنّ الحِـمام بالمرصـادِ

«والمرصاد: الذي يرصد فيه الأمر ليقع ... وفي (الكتاب العزيز): ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤]، أي يعلم بأمور العالَم كعلم الراصد للشيء بما يرصده»[٤١]. على حين نجد لغيره - مما أورد - قوله عن بيته:

وإذا الأرضُ و هـي غـبراءُ صـارتْ مـن دم الطَّعـنِ وردةً كالـدّهانِ

«واختلفوا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، ففُسر الدِّهان على وجهين، أحدهما: أنه جمع دُهْن. والآخر: أن الدّهان الأديم الأحمر، و يقال: الدّهان صبغ أحمر»[٤٢]. ثم قوله عن مطلعه:

---

(٣٨) سقط الزند و ضوءه صـ ٢٢٦.

(٣٩) في الصفحات ١٣٦، ٣٧٥، ٣٩٩.

(٤٠) كما في الصفحات ١٨٠، ٢٢٧، ٣٢٧، ٥٩٤.

(٤١) سقط الزند و ضوءه صـ ٤٠١.

(٤٢) سقط الزند و ضوءه صـ ١٨٢.

لقد آنَ أنْ يثني الجَموحَ لجامُ وأنْ يملك الصّعبَ الأبيّ زمامُ

«الجَمُوح: من جَمَحَ الفرسُ، إذا غلب فارسَهُ على رأسه، ﴿يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧] - في (القرآن) - فسروه: يُسرعون، وهو راجع إلى المعنى الأول»(٤٣) ثم قوله عن بيته :

خافَ غدر الأنام فاستودع الرّ يحَ سليلاً تغذوه دَرَّ العِهادِ

«معنى هذا البيت أن بعض المفسرين يفسر قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ [ص: ٣٤]، بأن سليمان ﷺ، كان يؤثر أن يكون له أولاد، فلم يرزق إلا واحدًا، و ادّعوا له أنّ الرّيح حضنته تغذوه دَرَّ العِهاد - و هي الأمطار التي يتلو بعضُها بعضًا - و أنها ألقته على كرسيّه ميتًا. و غير هؤلاء يفسّر ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ أي :شيطانًا، و قيل مَلَكًا»(٤٤).

وأما إقرار أبي العلاء بالبعث: ففي غير موضع من (الضوء) نجد الشاهد على ذلك، كقوله عن هذا البيت - من مرثيته لأبيه-:

ويكنِي شهيدُ المرء غيرك هيبةً وبُقْيَا، و إنْ يُسأل شهيدك لا يكنِي

«أي إن الشهيد الذي يشهد على الإنسان في الآخرة يكني عن بعض أفعاله، لأنها قبيحة، وشهيدك لا يكني عن شيء من فعلك، لأنه كلّه جميل»(٤٥)

(٤٣) سقط الزند و ضوءه صـ ٢٢٤.

(٤٤) سقط الزند و ضوءه صـ ٤٠١.

(٤٥) سقط الزند و ضوءه صـ ٣٦٥، و انظر أيضا صـ ٣٥٦، ٣٨٨.

وأما إشفاقه من اليوم العسير : فمما ورد في (السقط) ثم في (الضوء)، لأننا نجد في الأول قوله للشريف أبى إبراهيم – و هو يرثيه–:

ولا تنسني في الحشر والحوضُ حولـه عصائبُ شـتَّى بين غُرٍّ إلى بُهْـمِ
لعلّـك في يـوم القـــيامة ذاكـرِي فتسأل ربّي أن يخفّف من إثمِي(٤٦)

ثم نجد في الثاني قوله عن بعض معانيه: «وهذا من الكذب الصُّراح، نسأل الله إقالة العثرة»، ثم قوله عن آخر: «والله المستَغْفَرُ من ذلك و غيره»(٤٧)، إذ لا يعترف بكذبه ويستقيل الله و يستغفره إلا المشفق من اليوم العسير، يوم القيامة ، كما أنه لم يرج مرثيّه أن لا ينساه يوم القيامة إلا لإشفاقه كذلك.

وأما تضليله من أنكر المعاد: فهو من الصريح في (السقط)، و الضمنيّ في (الضوء)، لأننا نجد في الأول:

خُلـق النّـاسُ للبقـاء فَـضَلَّتْ أمـــةٌ يحـــسبونهم للنَّفَـــادِ

ثم نجد في الثاني - عن البيت – : «أي إنّ أصحاب الشُّروع مجمعون على أن بعد الدنيا آخرة تبقى فيها النفوس، إما في خير وإما في شرّ. و قد حُكي عن أفلاطون الحكيم أنّ النفس الخيّرة تكون مُبَقّاةً في الآخرة، وأنّ النفس السيئة ليس لها بعد الموت بقاء، و رُوي عن أرسطاليس أنه كان يدّعي بقاء النفس الطيبة والخبيثة»(٤٨).

وأما ترغيبه في أذكار الله و الأوراد : فبفعله الذي دل عليه قوله - و قد سبق

(٤٦) المرجع السابق صـ ٣٨٨.
(٤٧) المرجع السابق صـ ١٣٢، ٣٤١.
(٤٨) المرجع السابق صـ ٣٩٤.

بعضه - في أول (الضوء): «قد علم الله - جلّتْ كلمته - أنّ أحبّ الكلام إليّ ما ذكر به [الله] - عزّ سلطانه - وأُثني به عليه، وإذا تكلمت بكلمة لغيره عددتها من غَبْنٍ و غَبَن، تزيد الغصن الشائك من الأُبَنِ ... و إذا نطقت بألفاظ ليست لله، فإنما أنا كما قيل في المثل، مُكرهٌ أخوك لا بَطَل»(٤٩).

وأما خضوعه للشريعة المحمدية و تعظيمها: فليس أدلّ على ذلك مما سبق، إذ كلّه أو جلّه شواهد ونتائج، ومما يدلّ أيضًا على خضوعه للشريعة وعلى تعظيمه إيّاها - عدا ما سبق - أمور:

منها: تفويضه العلم لله عز و جل فيما غاب عنه، كقوله في غير موضع: «والله أعلم»(٥٠).

ومنها: إيمانه بقدرة الله على كل شيء، بدليل قوله المستمدّ من القرآن: «وهو على كل شيء قدير»(٥١).

ومنها: نقده لنفسه، الذي سبق بعضه و منه أيضًا قوله عن بيته:

تُثنِي عليكَ البلادُ أنك لا تأخذ من رِفدها و تَرفِدُهَا

«أي إنك لا تسترفد البلاد، و إنما رِفدك يأتيها. و هذه دعوى باطلٍ، لأن العالم إنما يرزقهم الله - سبحانه - من الأرض»(٥٢).

---

(٤٩) المرجع السابق صـ ٧ – ٩.

الغبن – بالتسكين – في البيع، و الغبن – بالتحريك – في الرّأي. والغصن الشائك: الكثير الشوك. و الأُبن: جمع أُبنة ، و هي العقدة.

(٥٠) المرجع السابق صـ ١١٦، ٢٠٥، ٦٨٦، ٧٤٥.

(٥١) المرجع السابق صـ ٥٣٨.

(٥٢) المرجع السابق صـ ٣٢٥. الرفد: العطاء. و ترفدها: تعطيها. (اللسان: رفد).

من هذا البيان، لما تضمنه (ضوء السقط) – من الشهادة لصاحبه بحسن الخاتمة - نخلص إلى أمور:

أولها: التيقّن مما أشرت إليه في صدر هذا الكلام، من أنّ نسخة ابن الوردي من (الضوء) قد تضمنت المتن مع الشرح، أي جُمع فيها بين (سقط الزند) و(ضوء السقط)، تحت اسم الثاني، و الدليل على ذلك ما عدّه ابن الوردي من (الضوء) وهو من (السقط)، أعني «مدح الأشراف من ذريته ﷺ»، الذي ورد في سبع قصائد من المتن، هي ذوات الأرقام: ٥، ٨، ١٤، ٢٥، ٣٨،٤٢،٦٠، والعجب أن يعدّ ابن الورديٌ هذا المديح من غير (السقط) مع معرفته به، حيث استشهد ببعض أبياته فيما سبق، وكأنما خدعه العنوان - عنوان نسخته: ـ (ضوء السقط) – عما تضمنه من متن و شرح، خداعًا أداه إلى أن يعتدّ كل ما فيها من (الضوء).

وثانيها: أن ماعدا (مدح الأشراف) في قول ابن الوردي كله في (الضوء) استقلالًا أو احتمالًا، استقلالًا في الأكثر، و احتمالًا في الأقل، لأن تبجيل الصحابة، و إيراد محاسن من التفسير، و الإقرار بالبعث ، والترغيب في أذكار الله، و الخضوع للشريعة المحمدية، هذه الخمسة – كما رأينا – مما ضُمّنه (الضوء) وحده، أما تعظيم الرسول ﷺ، والإشفاق من اليوم العسير، وتضليل مَن أنكر المعاد - فقد وردت ثلاثتها - كما أسلفت - في (السقط) وفي (الضوء).

وثالثها: أن ما تضمنه (الضوء) في قول ابن الوردي استقلالًا واحتمالًا - كافٍ في الشهادة لصاحبه بحسن الخاتمة، و هو لا شك أَكْفَى وأبلغ، إذا أضفنا ما فات ابنَ الوردي - وقد أوضحناه - من تعظيم المعريّ لله سبحانه، ومن تعظيمه لقرآنه، ومن نقده لنفسه.

ورابعها: أن ابن الورديٌ على ما أوضحناه، قد ضرب أروع مثل في غضبه ورضاه، لأنه حين غضب لم يغضب إلا لما تصوّره هو من شكّ أبي العلاء، وحين رضي لم يرضَ إلا لما تبينه من حسن الخاتمة لمن غضب عليه، إذ وجد أبا العلاء قد ضمّن خاتمة كتبه - وهو (ضوء السقط)- من إسلامه و إيمانه وإحسانه و تقواه، ما يُثلج الصّدر، و يَلَذّ السمع، و يُقرّ العين، و يسرّ القلب، ويطلق اليد، و يثبّت القدم.

و بعـد:

فهل لنا أن نكون كابن الوردي في النظر والبصر، وفي العدل والإنصاف، فَنَدَع ما قبل الخاتمة إليها، و نحسن الظن بأبي العلاء لحسن خاتمته، امتثالًا لهدي الرسول الكريم : «وإنما الأعمال بالخواتيم».

ثم هل لنا - مع ذلك - أن نقـول : رحم الله أبا العلاء، و جعل في ميزان حسناته، ما شهد بحسن خاتمته - أعني (ضوء السقط) - و رضي الله عنَّا و عنه.

المصادر والمراجع

١- **الأعلام**: لخير الدين الزركليّ. ط٤، بيروت ١٩٧٩م.

٢- **بغية الطلب في تاريخ حلب**: لابن العديم. ط١، تح د . سهيل زكّار. بيروت ١٩٨٨م.

٣- **تعريف القدماء بأبي العلاء**: لجنة إحياء آثار أبي العلاء. دار الكتب المصرية ١٩٤٤م.

٣- **سقط الزند وضوءه**: لأبي العلاء. مخطوط مصور بمكتبتي من مكتبة بشير أغا بإستانبول.

٤- سقط الزند وضوءه: لأبي العلاء. تحقيق د. السعيد السيد عبادة نشر معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ٢٠٠٣م.

٥- **شروح سقط الزند**: للتبريزيّ والبطليوسيّ والخوارزميّ (١- ٥) تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين. دار الكتب المصرية ١٣٦٤ –١٣٦٨هـ - ١٩٤٥ –١٩٤٩م.

٦- **الشعر والشعراء**: لابن قتيبة، طبعة دار المعارف،ط٢، بتحقيق أحمد شاكر ١٩٦٦م.

٧- **صحيح البخاريّ**: طبعة دار الشعب بالقاهرة ١٣٧٨هـ.

٨- **صفوة التفاسير**: للشيخ محمد عليّ الصابونيّ. ط٤. بيروت ١٩٨١.

٩- **طبقات فحول الشعراء**: لابن سلام الجمحيّ . قرأه و شرحه الأستاذ محمود محمد شاكر. ط٢، بمطبعة المدنيّ بالقاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ**: لابن حجر (١- ١٤). حققه الشيخ عبد العزيز بن باز. و رقّم كتبه و أبوابه و أحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. و صحّحه و أخرجه الأستاذ محبّ الدين الخطيب. بيروت (د.ت)، عن طبعة السلفية بمصر ١٣٧٩هـ.

١١- **الكشّاف** : للزمخشريّ، ط٢، بمطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.

١٢- **لسان العرب**: لابن منظور. طبعة بولاق بالقاهرة ١٣٠٠هـ.

١٣- **معجم البلدان**: لياقوت الحمويّ. طبعة بيروت ١٩٥٥ – ١٩٥٧م.

١٤- **مقاييس اللغة**: لابن فارس. تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. طبع عيسى الحلبيّ ١٣٦٦هـ.

١٥- **وفيات الأعيان**: لابن خلّكان. تحقيق د . إحسان عباس. بيروت ١٩٦٨ – ١٩٧٢م.

أثر القرآن الكريم في كتابات ناصيف اليازجي
كتاب مجمع البحرين نموذجًا

د. أحمد العلاونة (*)

يتناول البحث أثر القرآن الكريم في لغة النصارى العرب. وقد اخترت من هؤلاء ناصيف اليازجي اللغوي الشاعر اللبناني المعروف الذي تَبَيَّنَ أثر القرآن الكريم في لغته من كثرة اقتباساته من القرآن الكريم في كتابه (مجمع البحرين).

وقد كان الدكتور إبراهيم السامرائي والأستاذ ظافر القاسمي رحمهما الله قد عرضا لاقتباس العلامة ناصيف اليازجي من القرآن الكريم، فأطال الأول[1]، وأوجز الآخَر[2]، وكلاهما اكتفى بما قدَّم، ولم يكن قصدهما ذكر جميع اقتباساته، وإني لذاكرٌ في مقالتي هذه مزيداً من اقتباساته؛ ليكون الموضوع أوسع وأنفع، فأقول:

(*) باحث في الأدب والتراجم من الأردن.

(١) (انظر: مجلة جامعة أم القرى، العدد١٦، ١٤١٨هـ ص١٥٧-١٩٣).

(٢) (انظر: فصول في اللغة والأدب ص٢٥-٣٢).

لما سمع الوليد بن المغيرة النبيَّ صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن لم يملك إلا أن يصف القرآن بقوله: «إن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلى».

وأعجبني قول الأستاذ ظافر القاسمي في كتابه (فصول في اللغة والأدب٢٥) عن القرآن الكريم: «وما وقع لكاتبٍ على مدى العُصور أن اقتبس منه بعضَ آياته إلا ورأيتَها تقفز وحدَها من بين السطور تعلن عن[٣] نفسها أنها لا تشبه ما قبلها ولا ما بعدها، وتبدو كاللؤلؤة الفريدَة تبهر الأعين، وتحلو في السَّمع وترنُّ في الآذان وتدخل إلى القلب».

ولا غرو إذن أن يعمد بعضُ النصارى العرب إلى القرآن الكريم؛ يصقلون ببيانه لغتهم، ويجمِّلون ببلاغته أسلوبهم، وينهلون من معينه، وينسجون على نوله.

وأنا قاصرٌ قولي في أثر القرآن الكريم في لغة ناصيف اليازجي على كتابه (مجمع البحرين)، وحاصره فيما فيه من اقتباس، وهو حلية حلَّى بها كتابه، فإذا هو فتنة للقارئ.

وقبل أن أورد ما جمعتُ من اقتباساته أشير إلى أمور وقفتُ عليها في أثناء مطالعتي لكتابه، وهي:

(٣) الوجه الجيد أن يقال (تُعلن نفسَها) [المجلة].

أن اليازجي أولى القرآنَ الكريمَ اهتمامَه وحفظ معظمَ سوره، فمكَّنه ذلك من الإحاطة بأسلوبه، وأقدره على الاقتباس من آياته وتراكيبه، وهو أحياناً يقتبس بعض آية، وأحياناً يقتبس آية تامَّة، أو يختصر من الآية ألفاظاً يسيرةً يحل محلَّها ألفاظاً من عنده، يقتضيها سياق قوله، وربما قدَّم وأخَّر في بعض ألفاظ الآية، وربما زاد عليها أو نقص منها، وذلك حين يكون قصده تأليفَ كلام جديد موافق لفكرته.

أما ذكري لاقتباساته فجعلته على النحو التالي: جعلتُ رقماً مسلسلاً لكلِّ صفحة من كتابه فيها اقتباس، ثم أُورد عبارة اليازجي التي فيها اقتباس، ثم أعقبها بتعليقي عليها مع الإشارة إلى الآية المقتبَس منها.

ودونكم الآنَ مادَّةَ المقالة:

- ص١٢: «واتركوا ما رأيتم نَسياً مَنسيّاً»، وفي هذا اإلى قول إيماء إلى قول الله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[مريم: ٢٣].

- ص١٣: «وغَفَل عن يوم يجعلُ الولدان شيباً»، وهذا من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[المزمل: ١٧].

وجاء فيها أيضاً: «ثم أقبلوا يُهرَعون إليه»، وفي هذا إشارةٌ إلى قول الله: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[هود: ٧٨].

- ص١٧: «وإن لك لأجراً غيرَ ممنون»، وفي هذا اقتباسٌ من قول الله

تعالى: وَإِنَّ ﴿ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم ٣].

- ص٢٦: «لقد جمعتَ فأوعيتَ»، وفي هذا إيماءٌ إلى قول الله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج ١٨].
- ص٢٧: «فضاق الرجُل ذَرعاً في الجواب»، إلماعٌ إلى قوله سبحانه: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [هود ٧٧]، و[العنكبوت ٣٣]..
- ص٣٠: «فأخذت الشيخَ الحميَّةُ حميَّةُ الجاهليَّة»، وهذا من قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦].
- ص٣٢: «أنه أطغى من فرعونَ ذي الأوتاد»، يُشير إلى قوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾ [ص١٢].
- ص٣٥: «.. حينَ مَناص»، وهو من قوله تعالى: ﴿ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص٣].
- ص٣٦: «فقال صبرٌ جميل»، وفي هذا إيماء إلى قول الله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف ١٨ و٨٣].
- ص٣٧: «فبتناها ليلة كأنها ليلةُ القَدر، وأحييناها بالحديث حتَّى مطلع الفجر»، وهذا شيء من قوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]
- ص٤٢: «وإن كنت ممَّن عبس وتولَّى»، إشارة إلى قوله تعالى:﴿ عَبَسَ

وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [عبس:١]. وجاء فيها أيضاً: «والشيخ ينظر من طَرف خَفي»، وكأن اليازجيَّ نظر إلى قوله تعالى:﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥].

- ص٤٤: «علم اللهُ أن سيكونُ»، تَلمحُ فيه قول الله سبحانه: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ [المزمل: ٢٠].
- ص٥١: «وقد قدَّرنا المنازلَ حتَّى عاد كالعُرجُون القديم»، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩].

وورد أيضاً: «حتى تبين لنا الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود»، إيماءً إلى قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[البقرة: ١٨٧].

- ص٥٢: «فأوحى إليَّ ما أوحى»، يومئ إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠].

وجاء أيضاً: «وإلا فقد يئستُ منها كما يئس الكفَّارُ من أصحاب القُبور»، وهذا من قوله تعالى:

﴿ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة ١٣].

وورد فيها: «فكم ركبَ هنا طَبقاً عن طَبَق»، يومئ إلى قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق ١٩].

- ص٥٣: «ليُحقَّ الله الحقَّ ويُبطل الباطل»، وهذا من الآية الثامنة من: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٨].

• ص٥٤: «هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور؟»، وهو من الآية ١٦ من سورة الرعد: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [الرعد: ١٦]

• ص٥٥: «وأنا لم تأخذني سِنةٌ ولا نوم»، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]..

• ص٥٦: «كأنه من آيات ربِّه الكُبرى»، إيماءً إلى قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ [النجم: ١٨]..

• ص٥٨: «وبهم يشد أَزْري»، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾ [طه: ٣١].

• ص٦١: «فلا جَرَمَ أنك من صَميم العرب»، تَلمحُ فيه قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ [هود: ٢٢]. وتكرَّرت (لا جرم) في مواضع أخرى من كتاب الله.

• ص٦٢: «وأنوح بكرة وأصيلاً»، وهذا إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٢].

• ص٦٤: « قد شغفتك حباً»، وهذا شيء من قوله تعالى: ﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗا ﴾ [يوسف: ٣٠].

• ص٦٥: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وهذا مأخوذ من قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

• ص٦٨: «ذات الشمال وأخرى ذات اليمين»، يشير إلى قول الله: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

وجاء فيها من شعره: «ويعلم السر وأخفى في الورى» يومئ لإلى قول الله: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

• ص٧٨: «يكظم الغيظ»، إيماءً إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]..

• ص٧٩: «فيا ليتني مت قبل هذا البلاء العظيم»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ [مريم: ٢٣].

• ص٨٠: «لكنني ضربت عنه صفحاً»، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ [الزخرف: ٥].

• ص٨١: «وانتشروا مثنى وثلاث ورباع»، يومئ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ [النساء: ٣]، وقوله: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ [فاطر:١].

• ص٨٢: «وإن مسه الضر». وهذا شيء من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾ [الزمر: ٤٩]، وقوله: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

• ص٨٣: «واستعذ بالله من الشيطان الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس. فلما استتم كلامه قال: إنه من سليمان»، وجملة هذا إشارات واقتباسات من آيات عدة. فقوله: «واستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

وقوله: «الذي يوسوس في صدور الناس»، هو آية معروفة من سورة الناس٤، وقوله: «إنه من سليمان» اقتباس من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ [النمل: ٣٠].

• ص٨٥: «ثم ولوا الأدبار»، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ...لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ [الفتح: ٢٢].

• ص٨٧: « لا أملك نفعاً ولا ضراً» هو من قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

• ص٩١: «تعالوا أتل عليكم ما يبقى ذكره»، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾[الأنعام: ١٢١].

• ص٩٤: «فحدث بنعمة ربك»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى: ١١].

• ص٩٦: «فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين»، وهذا من الآية [٢٤٩ من سورة البقرة]: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾

- ص١٠٦: «وماءً ثجاجاً»، وفي هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[النبأ: ١٤].
- ص١٠٧: «قد أحصينا كل شيء عدداً، ولو جئنا بمثله مدداً»، إن الشق الأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[الجن: ٢٨]. وأما الشق الآخر فإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].
- ص١١٠: جُعل مباركاً أينما كان، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].
- ص١١٣: «واسترق السمع، وإذا هو قد بسط ذراعيه»، إن الشق الأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الحجر: ١٨].

وأما الشق الثاني فمأخوذ من قوله تعالى:﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨].

- ص١١٤: «وجعلهم الهر هباءً منثوراً»، وهذا إيماء إلى قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣:].

وجاء فيها: «وأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم»، وهذا إيماء أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

- ص١١٥: «إننا ممن يطعم الطعام على حبه»، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].
- ص١٢٠: «فقد يسرتك لليسرى»، وفي هذا إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨].

• ص١٢٣: «إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ٨].

• ص١٢٦: «وكن من الشاكرين»، وقوله هذا من قوله تعالى: ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦].

ص١٢٨: «وهو يطعمني ولا يسقين»، وهذا إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩].

• ص١٣٠: «كأنني شهاب ثاقب، وكأنها توارت بالحجاب»، في الشق الأول إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾ [الصافات: ١٠].

وأما الشق الآخر فإيماء إلى قوله تعالى:﴿ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾[ص: ٣٢].

وجاء فيها: «وهو يقسم تارة بالخنس، وطوراً بالجَوَار الكنس، ويلهج مرة بمواقع النجوم»، وجملة ما ذكره اليازجي هنا اقتباس من آيات محكمات، يقرؤها القارئ فيقف على مكانها من لغة التنزيل، فقوله: «يقسم تارة بالخنس»، غير بعيد من قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٥]. وقوله «بالجوار الكنس»، مأخوذ من قوله تعالى:﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾[التكوير: ١٦]. وقوله «بمواقع النجوم»، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة: ٧٥].

• ص١٣٢: «فنظر نظرة في السماء»، وهذا غير بعيد عن قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ [الصافات: ٨٨]..

• ص١٣٣: «فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم»، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

وقال اليازجي فيها «إنما يخشى الله من عباده العلماء»، وهذا اقتباس أيضاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقول اليازجي: «حتى خيل للقوم أن عنده علم الغيب فهو يرى»، غير بعيد عن قوله تعالى: ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٥].

وقوله «وأنه يعلم ما في السماء وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»، إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٦].

• ص١٣٧: «انقلب على عقبيه»، وهذا شيء من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[آل عمران: ١٤٤].

• ص١٣٩: «وأرهقني صعدا»، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧].

وقال اليازجي «أحسبها خيراً من ألف شهر»، تلمح فيها قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٣].

• ص١٤٠: «فأوثقوا جيده بحبل من مسد»، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥].

• ص١٤٩: «فإنه يهديك الصراط المستقيم»، وهو من قول الله: ﴿ ٱهْدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٥].

وقال اليازجي: «ولا تحسب أن الإنسان يترك سدى»، وهذا من قول الله: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦]..

- ص١٥٥: «حتى لم نبق ولم نذر»، إشارة إلى قول الله: ﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ [المدثر: ٢٨].

- ص١٥٦: «فأوجسنا خيفة في أنفسنا»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾ [طه: ٦٧].

- ص١٥٨: «وأذاقني ببعاده عذاب الحريق»، تلمح فيه قوله تعالى: ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

- ص١٥٩: «إن هذا بعلي شيخ عَلَندي»، وهو من قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗا ﴾ [هود :٧٢].

- ص١٦١: «هذه بضاعتنا رُدت إلينا»، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾ [يوسف: ٦٥].

- ص١٦٣: «كأنهم على نصب يوفضون»، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴾[المعارج: ٤٣].

وجاء فيها أيضاً: «الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ [ص :٢٠].

- ص١٦٤: «حتى وهن العظم مني»، وهذا من الآية الرابعة من سورة مريم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾.
- ص١٦٧: «قد جئناك ببضاعة مزجاة»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ [يوسف: ٨٨].
- ص١٧٠: «إلى أن صرت أوهن من بيت العنكبوت»، يومئ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١].
- ص١٧٦: «أعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥].
- ص١٨١: «سبحان من يحيي العظام وهي رميم»، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨].

وجاء فيها «فسُقط في يد الرجل»، وهذا إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

- ص١٨٢: «أن المال زينة الحياة الدنيا»، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].
- ص١٨٣: «الذين كانت مفاتيح كنوزهم تنوء بالعصبة الأقوياء»، كأن اليازجي نظر إلى قوله تعالى: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦].

• ص١٨٧: «.. اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٠].

وورد فيها «ولا فرعون ذي الأوتاد»، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ [الفجر: ١٠].

وجاء فيها: كـ «إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد»، وهذا الآية السابعة والثامنة من سورة الفجر ، ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾.

وقال اليازجي: «وإما ينزغَنَّك من الشيطان نزغ فاستعيذوا بالله إنه هو السميع العليم، ومن عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأن الله غفور رحيم»، إن الشق الأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وأما الشق الثاني فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

• ص١٨٨: «والسلام على من ذكر اسم ربه فصلى، والويل لمن كذب وتولى»، والشق الأول منتزع من قوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٥].

وأما الشق الثاني ففيه شيء من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١٦].

• ص١٩٠: «فلا تؤاخذونا إن نسينا أو أخطأنا»، وهذا من الآية الأخيرة

من سورة البقرة ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾.

وورد فيها «فصل لربك وانحر»، وهذا هو الآية الثانية من سورة الكوثر: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ .

- ص١٩٦: «ولا أخاف بخساً ولا رهقاً»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن: ١٣].
- ص٢٠٠: «اللهم اهدنا سواء السبيل»، تلمح فيه قول الله:﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢].
- ص٢٠٧: «غشيتنا ظلمات بعضها فوق بعض»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور :٤٠].
- ص٢٠٨: «وأكلنا هنيئاً مريًا»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء :٤].
- ص٢١٢: «ترى الناس سكارى»، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [الحج: ٢].
- ص٢١٧: «فأسر إلي النجوى»، وهذا شيء من قول الله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ [طه: ٦٢].
- ص٢١٩: « نسترق السمع»، نلمح فيه قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ [الحجر: ١٨].

• ص٢٢٣: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود»، وهذا من الآية ٢٩ من سورة الفتح. وقال اليازجي: «أقبلوا بوجوه ناضرة إلى ربها ناظرة»، وهذا اقتباس من قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢].

وقال أيضاً: «يسبحون بحمد ربهم»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر: ٧].

وقال: «ويستغفرون لما تقدم وما تأخر من ذنبهم»، وهذا شيء من قول الله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

وجاء فيها: «أعوذ برب الناس»، وهذا من الآية الأولى من سورة الناس.

وجاء فيها أيضاً «عزمت أن أنتبذ مكاناً قصياً ولا أكلم اليوم إنسياً»، إن الشق الأول من قول اليازجي مأخوذ من قول الله: ﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم: ٢٢].

والشق الآخر مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم ٢٦].

• ص٢٢٤: «واستقم ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون، فإن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»، وهذا الكلام ذو شقين، أما الأول فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس :٨٩].

وأما الشق الآخر فمأخوذ من قول الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

وجاء فيها أيضاً «إني وإياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين»، وهذا اقتباس

من قول الله: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤].

- ص٢٢٥: «وستعلمون غداً من الكذاب الذي يُراغُ عليه ضرباً باليمين»، وكلام اليازجي هذا ذو شقين، الأول هو من قول الله: ﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦]. والثاني هو من قول الله: ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩٣].

وكتب فيها: «فيه حق معلوم للسائل والمحروم»، يشير إلى قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

- ص٢٢٨: «وإن كنتم في ريب من ذلكم»، وفي هذا شيء من قول الله: ﴿ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ [الحج: ٥].

- ص٢٣٧: «فلما انسلخ النهار من الليل»، وفي هذا شيء من قول الله: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [يس: ٣٧].

وجاء فيها: «ولا يعصي لي أمراً»، يومئ إلى قول الله: ﴿ وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ [الكهف: ٦٩].

- ص٢٣٨: «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً»، وهذا الذي ذكره اليازجي هو الآية ٣٦ من سورة الإسراء ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾.

وورد فيها: «أو يسلكني عذاباً صعداً»، وهذا إيماء إلى قول الله: ﴿ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴾ [الجن: ١٧].

وورد فيها أيضاً «فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله»، وهذا اقتباس من قول الله: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ [النساء: ٩٢].

- ص٢٤١: « فلما آنست منهم أُنساً»، وفي هذا شيء من قول الله: ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا ﴾ [النساء: ٦].

وجاء فيها «نور على نور»، وهذا من قول الله: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ ﴾ [النور: ٣٥].

- ص٢٤٣: «فإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار»، وهذا اقتباس من قول الله: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [البقرة: ٧٤].

- ص٢٤٨: «وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»، وهذا من قول الله:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة ٥١].

- ص٢٥٠: «كان ذلك في الرق المنشور»، وفي هذا شيء من قول الله: ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾ [الطور:٣].

وجاء فيها «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»، وهذا من الآية ٢٢ من سورة الرعد، والآية ٢٠ من سورة الحديد.

- ص٢٥٦: «قد كتب ربك على نفسه الرحمة»، وهذا إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

- ص٢٥٧: «فأنخنا كهشيم المحتظر، وإذا الناس كالجراد المنتشر»، وكلام

اليازجي ذو شقين، الأول «كهشيم المحتظر»، وهذا من قوله تعالى: ﴿ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١].

والثاني «كالجراد المنتشر»، وهو من قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر: ٧].

- ص٢٥٩: «فاخلع إذن ما عليك حتى نعليك»، كأن اليازجي نظر إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه: ١٢].
- ص٢٦٠: «والله لا يضيع مثقال ذرة»، تلمح فيه قول الله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة :٧].
- ص٢٦٢: «في ناشئة الليل»، وهذا شيء من قول الله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [المزمل:٦].

وجاء فيها: «قد أَذّن في الناس بالحج فأتوا رجالاً وعلى كل ضامر من كل فج عميق»، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧].

وجاء فيها أيضاً: «فلبثنا يوماً أو بعض يوم»، وهذا مأخوذ من قول الله: ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الكهف:١٩] و[المؤمنون: ١١٣].

- ص٢٦٤: «يضحكون قليلاً ويبكون كثيراً»، تلمح فيه قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢].

وقال اليازجي: «برحمتك يا أرحم الراحمين»، وهذا شيء من قول الله:

﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقال أيضاً: «إني إلى ما تريدون أقرب من حبل الوريد»، وهذا شيء من قول الله: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

***

مما سبق يظهر أن للثقافة أثرًا في الكتابة. وناصيف اليازجي كان يقرأ القرآن الكريم، ويحفظ أجزاءً منه، فظهر أثر ذلك واضحًا في اقتباساته وأسلوبه.

علم المعاني في أمالي ابن الشجريّ
(٤٥٠ - ٥٤٢ هـ)

د. منيرة محمد فاعور(*)

لا تقتصر مسائل البلاغة على ما سطّره أئمة البلاغيين في كتبهم كعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ)، والسكّاكي (ت٦٢٦هـ)، والخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ). بل إنَّ أئمة النحويين كانت لهم نظراتٌ بلاغيةٌ في كتبهم النحويّة؛ فأبحاث التقديم والتأخير، وأبحاث الحذف والاختصار وغيرها ضافية في كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ)، والمقتضب للمبرّد (ت٢٨٦هـ)، والأصول لابن السرّاج (ت٣١٦هـ).

وتلقانا كتب الأمالي النحوية بفيض من الشّذرات البلاغية تضافرت مع المسائل النحوية. وهذه القضايا البلاغية في كتب الأمالي تستحق دراسةً وصفيةً مقارنة بما أتى به البلاغيون أنفسهم، لذلك جاء هذا البحث، وتوجه لدراسة مباحث علم المعاني في أمالي ابن الشجري.

وابن الشجري غني عن التعريف[1]، أمَّا كتابُه الأمالي فيدل اسمه على موضوعه، وقد جعلَه ابن الشّجريّ في (٨٤) مجلساً، كان ينتقل فيها بين فروع

(*) أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة دمشق.

(١) انظر ترجمته في نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ص٤٠٤ - ٤٠٦، وإنباه الرواة ٣/ ٣٥٦- ٣٥٧، ومعجم الأدباء ٥/ ٥٩٢ - ٥٩٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٤٧، وبغية الوعاة ٢/ ٣١٣.

العربية انتقالاً عفويّاً، وقد جاءت معظم مباحث البلاغة مبعثرة منثورة هنا وهناك في أنحاء كتابه، يحتاج الدارس فيها أن يطوف بين صفحاته لِلمِّ شعث المتفرق منها، وتجميع المادة المتصلة بموضوع واحد في مكان واحد، حتى يستطيع أن يكوّن فكرة متكاملة عن جهوده في الدرس البلاغي.

والذي يعنينا من هذا كلّه الألوان البلاغية التي تناولها في علم المعاني، وهل فيها من الجدة والطرافة ما يضيف به إلى البلاغة شيئاً ساعد على تطورها، أو أنه اكتفى بترديد آراء السابقين، وتوقف حيث انتهوا؟

هذه الأسئلة والاستفسارات سيأتي الجواب عنها من استعراض جهوده البلاغية، ومقارنته بلغوي بارز هو ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في كتابه (الصاحبي)، ليُبين مقدار إضافات ابن الشجري إلى البحث البلاغي، ثم سيُوازن بما استقرت عليه البلاغة حتى القرن السابع الهجري على يد السّكّاكي (ت ٦٢٦هـ)، ليُبين بدقة مدى اقتراب ابن الشجري مما انتهت إليه البلاغة عند هذا العالِم.

بحوثه في علم المعاني:

أولاً- الخبر:

ونستهل الحديث عن الخبر عند ابن الشجريّ بتعريفه له، يقول: هو«أن يُخبر المتكلّم غيره بما يُفيده معرفته، وحدّه دخولُ التصديق والتكذيب فيه، وهو على ضربين: موجَبٌ وغيرُ موجَب، فالموجب: ما عَرِيَ من أدوات النفي، نحو زيد منطلق، وفي الدار زيدٌ،...وغير الموجب ما كان غير ذلك نحو قوله تَعَالَىٰ:﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[ص: ٨]»، وابن الشجري لم يقف عند الحدود النحوية لأسلوب الخبر، بل امتد به البحث إلى الكشف عمّا ينطوي تحت ظلال هذا الخبر من لطائف بلاغية، فذكر من ذلك:

أ- الأمر: والأمر عند ابن الشجري يتخذ ثلاثة أشكال:

الأول: ما يحتّمه اتفاق علماء الإسلام على أنه خبرٌ لفظاً، وأمر معنى، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

وفي هذا يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يُخبر عنه موجوداً »[٢].

وابن الشجري هنا لا يقنع بمثال واحد، بل يسرد شواهد لا تنتهي اعتمد في توجيهها بلاغيّاً على ما ذُكر.[٣]

الثاني: والشكل الثاني الذي يتخذه خروج الخبر إلى معنى الأمر لديه أن يكون أمراً خالصاً يقتضيه السياق، ويفرضه المعنى العام للجملة. يقول: «ومن الخبر الذي أُريد به الأمرُ قولهم: (أمكنك الصيدُ) أي ارْمِهِ، وقولهم: (اتَّقى اللهَ امرؤٌ وصنع خيراً) أي ليتقِ اللهَ وليصنَعْ خيراً» [٤].

والشكل الثالث: الخبر الذي خرج لمعنى الأمر ليحقق فائدة أخرى تستتر خلف هذا الأمر، وهذه الفائدة قد تكون: «تأديباً نحو قوله تعالى:﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور :٥١] معناه قولوا سمعنا قولك، وأطعنا حُكمك. وقد تكون إباحة نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [النور :٦١]

(٢) الكشاف ١/ ٤٤٠.

(٣) انظر هذه الشواهد وتعقيباته عليها في الأمالي ١/ ٣٩٣.

(٤) الأمالي ١/ ٣٩٣.

يقول: معناه: كلوا مع هؤلاء، وليأكلوا معكم، وكلوا من هذه البيوت، ويشير إلى معنى الندب في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] يقول: « معناه: افعلوا بهنّ من المعروف مثلَ ما يلزمهُنّ لكم ... » (٥).

ب- الدعاء: يتناول غرض الدعاء بقوله: « ومن الخبر الذي أُريد به الدعاء قولهم:(غفر الله لك، ورحم الله فلاناً، ويرحم الله فلاناً) لو كان هذا خبراً على ظاهره، لكنت موجباً لرحمة الله ومغفرته للمدعوّ له، وليس الأمر كذلك، وإنما قصدت الرغبة إلى الله في إيجاب المغفرة والرحمة له ...» ثم ينقل شواهد أخرى اعتمد في توجيهها على ما سبق.(٦)

جـ - النهي: ويشير إليه بقوله: «ومن الخبر الذي أريد به النهي قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا [النور – ١٧]. أي لا تعودوا».

د- الإغراء: وعند حديثه عن هذا الغرض ينقل شواهد كثيرة يحللها تحليل العالم العارف بدقائق اللغة وخفاياها وأسرارها مبيِّناً موضوع الشاهد، ووجه الاستشهاد عليها. يقول:« ومما جاء فيه لفظُ الخبر بمعنى الإغراء، قولُ عمر رضوان الله عليه: (أيُّها الناسُ كتب عليكم الحج والعُمرة) معناه: عليكم بالحج والعمرة، والزموا الحج والعمرة ».(٧)

هـ- الوعيد : ويُعبّر عن هذا الغرض بقوله: ومما جاء فيه الوعيدُ بلفظ الخبر في التنزيل قوله تعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] (٨)

(٥) انظره نفسه ١/ ٣٩٤.

(٦) انظر هذه الشواهد وتعقيباته عليها فيه نفسه ١/ ٣٩٥.

(٧) الأمالي ١/ ٣٩٦-٣٩٧، وانظر شواهد أخرى فيه نفسه ١/ ٣٩٧-٣٩٩.

(٨) نفسه ١/ ٣٩٩.

وابن الشجري يلتقي مع ابن فارس في تعريف الخبر، وفي الإشارة إلى بعض الأغراض البلاغية التي ذكر منها: التعجب والتمني والإنكار والنفي والأمر والنهي والتعظيم والدعاء والوعد والوعيد والإنكار والتبكيت. وتشعّب ابن فارس من ذلك لقضايا أخرى تتعلق بالخبر، مثل استعماله بمعنى الشرط والدعاء والطلب(٩).

نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥]

يقول: « فظاهره خبر، والمعنى إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا»(١٠).

وإن كنّا نلمس نفساً أعمق، وشرحاً أوفى، واستدعاء لآراء بعض العلماء عند ابن الشجري، ومن الواضح ممّا جاء عند ابن فارس وابن الشجري في استعمال الخبر أنه يكشف عن المعاني الكثيرة التي يؤدّيها هذا الأسلوب زائدة على مفهومه اللغوي، وهذا الذي اعتمده البلاغيون المتأخرون، فها هو ذا السّكّاكي يذكر تعريفات السابقين له، ويتحدث عن أضرب الخبر الثلاثة، وغرضَيْ الخبر الأصليين، ثم يفصّل في خروجه عن أصل وضعه، فيشير إلى خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر(١١). لكن، مع كل هذا، لم يخض كثيراً في تلك اللطائف البلاغية كما فعل ابن الشجري وابن فارس.

ثانياً – الإنشاء:

لعل أبرز مجهود بذله ابن الشجري فيما يتعلق بالبلاغة العربية، هذا الباب الذي عقده في المجلسين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين لمباحث

(٩) انظر هذه الأغراض والأمثلة عليها في الصاحبي / ٢٨٩-٢٩١.

(١٠) انظره نفسه ص٢٩٠.

(١١) انظر مفتاح العلوم ص٢٥٤- ٢٦٤.

الإنشاء، فقد أفاد من دراسة أسلافه من علماء اللغة والبلاغة وغيرهم، واعتمد على استنتاجاته واستقراءاته، وجَمَعَ الشواهد الشعرية والنثرية بما حقق له إفراد باب متكامل في موضوع واحد، وأول هذه المباحث أسلوب الاستفهام.

أ – الاستفهام:

يُعدّ مبحث الاستفهام عند ابن الشجري من المباحث البلاغية المتكاملة في كتابه، ويعود ذلك إلى أسباب، منها:

١ – أنّه عرّفه وبيّن مسمياته بدقّةٍ في استخلاص المعنى اللغوي وربطه بالمعنى الاصطلاحي. يقول: «الاستفهام والاستخبار والاستعلام واحد؛ فالاستخبار: طلبُ الخبر، والاستفهام: طلب الفَهم والاستعلام: طلب العِلم .

٢ – حديثه عن همزة الاستفهام والاستشهاد عليها، وبيان ما اختُلف فيه من الشواهد على حذفها، وما اتُفق عليه(١٢).

٣– ثراء قائمة المعاني البلاغية المستفادة من الاستفهام، فقد ذكر منها: (الأمر): وهنا يحشد مجموعة من الشواهد القرآنية والشعرية، منها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:١٩]، أي انتهوا، ومثله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور:٢٢] أي أحبو هذا،﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣]. أي تذكروا :﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللهِ﴾[الحديد : ١٦](١٣).

وابن الشجري يُطنب في تحليل الاستفهام بمعنى الأمر، فينبه على دقائق في

---

(١٢) نفسه ١/ ٤٠٦– ٤٠٧.

(١٣) نفسه ١/ ٤٠٢–٤٠٣.

التحليل لم يلتفت إليها أصحاب البلاغة، وهي داخلة في صميم المعاني المستقاة من ظاهر أسلوب الاستفهام، وابن الشجري حين يدُلنا عليها لا يحكم إحساسه فحسب، وإنما يقدّم من الأسباب ما يقنعنا برأيه.

فالاستفهام لديه يخرج إلى معنى الأمر، وهذا الأمر يتضمن معنى التنبّه، وهذا التنبه هو أيضاً أنواع تُفهم تبعاً للسياق، وهنا يُورد مجموعةً من الشواهد القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[الفرقان:٤٥] فهي «بمعنى تنبّه على هذا، واصرف فكرَك إليه و اعجَبْ منه» (١٤).

ويستدل على الاستفهام بمعنى الأمر للتنبيه على قضية أخرى هي (الشكر) ، يقول: «ويكون تنبيهاً على الشكر كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:٦]» (١٥)، ويشير إلى غرض التوبيخ بقوله: «ومن الاستفهام الذي ورد بمعنى الأمر، والمراد به التوبيخ قوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء:٩٧] أي هاجروا»(١٦).

وهكذا يتأكد أن الاستفهام عند ابن الشجري لم يبحث فيه المتكلمُ عن إجابة محددة؛ لأن المقصود ليس الاستفهام الحقيقي بل غرضه تصور ما يتحدث عنه فأخرجه عن حقيقته إلى غرض آخر، هو الأمر، وهذا الأمر يستتر وراءه أغراض أخرى دقيقة، كما رأينا، وهذا ما زاده إيحاءً جماليّاً، وأكسبه حسناً فريداً.

ثم يشير إلى أغراض بلاغية أخرى، يتناولها جميعاً بالدرس والتحليل

(١٤) نفسه ١/ ٤٠٣ .

(١٥) نفسه ١/ ٤٠٣.

(١٦) نفسه ١/ ٤٠٤.

والإكثار من التدليل عليها بالشواهد المناسبة من القرآن الكريم والشعر، فيذكر من هذه الأغراض: (الوعيد) نحو قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾[الزخرف:٥]، يقول: معناه: أفنترككم ولا نُذكّرُكم بِعقابنا؟، و(الحث) نحو قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة:٢٤٥]، و(التهدّد على جهة التنبيه)، كقوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[المرسلات:١٦] إلى آخر القصة، و(التحذير) كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٢٥][١٧].

ويشير إلى غرض(التوبيخ) فينقل أمثلة كثيرة، منها قوله تعالىَ :﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] [١٨] .

وهكذا يسير ابن الشجري في تحليله للمعاني المستقاة من ظاهر الاستفهام فيذكر كذلك : التسوية، والنفي، والتعجب، والعرض،[١٩] وإن كان يرى أن الأَوْلى بالعرض أن يكون طلباً لا أن يكون استفهاماً[٢٠]، ويستدل على كل ذلك بأمثلة كثيرة من المنثور والمنظوم.

٧- إفاضته في الكلام على استعمال الاستفهام بمعنى الخبر، ثم تفصيله في نوعي الخبر في حالتي الإثبات والنفي، يظهر ذلك واضحاً في تأويله لقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨]، فيقول موجّهاً الاستفهام في هذا الموضع: «أي جهنم مثواهم... و﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦]، المعنى: الله يكفي عبده ... »[٢١].

(١٧) الأمالي ١/ ٤٠٩.

(١٨) نفسه ١/ ٤٠٣-٤٠٤ ، وانظر أمثلة أخرى على هذا الغرض فيه نفسه.

(١٩) انظر إشاراته إلى هذه الأغراض فيه نفسه على الترتيب ١/ ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩.

(٢٠) نفسه ١/ ٤٠٩ – ٤١٠.

(٢١) نفسه ١/ ٤٠٤- ٤٠٥.

وابن فارس أيضاً درس خروج أسلوب الاستفهام عن أصل وضعِه، ونظرةٌ سريعة إلى ما جاء في كتابه (الصاحبي) تؤكد أن الدرس البلاغي لأسلوب الاستفهام قد تطور كثيراً على يدي ابن الشجري، إذ وجدنا ابن فارس يعرّفه بقوله:« الاستخبار: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبِر،وهو الاستفهام»(٢٢)، مقصياً بذلك مسألة الصدق والكذب التي تحدّ هذا الأسلوب، ولمسنا أيضاً أن ابن الشجري قد فرق بين مصطلحين متشابهين لمصطلح الاستفهام وهما: الاستخبار والاستعلام(٢٣)،في حين اكتفى ابن فارس بإظهار الفرق بين الاستفهام والاستخبار(٢٤). يضاف إلى ذلك أنه لم يتناول أدوات الاستفهام ضمن هذا المبحث (٢٥)، لكن مع هذا فإن الباحث في هذه الأدوات يحتاج لجمع المتناثر منها حتى يكوّن فكرة دقيقة عنها لكن، يُسجل هنا أن ابن فارس عرض طائفة من الأغراض البلاغية التي يحققها أسلوب الاستفهام كان منها: التعجب، والتفخيم، والتوبيخ، والتفجع... وغيرها، ثم تحدث عن وضع الاستفهام في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء، وعرض لحذف ألف الاستفهام (٢٦)، وهذه أمور مهمة في الدرس البلاغي.

لكننا مع كل هذا لم نجد لدى ابن فارس ذاك العمق في الشرح والتحليل وكثرة التدليل، والخوض الموسع في استعمال الاستفهام بمعنى الخبر كالذي وقعنا عليه عند ابن الشجري.

---

(٢٢) الصاحبي ص٢٩٢ .

(٢٣) انظر الأمالي ١/ ٤٠٠.

(٢٤) الصاحبي ص ٢٩٢ .

(٢٥) انظر هذا الباب (حروف المعاني) فيه نفسه ص ١٢٥-١٧٨.

(٢٦) نفسه ص ٢٩٢-٢٩٧.

ونظرة أخرى إلى ما جاء عند السكّاكي تفيدنا أن ابن الشجري اقترب كثيراً من الصيغة النهائية التي استقرت عليها دراسة هذا المبحث، وإن كان يُسجل للسكاكي حديثه الموسّع عن الفرق بين الاستفهام بـ(هل) والاستفهام بـ(الهمزة)، وكلامه على أدوات الاستفهام وما يختص منها بطلب التصور وما يختص منها بطلب التصديق، والبحث في أنواع الخبر...[٢٧]. ولكن يُسجل أيضاً أن السكاكي لم يُثبت تعريفاً جامعاً مانعاً لأسلوب الاستفهام، وكل ماجاء لديه هو شرحٌ لهذا الأسلوب، فقد بدأ بحثه فيه بعرض أدواته ، ثم ختمه بالحديث عن لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام[٢٨].

وهذا يؤكد من ناحية أخرى أن ابن الشجري قد وعى الكثير من معارف سابقيه وأضاف إليها من عنده، مما كان له تأثيره في الدراسات البلاغية.

ب- الأمر:

وفي دراسته لأسلوب الأمر نراه يدرسه دراسة العالم المتأني المعنيّ بتحديد الماهيات، وعرْض الأنواع، وإثرائها بالتحليل والتدليل، ولذلك فهو يُعدّ مبحثاً شبه متكامل، ومردُّ ذلك إلى أسباب منها:

١- أن بحثه لم يأتِ نُتفاً مبعثرة هنا وهناك، بل أفرده بمبحث مستقل[٢٩] ألحقه بمبحث الاستفهام.

٢- أنّه عرّفه، وبيّن معانيه تبعاً للرتبة، ثم أشار إلى صيغتين من صيغه، وهما: افعل للمواجه، وليفعل للغائب.

---

(٢٧) انظر حديثه عن هذه الأمور في مفتاح العلوم ص ٤١٨-٤٢٠.

(٢٨) انظر مفتاح العلوم ص٤٢٧.

(٢٩) انظر هذا المبحث في الأمالي ١/ ٤١٠- ٤١٤.

وبذلك أغفل المصدر النائب عن فعله، واسم فعل الأمر.

٣- اهتمامه بإبراز المعاني التي يحتملها لفظ الأمر، فذكر من ذلك: الندب، والإباحة ، والمراد بالإباحة على حدّ تعبيره : إباحة الشيء بعد حظره، لذلك كان يسوق الشاهد مُثبتاً بما سبقه يقول: «... وكذلك قوله:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾[المائدة:٢]، بعد قوله: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة:٩٥] » (٣٠). ومنه الوعيد(٣١)، ويستدل عليه بشواهد كثيرة، منها: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت:٤٠]، والتأديب والإرشاد إلى أصلح الأمور وأحزمها . كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢] ، والإرشاد على غير إلزام كقوله: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[النساء:٣] (٣٢)، ويرد «الأمر للخضوع، كما كان دعاءً في نحو: اللهم اغفر لنا، وليرحم الله زيداً، وقول المذنب لسيده أو لِذِي سُلطانٍ: افعل بي ما شئت وابلُغ مني رضاك، تذللاً منه وإقراراً بذنبه...».

والتحدي كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[هود:١٣]، فلما عجزوا عن ذلك قال: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[يونس:٣٨] ثم يدعم حكمه بدليل آخر عندما يقول: يدلك على أن المعنى تبينُ عجزهم عن ذلك قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾[البقرة : ٢٤] (٣٣).

(٣٠) انظر هذه الأغراض وأمثلة أخرى عليها فيه نفسه ١/ ٤١١ -٤١٢.

(٣١) نفسه ١/ ٤١١.

(٣٢) انظره نفسه ١/ ٤١١-٤١٢.

(٣٣) نفسه ١/ ٤١٣.

وعلى هذا النمط يسير فيذكر: التنبيه على القدرة، والتخيير، والإباحة[٣٤]، وهو بعد هذا كلّه لا يغفل عن الإشارة إلى خروج الأمر إلى معنى الخبر، فيشير إليه، ويدرسه مبيّناً موضع الشاهد، ووجه الاستشهاد.[٣٥]

وقد ظهر تفوق ابن الشجري على ابن فارس في دراسة هذا الأسلوب فقد عرّفه ابن فارس بقوله: «الأمر عند العرب: ما إذا لم يفعله المأمور به سُمّي المأمور به عاصياً»[٣٦]، ثم أشار – وكما فعل ابن الشجري – إلى صيغتين من صيغه، وهما ما كانا بلفظ (افْعلْ) و(ليفعل)، ثم عرض طائفة من المعاني البلاغية، مكتفياً بالاستشهاد عليها بشاهد واحد في الغالب الأعم، فذكر غرض التوبيخ، والتلهيف، والندب، والتعجيز، والتعجب[٣٧] من غير كبير تدخل فيها، أو إكثار من الشواهد كما هي الحال عند ابن الشجري.

ولم يطرأ على هذا الأسلوب تطور واضح على يدي السّكّاكي؛ فقد عرّفه بقوله: «للأمر حرف واحد وهو اللام الجازم في قولك: ليفعلْ، وصيغ مخصوصة سبق الكلام في ضبطها في علم الصرف، وعدة أسماء ذُكرت في علم النحو»[٣٨]، ثم ذكر بعض الأغراض البلاغية ومقاماتها التي تتولد من قرائن الأحوال، فكانت لديه: الدعاء، والالتماس، والسؤال، والإباحة، والتهديد[٣٩]، واكتفى بذكر أمثلة عليها لا شواهد، بلا أي تعقيب أو تحليل. وشتّان ما بين رجل يذكر

(٣٤) انظر الغرض الأول فيه نفسه١/ ٤١٣، والغرضان الأخيران وردا فيه نفسه ٣/ ٧٠- ٧١.

(٣٥) نفسه ١/ ٤١٢.

(٣٦) الصاحبي ص ٢٩٨.

(٣٧) نفسه ص٢٩٨- ٣٠٢.

(٣٨) انظر مفتاح العلوم ص٤٢٨ .

(٣٩) انظره نفسه ص٤٢٨.

الأمثلة فقط ولا يزيد، ورجل كابن الشجري يذكر الشواهد، ويُنوّه بما فيها من معانٍ بلاغية، ويعقّب عليها بما يدل على سعة اطلاعه وتذوقه.

جـ- النهي:

لم يتوسع ابن الشجري في دراسة هذا الأسلوب كما فعل في المبحثين السابقين، ومع ذلك تُسجل له عدة أمور؛ منها: أنه أثبت له تعريفاً دقيقاً ، وحدّد صيغته، وبيّن رتبة الناهي عندما قال :« النهي هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة، وصيغته : لاتفعل ولايفعل فلان »[٤٠]،وهذه كلها قضايا جوهرية لا غنى لدارس البلاغة عنها. ثم يستدل على كل ذلك بشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فمن شواهد النهي للمُواجِه يذكر قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِّ إِلَهًا آخَرَ﴾[الشعراء:٢١٣]،ومن شواهد النهي للغائب يذكر: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢][٤١].

ثم يبيّن أن النهي قد يرد في لفظ التحريم، ولفظ الوعيد، ولفظ النفي، ولفظ الخبر[٤٢]، وهذه قضايا لا يُتوقف عندها عادة في البلاغة؛ لأن الاهتمام يُوجه نحو تلك اللطائف المستقاة من ظاهر معنى النهي، وقد وجدناه هنا غيرَ معنيٍّ بعرض تلك الأمور إلّا في موضع واحد، يذكر فيه معنى التنزيه، ويشترط له قيام الدليل[٤٣] .

أما جهد ابن فارس فيتمثّل في سطرين اثنين، فقد اكتفى بالقول: «فأمّا النهي

(٤٠) الأمالي ١/ ٤١٤ .

(٤١) نفسه ١/ ٤١٤ .

(٤٢) انظر هذه الأنواع وأمثلة عليها فيه نفسه ١/ ٤١٥ .

(٤٣) انظر معنى التنزيه فيه نفسه ١/ ٤١٤- ٤١٥.

فقولك: (لا تفعل)» [٤٤]، ثم استدل عليه بشاهد شعري بلا أي زيادة تذكر.

أما السكّاكّي فقد تناول بعض المعاني البلاغية المستفادة من هذا الأسلوب وبيّن مقاماتها بقوله: « ثم إن استُعمل النهي على سبيل التضرع، كقول المبتهل إلى الله: لاتَكِلْني إلى نفسي، سُمّي دعاء، وإن استُعمل في حقّ المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سُمِّي التماساً، وإن استُعمل في حقّ المستأذن سمّي إباحة، وإن اسُتعمل في مقام تَسَخُّط الترك، سُمي تهديداً»[٤٥]، ولم يستدل عليها بأي شاهد أو مثال؛ ثم ختم بحثه بالحديث عن اشتراك الأبواب الأربعة: التمني والاستفهام والأمر والنهي في تقدير الشرط بعده.

د- النداء :

بدأ ابن الشجري مبحث النداء باستعراض آراء السابقين[٤٦]، وعندما ينقل ابن الشجري هذا الكلام لا يدعه حتى يبين وجهة نظره فيه ويوفيه حقّه درساً وتحليلاً واستدلالاً، يقول: « وقد وجدت للنداء وجوهاً، أكثرُها لا تُخرجه عن كونه نداءً»[٤٧]. وهذه الوجوه يذكر فيها :

١ – «أن نداءك لله سبحانه في قولك: يا ألله يا رحمن يا رحيم، إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى، يكون خضوعاً وتضرُّعاً وتعظيماً». [٤٨]

٢ – أنه «قد يقتصر على ألفاظ المدح للمدعو، إذا كان قصدُك تعظيمه، ومرادك

(٤٤) الصاحبي ص٣٠٢.

(٤٥) انظر مفتاح العلوم ص٤٢٩.

(٤٦) انظر الأمالي ١/ ٤١٧ .

(٤٧) نفسه ١/ ٤١٨ .

(٤٨) نفسه ١/ ٤١٨ .

مدحَه ، كقولك: يا سيد الناس...». (٤٩)

٣- « وبحسب ذلك يكون ذمّاً للمنادى وتقصيراً به، وزرياً عليه كقولك : يا خُبث ، ويا أبخل الناس...، فالنداء في هذا الوجه داخل في حيِّز الخبر». (٥٠)

٤- ألمح إلى أن النداء يفيد التوكيد عند خروج صيغه عن أصل معناها من مخاطبة المتكلم إلى مخاطبة النفس والقلب.

٥- ويشير إلى أن النداء قد يوجه إلى من لم «يُقصد إسماعه، كغائب تكتب إليه تتشوقه أو تمدحه أو تذمّه، كقولك في مكتوبك: يا زيدُ، جمع الله بيني وبينك، أو تقول لميت تندبه: يا زيدُ، ما أجلَّ مصيبتنا بفقدك، ومناداة الديار والأطلال، والأوقات»(٥١).

٦- أمّا الوجه الآخر والمهم ، فهو حديثه عن المعاني البلاغية التي يحققها هذا الأسلوب، وقد نصّ على ذلك بقوله: «فهذه وجوه شتّى قد احتملها النداء، وإن كان في أصل وضعه لتنبيه المدعوِّ»(٥٢). وهذه الأغراض ذكر منها: التحذير، والاستغاثة، والتوجّع والتأسّف، والتعجب. (٥٣)

وهكذا يتبين أن ابن الشجري فهم أن الجملة البلاغية في أساليب النداء أداة وهدف، والمتكلم بذلك ليس مجرّد مرسل لأدوات النداء وإنما هي، أي الجملة البلاغية، تعبير مثير عن أفكاره ومشاعره، وبذلك أصبح النداء في دلالته وحضوره البلاغي رسالة كلامية وعملاً فنيّاً في آن معاً.

---

(٤٩) نفسه ١/ ٤١٨ .

(٥٠) نفسه ١/ ٤١٨ .

(٥١) نفسه ١/ ٤٢٢ .

(٥٢) نفسه ١/ ٤٢٣ .

(٥٣) انظر هذه الأغراض وأمثلته عليها فيه نفسه ١/ ٤٢٠-٤٢٢.

وغاب هذا المبحث تماماً عن كتاب الصاحبي ،أما السكاكي، فقد قال ما نصّه:« إنه سبق ذكر حروفه في علم النحو»(٥٤)، ثم نبّه على نوع من الكلام صورته صورة النداء وليس بنداء، تلك الصورة هي قولهم: أما أنا فافعل كذا أيها الرجل، يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص، ، ثم تحدث عن خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر(٥٥).

هـ- التمني:

لم يُسهب ابن الشجري في دراسة أسلوب التمني، وكان همّه موجهاً إلى إثبات عدم خبرية التمني، فدلّل على ذلك بأمرين؛ الأول: أن التمني مما أجابته العرب بالفاء... كما جاء في التنزيل: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[النساء:٧٣]، والفاء لا يُجاب بها الخبر الموجب إلّا في ضرورة الشعر... والأمر الآخر: أن التمني لا يحتمل التصديق والتكذيب، فلو « قلت: ليت لي مالاً، لما عورضت بتصديق ولا تكذيب».(٥٦) ثم عرض بعض الشواهد يحللها ويبين الفرق بينها وبين التحضيض. (٥٧)

وابن الشجري يتجاوز ابن فارس الذي اكتفى بالقول: التمني قولك: وددتك عندنا؛ ثم نقل رأي بعضهم بأنه من الإخبار؛ لأن معناه (ليس) إذا قال القائل: (ليت لي مالاً) فمعناه: ليس لي مال، وآخرون يقولون:« لو كان خبراً لجاز تصديق قائله أو تكذيبه».(٥٨)

---

(٥٤) مفتاح العلوم ص ٤٣١.

(٥٥) انظره نفسه ص٤٣١ .

(٥٦) انظر الأمالي ١/ ٤٢٧ .

(٥٧) انظر هذه الشواهد وتعليقاته عليها فيه نفسه ١/ ٤٢٦-٤٢٨ .

(٥٨) انظر الصاحبي ص٣٠٣- ٣٠٤.

إن مبحث التمني عند ابن فارس وابن الشجري عبارة عن ومضات خاطفة وسريعة، والحال لم يطرأ عليها كبير تطور عند السكّاكّي، فقد اكتفى بالحديث عن (ليت) الموضوعة وحدها للتمني، ثم عرض لحروف التنديم والتحضيض[٥٩]، بلا أي زيادة تُذكر.

ثالثاً- الالتفات:

فهم ابن الشجري أسلوب الالتفات فهماً بلاغيّاً دقيقاً يدلُّ على أصالة هذا الفن لديه ، فأشار إلى نوعين من أنواعه، وهما: أ- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: ويستدل عليه بأمثلة كثيرة منها قول الجعدي. [٦٠]:

أيا دار سَلْمَى بالحُزُونِ ألا اسْلِمِي نُحَيِّيك عن شَحْطٍ وإن لم تكَلَّمي

عفت بعد حَيّ من سُلَيمٍ وعامِرٍ تفانَوْا ودقَّوا بينهُمْ عِطْرَ منْشِمِ

يقول:« خاطب الدار بقوله: أيا دار سَلْمَى، وبقوله: اسلمي وما بعده، ثم انصرف عن خِطابها إلى إضمار الغيبة في قوله: عفت»[٦١].

ب- الخروج من الغيبة إلى الخطاب: ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وتعقيبه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ، لكنه مع هذا الفهم الدقيق له لم يُسمِّ هذا الأسلوب التفاتاً ، ولم يذكر أنواعه الأخرى، واكتفى بالنصّ على أنه «فنٌّ من التصرف متسع في القرآن وفي الشعر»[٦٢]، من غير أن يخوض في جمالياته.

(٥٩) انظر مفتاح العلوم ص٤٣١.

(٦٠) ديوانه ص١٣٧- ١٣٨.

(٦١) الأمالي ١/ ١٧٦ ، وانظر أمثلة أخرى وتعقيباته عليها فيه نفسه ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٦٢) نفسه ١/ ١٧٦.

ويظهر هنا أن ابن الشجري يقترب من ابن فارس الذي ذكر من أنواعه: الالتفات من الشاهد إلى الغائب، ومن الغائب إلى الشاهد، وذكر أنواعاً أخرى من أشكال الخطاب(٦٣)، ومن هذا وذاك وغيرهما استقى السّكّاكي مادته ليُثبت أنّ «الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويُسمّى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني، ثم يشير إلى ما كان الزمخشري (ت٥٣٨هـ) قد أشار إليه من أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد...»(٦٤).

رابعاً- القلب:

فهم ابن الشجري أسلوب القلب فهماً دقيقاً ينمّ على حسّ بلاغي رفيع، فأشار إلى اتساعه في الكلام حتى استُعمل في غير الشعر، ثم عرض شواهد وأمثلة له من المنظوم والمنثور، محلِّلاً ما فيها، ومشيراً إلى موضع الشاهد، ووجه الاستشهاد ،من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[الحاقة :٣٢] يقول: « هذا من المقلوب وتقديره: اسلكوا فيها سلسلةً »(٦٥)، ثم يعرض أمثلة شعرية ونثرية كثيرة ، يحللها ويبين وجه الاستشهاد بها(٦٦) .

وابن فارس يتحدث عنه حديثاً قصيراً مقتضباً، فيُدخل فيه القلب في حروف الكلمة، ثم يتناوله بمفهومه البلاغي فيسرد مجموعة من الشواهد لكن

(٦٣) الصاحبي ص٣٥٦- ٣٥٧.

(٦٤) انظر مفتاح العلوم ص٢٩٦، والكشاف ١/ ١٢٠.

(٦٥) انظر الأمالي ٢/ ١٣٥.

(٦٦) انظر هذه الأمثلة فيه نفسه ٢/ ١٣٤-١٣٧.

بلا أي جهد له يُذكر في التحليل والتعقيب إلاّ فيما ندر(٦٧)، وبذلك يتأكد أن هذا البحث قد تطور على يدي ابن الشجري، إذ يكفيه أنه حشد هذا القدر الكبير من الشواهد والأمثلة وشرحها وعقّب عليها بما يؤكد وعيه ودقة فهمه له، وبما يُثبت أنه تجاوز ابن فارس، ويثبت أيضاً إضافته إلى البلاغة بما يُحسب له.

وإذا ما امتدت المقارنة إلى السكّاكي فسنرى أنه سمّاه قلباً، ودرسه على أنّه شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر، وأنه مما يورث الكلام ملاحة، ثم أشار إلى بعض أمثلته (٦٨) بما لا يتجاوز في هذا النطاق ابن الشجري.

خامساً-التغليب:

تُعَدّ دراسة ابن الشجري للتغليب من اللفتات الغنية القيمة، وذلك لأسباب، منها: تحديدُه ماهية التغليب ، عندما قال : «... أجروا المختلفين مجرى المتفقين بتغليب أحدهما على الآخر»(٦٩)، وإظهارُ دواعي استعماله ، ثم ثراءُ قائمة الشواهد والأمثلة التي استدل بها.

يقول: « وقالوا للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعُمر رضي الله عنهما: العُمَران، غلّبوا القمر على الشمس لخفة التذكير، وغلّبوا عمر على أبي بكر، لأن أيام عمر امتدت فاشتهرت ...»(٧٠) ، وعلى هذا المنوال يسير ابن الشجري فيثبت الأمثلة، ثم يبين موضع التغليب فيها ودواعيه.

ولو قورن بابن فارس في هذا المبحث لثَبُت تفوق ابن الشجري من ناحية أن ابن فارس لم يُسمّه، وأنه ذكره تحت (باب الاسمين المصطحبين) ، ونقل عن

(٦٧) انظر الصاحبي ص٣٢٩-٣٣٢.

(٦٨) انظر مفتاح العلوم ص٣١٢-٣١٣.

(٦٩) الأمالي ١/ ١٩.

(٧٠) انظر الأمالي ١/ ١٩- ٢٠، وأمثلة أخرى فيه نفسه ٢/ ٤٢٤- ٤٢٥.

غيره في هذا الخصوص، فقال:« أخبرنا عليّ بن إبراهيم، عن عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عبيد، قال: قال الأصمعي: إذا كان أخَوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُميا جميعاً باسم الأشهر... وغير ذلك من الألقاب كقولهم لعَبْس وذبيان الأجربان...»(٧١).

والسّكّاكي لم يزد كثيراً على ما جاء عند ابن الشجري، فضلاً عن أنه لم يُعرّفه، ولم يُشر إلى أنه يغلب في التثنية، وإن كان قد أورد بعض الأمثلة للتغليب في المثنى؛ فمن أمثلته عنده: «أبوان للأب والأم، وقمران: للقمر والشمس، وخافقان: للمغرب والمشرق، لكنه لم يحدد دواعي هذا التغليب على خلاف ما فعله ابن الشجري. ثم عرض مجموعة من الشواهد جاء منها: تغليب الأكثر، وتغليب الأنثى على الذكور، وتغليب الخطاب، والعاقل»(٧٢).

سادساً- الحذف:

أفرد ابن الشجري للحذف سبعة عشر مجلساً ابتدأها بالمجلس التاسع والثلاثين وانتهى منها في المجلس السادس والخمسين، فضلاً عما نثره هنا وهناك بين دّفتي كتابه(٧٣) من أنواع للحذف كانت ترد في سياق حديثه، وقد امتازت دراسته بمجملها بالدقة والمنهجية والموضوعية، بدأها بعرض أنواع المحذوفات(٧٤) ثمّ بالشرح الموسّع والتحليل.

(٧١) انظر الصاحبي ص١٢٠- ١٢١.

(٧٢) انظر مفتاح العلوم ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٧٣) انظر الأمالي – على سبيل المثال لا الحصر- ١/ ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٦، و٢/ ٣٨، ٣٩، و٣/ ١٠٩، ١١٣، ١٧٨ وغير ذلك.

(٧٤) ذكر تحت عنوان (الحذوف الواقعة بالأسماء والأفعال والحروف) ثلاثة عشر ضرباً . انظر تفصيل ذلك في الأمالي ٢/ ٦٠.

ثم يتحدث عن الحذف الواقع بالفعل(٧٥)، والحذف الواقع بالحروف(٧٦). ثم يبدأ بتفصيل هذه الأنواع نوعاً نوعاً، فيعرض لها، ويستشهد عليها بشواهد وأمثلة يحلّلها تحليل العالم النحوي العارف الخبير بلغة العرب وقواعدها، فيشير إلى أدقّ أنواعها، ويدخل في تفصيلاتها بما لا يترك فيه زيادة لمستزيد.

وسنمضي سريعاً نحو آرائه البلاغية، فيتبين أنه لم يلتفت إلى المعاني البلاغية التي يحققها هذا الأسلوب، وكأنّ الحذف يرد لديه لمجرد الحذف،أو أقصى غاية منه تجنب طول الكلام كما في حديثه عن حذف الخبر وحذف المفعول(٧٧)، أو للعلم به والتخفيف كما في حديثه عن حذف النداء(٧٨). وأبرز ما يهتم به هو الاختصار، وهو لديه «من أفصح كلام العرب، لأن المحذوف كالمنطوق به، من حيث كان الكلام مقتضياً له، ولا يُكملُ معناه إلاّ به»(٧٩).

وهكذا ينتهي ابن الشجري من بابه وقد حشد كثيراً من الأنواع المدعومة بالشواهد تناولت حذف الحركة والحرف والكلمة والجملة والجمل.

أما ابن فارس فقد رأيناه يفُرد باباً (للحذف والاختصار) وآخر (للإضمار)(٨٠) تناول في الأول بعض شواهد الحذف وأمثلته ولكنه لم يُبين نوع

(٧٥) نفسه ٢/ ٧٩ وما بعدها.

(٧٦) نفسه ٢/ ١٢٨ وما بعدها.

(٧٧) انظر حديثه عن هذه القضايا فيه نفسه ٢/ ٦٢ ، ٦٦.

(٧٨) نفسه ٢/ ٦٦، ٧٣، ٧٧، ٢٩٢.

(٧٩) نفسه ٢/ ١٢٣.

(٨٠) انظر هذين البابين في الصاحبي ص٣٣٧ و٣٨٦.

المحذوف[٨١]. وفي الباب الثاني تحدث ابن فارس فيه عن إضمار الأسماء والأفعال والحروف، ثم ألحق به مبحثاً سماه (باب من الإضمار الآخر)[٨٢] واستدل على كل هذه الأنواع بما يؤكد فهمه ودقته في دراسة هذا الأسلوب وفي إظهار نوعه ، لكن لم يكن له أي جهد يذكر في الإشارة إلى أي غرض بلاغي، وبذلك تبقى دراسة ابن الشجري أشمل وأعمق وأوسع استدلالاً وتمثيلاً.

وكتب البلاغة اللاحقة لم تزد على ما جاء عند ابن الشجري لا تفصيلاً ولا توجيهاً، وكل ما يذكر لهم إضافتهم نوعاً آخر إلى الإيجاز، وهو إيجاز القصر[٨٣] ، وهذا السكاكي يفصّل في عرض أغراض المحذوفات، فيشيرإلى جملة من الأغراض البلاغية في دراسته حذف المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل (المفعول به). [٨٤]

سابعاً- التكرار:

فهم ابن الشجري أن التكرار البليغ ما يرد لتحقيق لطائف بلاغية ، وهذه اللطائف ذكر منها: التعظيم وذلك عند تعقيبه على بيت الخنساء [٨٥]:

(٨١) انظره نفسه ص٣٣٧.

(٨٢) نفسه ص٣٩٢.

(٨٣) ثمة إشارات مبكرة سريعة إلى هذا النوع في البيان والتبيين ١/ ١٠٧، ١١٥-١١٦، ١٤٩، ١٥٥ ، وفي كتاب الصناعتين ص١٨١ .

(٨٤) انظر تفصيل ذلك على الترتيب في مفتاح العلوم ص٢٦٥-٢٦٦، و٣٠٥-٣٠٧، و٣٣٤-٣٣٥، و٣٨٨.

(٨٥) ديوانها ص ٤٧ ، والبيت في الأمالي ١/ ٣٦٨ .

تَعَرَّقنـــي الـــدهرُ نَهْـــساً وحَـــزَّا وأوْجَعَنـــي الـــدَّهرُ قَرْعـــاً وغَمـــزا

فيرى أنها « كررت لفظ (الدهر) ولم تضمره تعظيماً للأمر» (٨٦).

و**التوكيد**: وهذا الغرض تحدث عنه عند ذكره لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة :١٠]، فهو يرى أن أحد وجهي تكراره أن يكون توكيداً ، كتكرير الجمل للتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح:٥-٦]، وكقول الخنساء: (٨٧)

هَمَمْـتُ بنفـسيَ بعـض الهُمُـومِ فـــأولى لنفـــسي أولى لهـــا

وهـو لا يقتصر في بحث التكرار على اللفظ وحده، بل يتجاوز ذلك إلى الإشارة إلى تكرير الجملة، وتكرير ثلاث جمل، مستدلاً على كل ذلك بشواهد من نظم العرب(٨٨).وعلى هذا المنوال يسير فيشير إلى غرض التفخيم، ويظهر هذا مثلاً في قولك « لمن تعنفه بقبيح تكرر منه، وتنبّهه على تكرير عفوك عنه: قد صفحت لك عن جُرْم وجُرمٍ وجُرْمٍ... »(٨٩) ، و يجمع بين غرضي التفخيم والتعظيم؛ كما في تعقيبه على قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ ﴾[الواقعة:٨-٩] يقول: «كرر لفظ أصحاب الميمنة تفخيماً لما يُنيلهم من جزيل الثواب، وكرر لفظ (أصحاب المشئمة) تفخيماً لما ينالهم من أليم العذاب»(٩٠).

---

(٨٦) الأمالي ١/ ٣٧٠ .

(٨٧) شرح ديوانها ص٧٣. وفيه (كل الهموم).

(٨٨) الأمالي ١/ ٣٧١- ٣٧٣، وانظر هذه الشواهد ثانية فيه نفسه ٣/ ٨٨.

(٨٩) نفسه١/ ١٤- ١٥.

(٩٠) نفسه ١/ ٣٧١ .

ونظرة إلى ما جاء عند ابن فارس تؤكد حضور ابن الشجري البلاغي، فقد اكتفى الأول بتأكيد أنه « من سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»(٩١)، ثم تحدّث عن تكرار بعض العبارات في رؤوس أبيات كثيرة، وجاء بشاهد واحد لتكرار المفرد، ثم بيّن الغرض من تكرار الأنباء والقصص في كتاب الله تعالى بأنه جاء إظهاراً للتحدّي والعجز عن الإتيان بمثله(٩٢). أما السّكّاكي فقد سكت سكوتاً تامّاً عن هذا الأسلوب.

وبعد؛ فهذه صحبة قصيرة مع ابن الشجري، صُحب فيها بلاغيّاً في أماليه، ووُقف فيها عند بعض الاهتمامات البلاغية في علم المعاني التي درسها دراسة مستفيضة، أو أشار إليها إشارات خاطفة وعقّب عليها أحياناً بما يدلّ على غزارة علمه، ودقة فهمه، وسلامة ذوقه الأدبي، وبما يستحق به أن يعدّ من رجالات البلاغة والباحثين في مجمل مسائلها.

ولابد من القول هنا : إنّ في كتاب الأمالي قضايا بلاغية أخرى تندرجُ في علمَي البيان والبديع، وقد أُغفل ذكرها ههنا؛ لأنَّ ذلك مما ينوء به البحث والبحثان؛ بل يحتاج إلى كتاب للكشف عمّا بين دفّتيه من كنوز بلاغية، وقد يجود الزمان بأن نلمَّ به ثانية، أو يهدي الله أحد الباحثين إليه فينكشف للبلاغة من ذلك خير كثير وعلم وفير .

(٩١) انظر الصاحبي ص٣٤١.

(٩٢) نفسه ص٣٤٣.

المصادر والمراجع

- أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، تح: د.محمود محمد الطناحي، ط: مكتبة الخانجي- القاهرة، تاريخ بلا.
- إنباه الرواة على أنباهِ النحاة: جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي ، تح: علي محمد عمر، ط مكتبة الخانجي- القاهرة، تاريخ بلا.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- ديوان النابغة الجعدي، حياته وشعره، د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.
- شرح ديوان الخنساء، دار التراث- بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- الصاحبي: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، تاريخ بلا.
- كتاب الصناعيين: أبو هلال العسكري، تح: البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. مطبعة عيسى الحلبي، تاريخ بلا.
- الكشّاف: الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٨م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- معجم الأدباء: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.
- مغني اللبيب: ابن هشام، تح: د.مازن المبارك، وعلي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٥، بيروت ١٩٧٩م.
- مفتاح العلوم: السّكّاكي، تح: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: كمال الدين بن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، تاريخ بلا.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، تاريخ بلا.

من إضافات الزمخشري في أسلوب العطف

د. إبراهيم منّاد(*)

١ - واو العطف ودلالتها على الكمال:

أورد الزمخشري في كشّافه معنًى آخرَ للواو العاطفة، وهو دلالتها على الكمال، ولم نجد، فيما وقع بين أيدينا من كتب التراث النحويّ، من أقرّ بهذا المعنى ممّن سبقوه، ولا من اعتمده ممّن لحقوه.

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة: ١ - ٥] ففي نظر الزمخشري وردت الواو في ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ ﴾ لتكون جامعةً بين مجموعة من الصفات فيحصل الكمال في إيرادها، وله في ذلك تفسير مطوّل لا بأس من ذكره؛ يقول:« فإن قلت ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ ﴾ أَهُمْ غيرُ الأوّلين أم همُ الأوّلون؟ وإنّما وسّط العاطف كما يوسّط بين الصفات في قوله: (هو الشجاع والجواد)، وفي قوله:

(*) باحث في اللغة والتراث من الجزائر.

إلى الملـكِ القـرمِ وابـنِ الهـمامِ وليـثِ الكتيبـةِ في المـزدحمْ[١]

قلت: يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلاّم، وأضرابه من الذين آمنوا، فاشتمل إيمانهم على كلّ وحي أُنزل من عند الله، وأيقنوا بالآخرة؛ إيقانًا زال معه ما كانوا عليه من أنّه لا يدخل الجنّة إلاّ من كان هودًا أو نصارى، وأنّ النار لن تمسّهم إلاّ أيّامًا معدودات، واجتماعهم على الإقرار...فيكون المعطوف غير المعطوف عليه، ويحتمل أن يراد وصف الأوّلين، ووسّط العاطف على معنى أنّهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه، فإن قلت: فإن أُريد بهؤلاء غير أولئك، فهل يدخلون في جملة المتّقين أم لا؟ قلت: إن عطفتهم على ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملةً على الزمرتين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم، وإن عطفتهم على (المتّقين) لم يدخلوا، وكأنّه قيل: هدى للمتّقين، وهدى للّذين يؤمنون بما أنزل إليك»، فظاهر قوله هو دلالة الواو على الكمال في الصفات في أحد الوجوه التي ذكرها. هذا، وإن كان ما ورد هاهنا لا يعدو أن يكون ربطًا بواو النسق لمجموعة من الصفات المتوالية، التي تقع على معطوف عليه واحد. وقد رفض أبو حيّان أن تكون الواو دالّة على الكمال في معرض ردّه لتفسير آخر للزمخشري كما سنرى بعد قليل.

وقال القرطبي:« قيل: المراد مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلاّم وفيه نزلت، ونزلت الأولى في مؤمني العرب، وقيل: الآيتان جميعًا في المؤمنين، وعليه

(١) ينظر: الكشّاف، ١/ ١٥٥، والإنصاف، ٢/ ٩، والبحر، ١/ ٣٢٦، والتبيان في البيان، ص ١٠٣، والخزانة، ١/ ٤٥١.

فإعراب ﴿الّذين﴾ خفض على العطف، ويصحّ أن يكون رفعًا على الاستئناف، أي: وهم الذين، ومن جعلها في صنفين؛ فإعراب الذين رفع بالابتداء، وخبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾، ويحتمل الخفض عطفًا»(٢). ونفهم من هذا أنّ الوجوه في التفسير تلاقت بين العالمين، ولكنّها اختلفت وتباينت في طريقة العرض وفي دلالة الواو على العطف بإضافة الزمخشري لمعنى الكمال.

وهذا المعنى لا يمكنه إلاّ أن يكون جمعًا بين المعطوفين. أمّا إن تصوّرنا ذلك، فقد يقع على الكثير من آي الذكر الحكيم ممّا يجعل دلالة الكمال مطّردة في اللغة العربية، وهذا ما لم يثبته حتّى الزمخشري نفسه، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤]، فهذه كلّها صفات معطوفة في الآية الأولى، ووردت بدون رابط عطفيّ في الآية الثانية، وليس في نظرنا ما يدلّ على الكمال في الحرف العاطف في هذه الصفات، لأنّ دلالة الكمال متعلّقة بالألفاظ الدالّة على الصفات لا على الحرف العاطف بينها.

(٢) الجامع، ١/ ١٧٥. وينظر: الطبري، ١/ ١٠٥، والمحرّر، ١/ ١٤٨-١٤٩، والبحر، ١/ ٦٧، والتفسير الكبير، ١/ ٣٦.

وقال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧]، تحدّث الزمخشري عن هذه الواو هاهنا بكلام خاصّ جالبٍ لإمعان النظر فقال:« والواو المتوسّطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كلّ واحدة منها، وقد مرّ الكلام في ذلك، وخصّ الأسحار لأنّهم كانوا يقدّمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده»(٣). أمّا أبو حيّان فله رأيٌ آخرُ وهو قوله:« لمّا ذكر الإيمان بالقول، أخبر بالوصف الدالّ على حسب النفس على ما هو شاقّ عليها من التكاليف، فصبروا على أداء الطاعة، وعن اجتناب المحارم، ثمّ بالوصف الدالّ على مطابقة الاعتقاد في القلب للّفظ الناطق به اللسان، فهم صادقون فيما أخبروا به من قولهم: (ربّنا إنّنا آمنا) وفي جميع ما يُخْبِرون، وقال الزمخشري:(...).ولا نعلم العطف في الصفة بالواو يدلّ على الكمال»(٤). فهذا معنًى جديد لا قِبَلَ لأهل النحو به، فهو مرفوض مردود على الزمخشري.

٢- ثمّ ومعنى الاستبعاد:

والمقصود بالاستبعاد كما هو جليّ في تحليلات الزمخشري المنافاة بين أمرين؛ المعطوف والمعطوف عليه(٥). وتحصل هذه الدلالة إذا كان الكلام الوارد بعد ثمّ مستبعد الوقوع بالنظر إلى ما سبقها، فالمعطوف عليه بما يمثّله من أفعال وأحداث يكون مهيّأً لعدم حصول الحكم الداخل في المعطوف.

وحريّ بنا أن نشير هاهنا إلى أنّنا لم نعثر على هذا المعنى للرابط ثمّ في كتب

(٣) الكشّاف، ١/ ٥٣٦.

(٤) البحر، ٣/ ٥٧. وينظر: المحرّر، ٣/ ٤٩-٥٠.

(٥) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص ٢٣٨.

النحاة المتقدّمين. ويبدو أنّه من ابتكار الزمخشري؛ لأنّه يتردّد في كشّافه بكثرة إلى درجة الاطّراد، وكيف لا يكون ذلك ونحن نعلم أنّ الرجل كان مولعًا بالاحتكام إلى مبادئ المعتزلة وعلى رأسها العقل والعدل، إضافةً إلى تزوّده واطّلاعه بأسرار اللغة العربية من البيان والمعاني.

ومن المواطن التي وردت فيها ثمّ دالة على الاستبعاد في الكشّاف، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾ [البقرة: ٧٢ – ٧٤]، قال الزمخشري:« (ثمّ قست) استبعاد القسوة من بعدما ذكر ممّا يوجب لين القلوب ورقّتها ونحوه»(٦)، ومعناه أنّ القلوب قد صلبت في رفض الحقّ، ولم تذهب لآيات الله المعجزة في إحيائه للموتى، ولذا صارت القلوب أشدّ قسوةً من الحجارة، وهذا الأمر في حقيقته لدى الزمخشري مستبعد بعد ما كانت الأفعال والأحداث السابقة لـ«ثمّ» في إبراز قدرة الله جلّ وعلا تنبئ بعدم بقاء قلوب هؤلاء قاسيةً وصلبة إثر رؤيتهم للحقّ، ومع ذلك بقوا على عهدهم السابق.

وردّ عليه أبو حيّان ذلك بقوله:«...وهو يذكر عنه أنّ العطف بثمّ يقتضي

(٦) الكشّاف، ١/ ٢٨٦. وينظر: المحرّر، ١/ ٣٥٣، والبحر، ١/ ٤٣٢، والقرطبي، ١/ ٤٣٠.

الاستبعاد، ولذلك قيل عنه في قوله:﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾(٧)، وهذا الاستبعاد لا يُستفاد من العطف بـ «ثمّ»، وإنّما يستفاد من مجيء هذه الجمل ووقوعها بعدما تقدّم ممّا لا يقتضي وقوعها، ولأنّ صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر، فيه من الاعتبارات والعظات ما يقتضي لين القلوب والإنابة إلى الله تعالى، والتسليم لأقضيته، فصدر منهم غير ذلك من غلظ القلوب وعدم انتفاعها بما شاهدت والتعنّت والتكذيب»(٨).

وقال تعالى:﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥]، فمعنى ثمّ وما يليها:« استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، والمعنى ثمّ أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنّكم قوم آخرون غير أولئك المقرّين تنزيلًا، لتغيُّر الصفة ومنزلة الذات، كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به»(٩). فهذا معنى جديد كان فضل السبق في إحداثه يعود إلى الزمخشري.

(٧) قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

(٨) البحر، ١/ ٤٢٢.

(٩) الكشّاف، ١/ ٢٩١-٢٩٢. وينظر: المحرّر ١/ ٣٧٨-٣٧٩، والبحر ١/ ٤٦٦، والقرطبي ٢/ ٢٠.

وإن كنّا نقبله فلا نقبل أن تكون «ثمّ» وحدها دالّة على الاستبعاد، وإنّما يكون هذا المعنى مستوحًى من السياق العامّ لعناصر العطف وأركانه.

وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: ٢٣] يرى الزمخشري أنّ ذلك« استبعاد لتولّيهم بعد علمهم بأنّ الرجوع إلى كتاب الله واجب، ونسب التولّي إلى فريق منهم لا إلى جميع المبعدين، لأنّ منهم من أسلم ولم يتولّ»(١٠).

ويواصل الزمخشري طريقه في تثبيت هذا المعنى وجعله قائمًا، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام: ١ – ٢]؛ فيقول:« فإن قلت علام عطف قوله ﴿ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون﴾، قلت: إمّا على قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على معنى أنّ الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنّه ما خلقه إلاّ نعمةً ثمّ الذين كفروا به يعدلون، فيكفرون نعمته، وإمّا على قوله ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على معنى أنّه خلق ما خلق ممّا لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. فإن قلت: فما معنى ثمّ قلت استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنّه مُحيِيهم ومُميتهم وباعثهم»(١١)

(١٠) المصدر نفسه، ١/ ٥٤١. وينظر: البحر، ٣/ ٨١، والقرطبي، ٦/ ٤٨-٤٩.

(١١) الكشّاف، ٢/ ٣٢١. وينظر: البرهان، ٤/ ٢٣٥.

ومنهم من يرى فيما رواه الزركشي عن ابن برّي، أنّ ثمّ وردت هنا للدّلالة على تفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة العدل، مع السكوت عن وصف العادلين.(١٢)

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٣]، في هذه الآية أورد الزمخشري في تحليله لدلالة ثمّ على الاستبعاد ما يتّصل بالفكر الاعتزالي؛ قال:« ﴿ثمّ لا تُنصرون﴾: ثمّ لا ينصركم هو؛ لأنّه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم. فإن قلت: فما معنى «ثمّ»؟ قلت: معناها الاستبعاد؛ لأنّ النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له»(١٣)، أي إنّه سبحانه أبقى عليهم وأوجب عليهم العذاب، وهذا ليس من رأي أهل السنّة والجماعة في شيء، ولذلك قال أبو حيّان عن هاته العبارات هنا أنّها من ألفاظ المعتزلة.(١٤)

وقال جلّ ثناؤه: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٣]، فالزمخشري يرى أنّ ثمّ هاهنا للاستبعاد؛ لأنّ الإنكار الذي حصل من قبلهم يُعدّ أمرًا مستبعدًا بعد حصول المعرفة؛ وذلك أنّ معرفة النعمة توجب الاعتراف بها لا الإنكار.(١٥)

---

(١٢) البرهان، ٤/ ٢٣٤.

(١٣) الكشّاف، ٣/ ٢٦٧.

(١٤) البحر، ٦/ ٢٢١. وينظر: المحرّر، ٧/ ٤١٥، والقرطبي، ٩/ ٩٥.

(١٥) الكشّاف، ٣/ ٤٦٠، وفيه:« (ثمّ ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها، وقولهم: هي من الله، ولكنّها بشفاعة آلهتنا، وقيل: إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا. وقيل: قولهم لولا=

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]، فثمّ في قوله ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ للاستبعاد، ومعنى ذلك في نظر الزمخشري «أنّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثمّ لم تنتهزها، استبعادًا لتركه الانتهاز؛ ومنه ثمّ في بيت الحماسة:(١٦)

وَلاَ يَكْشِفُ الغُمَّاءَ إِلاَّ ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطّلع على شدّتها»(١٧)، وكما نرى لا يجد الزمخشري هاهنا حرجًا في التباهي بانتمائه إلى المذهب الاعتزالي، وذلك حين قال (مستبعد في العقل والعدل) وهذا من مقولات المعتزلة.

وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٨]، قال صاحب الكشاف:« فإن قلت: ما معنى ثمّ في قوله: (ثمّ يصرّ مستكبرًا)؟ قلت: كمعناه في قول القائل: **(يرى غمرات الموت ثمّ يزورها)**،

=فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله. وإنّما لا يجوز التكلّم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنّها من الله، وأنّه أجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها». وينظر: المحرّر، ٨/ ٤٨٨، والبحر، ٦/ ٥٧٨-٥٧٩، والقرطبي، ١٠/ ١٤٧.

(١٦) البيت لجعفر بن عبلة الحارثي، وهو من شواهد: الكشّاف، ٢/ ٤٠٧، ٥/ ٣٧-٤٨٢، والبحر، ٨/ ٤٤٠، وديوان الحماسة لأبي تمّام، ١/ ٢٦، وشرح الحماسة لأبي تمّام، ١/ ٢٠٩.

(١٧) الكشّاف، ٥/ ٣٧-٣٨. وينظر: البحر، ٤/ ٤٤٠.

وذلك أنّ غمرات الموت حقيقة بأن ينجو راكبها بنفسه ويطلب الفرار عنها، وأمّا زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد، فمعنى ثمّ: الإيذان بأنّ فعل المُقْدِم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحقّ، ومَنْ تُلِيَت عليه وسمعها، كان مستبعدًا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها»[١٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١٤]، فمعنى ثمّ هاهنا للاستبعاد وهو استبعاد الإنجاء، لأنّ (ينجيه)« عطف على يفتدي، أي: يودّ لو يفتدي، ثمّ ينجيه الافتداء أو من في الأرض،...تمنّى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه، ثمّ ينجيه ذلك، وهيهات أن ينجيه».[١٩]

وقال جلّ وعلا: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ [المدثر: ١١ – ١٥]، فقوله تعالى (ثمّ يطمع) «استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه، يعني أنّه لا مزيد على ما أوتي سعةً وكثرةً، وقيل: إنّه كان يقول: إن كان محمد صادقًا فما خُلقت الجنّة إلاّ لي».[٢٠]

٣- دلالة ثمّ على التراخي والتفاوت بين الرتبتين لا في الوقت:

وهذه من الدلالات التي استحدثها الزمخشري في كشّافه إلى درجة جَعْلِها مطّردةً في باب العطف، وهي أيضًا من المعاني التي لم يسبقه إلى إثباتها أحد؛ قال أبو

(١٨) المصدر نفسه، ٥/ ٤٨٢.

(١٩) الكشّاف، ٦/ ٢٠٧. وينظر: البحر، ١٠/ ٢٧٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ٦/ ٢٥٥.

حيّان:« ولا نعلم أحدًا سبقه إلى إثبات هذا المعنى لـ ثمّ»[٢١]. وسنورد الآن مواطنَ متعدّدةً لثمّ في القرآن الكريم تؤدّي هذه الدلالة بحسب ما ارتآه صاحب الكشّاف.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، قال الزمخشري: «فإن قلت: فكيف موقع «ثمّ» قلت: نحو موقعها في قولك: أحسن إلى الناس ثمّ لا تحسن إلى غير كريم تأتي بـ«ثمّ» لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره، وبُعْدِ ما بينهما، فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثمّ أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأنّ أحدهما صواب والثانية خطأ، وقيل: ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس[٢٢]».[٢٣]

ويرى ابن عطيّة أنّ ثمّ هاهنا ليست للترتيب، وإنّما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها متقطّعة[٢٤]. وعليه تكون ثمّ هاهنا كالواو في إفادتها العطف دون ترتيب، في تقدير: وأفيضوا من حيث أفاض الناس.

وأورد أبو حيّان أنّ منهم من يحمل ثمّ في هذا الموضع على أصلها في إفادتها الترتيب، ويحتاج ذلك إلى تقديم وتأخير في الكلام؛ فيكون ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ ﴾

---

(٢١) البحر، ٢/ ٣٠٢.

(٢٢) جاء في تفسير المراغي:« فالمغني عليكم أن تفيضوا مع الناس من مكان واحد تحقيقًا للمساواة وتركًا للتفاخر وعدم الامتياز لأحد عن أحد، وذلك من أهم مقاصد الدين». ٢/ ١٠٣.

(٢٣) الكشّاف، ١/ ٤١٢.

(٢٤) المحرّر، ٢/ ١٧٧.

معطوفًا على ﴿واتّقون يا أولي الألباب﴾؛ أي: ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس، واستغفروا الله.(٢٥)

كما نجده يردّ على زعم الزمخشري في إفادة «ثمّ» التفاوت بين الرتبتين، يقول: «قال الزمخشري: (فإن قلت:...) وليست الآية كالمثال الذي مثّله، وحاصل ما ذكر: أنّ ثمّ تسلب الترتيب، وأنّها لها معنى غيره سمّاه بالتفاوت والبعد لما بعدها ممّا قبلها، ولم يجز في الآية أيضًا ذكر الإفاضة الخطأ، فيكون: ثمّ في قوله (ثمّ أفيضوا) جاءت لبعد ما بين الإفاضتين وتفاوتهما، ولا نعلم أحدًا سبقه إلى إثبات هذا المعنى لثمّ».(٢٦) ويبدو أن تشبّع الزمخشري بأفكار المعتزلة ساعده على التأويل وإعمال العقل للوصول إلى نظرات جديدة، صارت فيما بعد ثابتةً أو لِنَقُل متداولةً.

لكنّ أبا حيّان الذي عهدناه وألفناه متتبّعًا للزمخشري في كشّافه، نجده لا يتقبّل معظم آراء صاحب الكشّاف، إمّا لانتمائه إلى أهل الاعتزال، وإمّا لعدم ورود ما قاله في دراسات السلف،مثلما هو الحال بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢]، يقول أبو حيّان:«وعطف بثمّ الّتي تقتضي المهلة، لأنّ من أنفق في سبيل الله ظاهرًا لا يحصل منه غالبًا المنّ والأذى. فإذا كانت بنيّة غير وجه الله تعالى، لا يمنّ ولا يؤذي على

(٢٥) البحر، ٢/ ٣٠١. وينظر: الرازي، ٥/ ١٩٧.

(٢٦) البحر، ٢/ ٣٠١-٣٠٢.

الفور، فلذلك دخلت ثمّ، مراعاة للغالب، وإنّ حكم المنّ والأذى المتعقبين للإنفاق والمقارنين له حكم المتأخّرين، وقال الزمخشري: (ومعنى ثمّ إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، وأنّ تركهما خير من نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرًا من الدخول فيه بقوله:«ثمّ استقاموا»[٢٧])[٢٨].وقد تكرّر للزمخشري ادّعاء هذا المعنى لثمّ، ولا أعلم له في ذلك سلفًا»[٢٩]. ويزداد إصرار الزمخشري على إثبات هذا المعنى إلى درجة الإطالة في التحليل، وإيراد نصوص طويلة لإبراز حجّة ما يدّعيه، من ذلك ما نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١١١]، حيث نورد نصًّا مُطَوَّلاً نراه جديرًا بالنقل في هذا الموضع؛ يقول:« فإن قلت: هلاّ جزم المعطوف في قوله ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء، كأنّه قيل: ثمّ أخبركم أنّهم لا ينصرون فإن قلت: أي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيّدًا بمقاتلتهم كتولية الأدبار، وحين رفع كان نفي

(٢٧) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت: ٣٠] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

(٢٨) ينظر: الكشّاف، ١/ ٤٩٧.

(٢٩) البحر، ٢/ ٦٦٠. وينظر: المحرّر، ٢/ ٤٢٨، والقرطبي، ٥/ ٢٧٩-٢٨٠.

النصر وعدًا مطلقًا، كأنّه قال: ثمّ شأنهم وقصّتهم التي أخبركم عنها وأبشّركم بها بعد التولية أنّهم مخذولون مُنْتَفٍ عنهم النصر والقّوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر، قلت: جملة الشرط والجزاء كأنّه قيل: أخبركم أنّهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثمّ أخبركم أنّهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثمّ، قلت: التراخي في الرتبة لأنّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتولّيهم الأدبار».[٣٠]

والظاهر أنّ أغلب النحاة والمفسّرين على أنّ «ثمّ» في ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ للاستئناف.[٣١] وجاء في المحرّر الوجيز ما نصّه:« قال بعضهم: إنّ ثمّ في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، استئناف إخبار بأنّهم لا ينصرون - يريد أعداءه- ولم يشرك في الجزاء فيجزم لأنّه ليس مترتّبًا على الشرط، بل التولية مترتّبة على القتال، والنصر منفي عنهم أبدًا، وثمّ هنا ليست للتراخي في الزمان، وإنّما هي للتراخي في الإخبار بانتفاء النصر عنهم مطلقًا»[٣٢]. وعند أبي حيّان ثمّ هنا للتراخي في الإخبار وليست للمهلة في الزمان؛« فالإخبار بتولّيهم في القتال

(٣٠) الكشّاف، ١/ ٦٠٩-٦١٠.

(٣١) ينظر: معاني الفرّاء، ١/ ٢٢٩، وإعراب النحّاس، ١/ ٤٠٠، والقرطبي، ٦/ ١٦٥؛وفيه: مستأنف فلذلك يثبت فيه النون». فورود النون دليل على عدم الجزم ولذا هو مرفوع على الابتداء.

(٣٢) المحرّر، ٣/ ٢٦٩(الهامش٣).

وخذلانهم والظفر بهم أبهج وأسرّ للنفس، ثمّ أخبر بعد ذلك بانتفاء النصر عنهم مطلقًا»(٣٣). وبذلك يكون ردّ كلّ المزاعم التي قيلت هاهنا، يتقدّمها زعم الزمخشري، في كون معنى ثمّ هو الاستئناف أو الدلالة على التراخي.

ومن هذا التفاوت والتباين الذي تؤدّيه ثمّ، قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]، فقد رأى الزمخشري أن التراخي في قوله (ثمّ انظر) للدلالة على ما بين العجبَين؛ إذ بيّن لهم الآيات بيانًا عجيبًا، ولكن إعراضهم وإفكهم عنه أعجب(٣٤). ولا ندري لماذا عبّر الزمخشري هنا بعبارة «العجبين»؛ ربّما لأنّ الحال تقتضي العجب من تبيين الآيات وتوضيحها، بل من إعراض من بُيِّنَت له، وقد يكون صاحب الكشّاف مصيبًا في ذلك، لأنّ من أدرك الشيء وتبيّن له لزمه التقيّد به.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، يورد الزمخشري هنا فرقًا في التركيب العطفي بين الفاء

(٣٣) البحر، ٣/ ٣٠٤، وفيه أيضا: «...ثمّ للتراخي، فلذلك لم تصلح في جواب الشرط، والمعطوف على الجواب كالجواب، وما ذهب إليه هذا الذاهب خطأ، لأنّ ما زعم أنّه لا يجوز قد جاء في أفصح كلام، قال تعالى: ﴿...وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ محمد: ٣٨ ، فجزم المعطوف بثمّ على جواب الشرط».

(٣٤) الكشّاف، ٢/ ٢٧٧، وينظر: المحرّر، ٤/ ٥٣١-٥٣٢، والبحر، ٤/ ٣٣٣.

وثمّ، فيقول:« فإن قلت: أي فرق بين قوله (فانظروا) وبين قوله ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ قلت: جعل النظر مسبّبًا عن السير في قوله (فانظروا)، فكأنّه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، وأمّا قوله ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ فمعناه: إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبّه على ذلك بـ«ثمّ»؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح»[٣٥]، فالفرق واضح في الدلالة بين الفاء وثمّ، فالحرف الأوّل مفيد للتسبيب، والحرف الثاني للتراخي، إلاّ أنّ أبا حيّان ردّ زعم الزمخشري هاهنا في إفادة الفاء معنى السببية، فهي عنده تفيد التعقيب لا غير.[٣٦]

وقال المولى تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، أي: فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب[٣٧].وكالعادة معنى ثمّ في هذا الموضع ليس التراخي في الوقت والزمان ولكن في الذكر، يقول الزمخشري:« فإن قلت: ما معنى ثمّ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال، كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام مفصّلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل كريم الفعل»[٣٨]، فشتّان بين الحالتين في الذكر، وليس الزمان والوقت أساسًا في المهلة والتراخي بينهما. وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا

(٣٥) الكشّاف، ٢/ ٣٢٧.

(٣٦) البحر، ٤/ ٤٤٦. وينظر: المحرّر، ٥/ ١٣٥.

(٣٧) القرطبي، ٩/ ٥. وينظر: المحرّر، ٧/ ٢٣٤، والبحر، ٦/ ١٢٠.

(٣٨) الكشّاف، ٣/ ١٨١.

﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [النحل: ٨٤]؛ إذ إنّ معنى ثمّ في هذا التركيب العطفي هو أنّهم يمنّون بعد شهادة الأنبياء بما هو أعظم، وهو منعهم الكلام، فلا يرخّص لهم الاعتذار، ولا يتمكّنون من تقديم الحجّة والإدلاء بها(٣٩).والتباين واضح بين الرتبتين، والتفاوت الحاصل بينهما. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٩]، فالتباعد والتفاوت والتباين الوارد في هذه الآية يعرضه الزمخشري بقوله:« ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك، وهم عمار وأصحابه، ومعنى: إن ربّك لهم، أنه لهم لا عليهم، بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم، كما يكون الملك للرجل لا عليه، فيكون محميًّا منفوعًا غير مضرور»(٤٠).

وقال تعالى:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: ٨٢]، فقد جعل الزمخشري ثمّ دالّةً على تباين المنزلتين وتفاوتهما، ومثّل لذلك بقولهم:(جاءني زيدٌ ثمّ عمرٌو)، لتباين الوقتين، ومنه تكون منزلة الاستقامة على الخير مباينةً لمنزلة الخير نفسه كونها أفضل وأعلى منها(٤١).ومعنى قوله (ثمّ

(٣٩) المصدر نفسه، ٣/ ٤٦١. وينظر: المحرّر، ٨/ ٤٨٨، والبحر، ٦/ ٥٧٩، والقرطبي، ١٠/ ١٤٧.

(٤٠) الكشّاف، ٣/ ٤٧٧. وينظر: المحرّر، ٨/ ٥٢٣، والقرطبي، ١٠/ ١٧٤.

(٤١) الكشّاف، ٤/ ١٠١.

اهتدى)[٤٢] أي لزم الهداية وأدامها إلى الموافاة على الإسلام، أو يكون المعنى بإزالة الشكّ في إيمانه، وقيل أيضًا ثمّ استقام، أي إنّ الاهتداء هو الاستقامة وهو ما ذهب إليه الزمخشري[٤٣]، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، ومثل الزركشي في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٩٣]، وذلك للكشف على أنّ معنى﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ دام على الهداية.[٤٤]

ونجد للزركشي ردًّا صريحًا على ما أورده الزمخشري فيما يخصّ هذه الآية وآيات أُخَر[٤٥] في إفادة ثمّ لمعنى التباعد والتباين والتفاوت في الرتبة، يقول:«واعلم أنّه بهذا التقدير يندفع الاعتراض بأنّ ثمّ قد تخرج عن الترتيب والمهلة، وتصير كالواو؛ لأنّه إنّما يتمّ على أنّها تقتضي الترتيب الزماني لزومًا، أمّا إذا قلنا: إنّها ترد لقصد التفاوت والتراخي عن الزمان لم يحتجُ إلى الانفصال عن

(٤٢) ينظر: البحر، ٧/ ٣٦٥، والقرطبي/ ١١/ ١٤٦.

(٤٣) الكشّاف، ٤/ ١٠١

(٤٤) البرهان، ٤/ ٢٣٤.

(٤٥) ينظر الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ [المدثر ١٨-٢٠]، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ [البلد: ١٧].

شيء وممّا ذكر من هذه الآيات الشريفة،لا أن تقول: إنّ ثمّ قد تكون بمعنى الواو. والحاصل أنّها للتراخي في الزمان، وهو المُعَبَّر عنه بالمهلة، وتكون للتّباين في الصّفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله، وأنّه لو انفرد لكان كافيًا فيما قصد فيه، ولم يُقصد في هذا ترتيب زماني، بل تعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقّعه، وتحريك النفوس لاعتباره»(٤٦).

وقال تعالى:﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٣٣]، فثمّ هاهنا لتراخي معطوفها في الوقت في نظر أبي حيّان والقرطبي(٤٧)، لكنّ الزمخشري يرى غير ذلك بعدما أثبت لها نفس المعنى؛ إذ يقول:« وثمّ للتّراخي في الوقت، فاستُعيرت للتراخي في الأحوال، والمعنى أنّ لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم، وإنّما يعتدّ الله بالمنافع الدينية، قال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع ... ».(٤٨)

وقد يتكرّر ورود «ثمّ» في تركيب واحد وجملة واحدة مثل بقيّة روابط

(٤٦) البرهان، ٤/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٤٧) ينظر: البحر، ٧/ ٥٠٧، والقرطبي، ١٢/ ٥٤.

(٤٨) الكشّاف، ٤/ ٨٤. وقال الزجّاج:« فإنّ ثمّ للعطف على تراخ، وقد عطفت في الآية (النحر) الذي هو بآخرة، أو (الطواف) الذي هو الخاتمة، على الانتفاع بما يقام في المناسك في الدين، أو بمنافع البدن والهدايا في الدنيا على القولين». إعراب الزجاج، ١/ ١٠٥.

العطف، وهنا أيضًا يذهب الزمخشري إلى إفادتها التفاوت في الرتبة ما بين الحالات المختلفة، باختلاف الأزمنة، وذلك مثل ما ينصّ عليه في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٥ – ٤٦]بقوله:« فإن قلت: ثمّ في هذين الموضعين كيف موقعها؟ قلت: موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة: كأن الثاني أعظم من الأوّل، والثالث أعظم منهما، تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت»(٤٩).

وقال جلّ ثناؤه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الصافات:٦٧ –٦٨]، علّق على مواقع ورود ثمّ بقوله:« فإن قلت: ما معنى حرف التراخي في قوله ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا ﴾ وفي قوله ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ ﴾ قلت: في الأوّل وجهان، أحدهما أنّهم يملؤون من البطون من شجر الزقوم وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يُسقون إلاّ بعد مليّ تعذيبًا بذلك العطش، ثمّ يُسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم، والثاني أنّه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثمّ ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بـ «ثمّ» للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه، ومعنى الثاني أنّهم يُذهب بهم عن مقارّهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أُسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثمّ يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك بيّن»(٥٠)، ونحن نرى مدى إصرار

(٤٩) الكشّاف، ٤/ ٣٥٤. وينظر: المحرّر، ١١/ ٤٥، والبحر، ٨/ ١١٤.

(٥٠) المصدر نفسه، ٥/ ٢١٤.

الزمخشري على إثبات هذا المعنى لثمّ في آي الذكر الحكيم، ولعّل ذلك كلّه يرجع في الأصل إلى التشبّع بمبادئ المعتزلة وتعويلهم على العقل بالدرجة الأولى.

ويبدو ذلك جليًّا أيضًا من تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦] حيث يقول:« فإن قلت: ما وجه قوله (ثمّ جعل منها زوجها) وما يعطيه من معنى التراخي قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عَدَّدها دالاًّ على وحدانيته وقدرته: تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قُصَيْرَاه، إلاّ أنّ إحداهما جعلها الله عادةً مستمرَّة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تُخْلَق أنثى غير حواء من قصيري رجل، فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ «ثمّ» على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزيّة، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود، وقيل ثمّ متعلّق بمعنى واحدة كأنّه قيل: خلقكم من نفس[٥١] وُحّدت ثمّ شفعها الله بزوج، وقيل: أخرج ذرّية آدم من ظهره كالذرّ ثمّ خلق بعد ذلك حواء»[٥٢].

فمع أنّ الظاهر هاهنا أنّ ثمّ لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمان بمعنى

(٥١) جاء في إعراب الزجّاج، ١/ ١٠٠:« أي ثم خلقكم منها، قيل: معناها خلقكم من نفس وحدها جعل الزوج منها بعد التوحيد، فأفادت واحدة هذا المعنى». وينظر: معاني النحّاس، ٦/ ١٥٣.

(٥٢) الكشّاف، ٥/ ٢٨٩-٢٩٠.

المهلة[٥٣]،فإنّ الزمخشري كعادته ذهب إلى أنّ ثمّ جاءت هنا للتفاوت بين الرتبتين والحالتين المخبر عنهما.

ويواصل الزمخشري مضيّه نحو تأكيد هذا المعنى بتحليلات طويلة، ثمّ إنّها دقيقة جدًّا يصعب في بعض الأحيان إدراكها كليًّا، مثلما يعرضه لنا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] بقوله:« فإن قلت ما معنى ثمّ هاهنا وهي للتراخي، وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنًا للإيمان لأنّه وُصف فيه، لما بيّنت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقّن وانتقاء الريب، قلت: الجواب على طريقتين: أحدهما أنّ من وُجد منه الإيمان ربّما اعترضه الشيطان أو بعض المضلّين بعد ثلج الصدر فشكّكه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظرهم نظرًا غير سديد يسقط به على الشكّ ثمّ يستمرّ على ذلك راكبًا رأسه لا يطلب له مخرجًا، فوُصِفَ المؤمنون حقًّا بالبعد عن هذه الموبقات، ونظيره قوله (ثمّ استقاموا)، والثاني أنّ الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أُفرِدَ بالذكر بعد تقدّم الإيمان تنبيهًا على مكانه، وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارًا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضًّا جديدًا»[٥٤]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ [نوح: ٨ - ٩]، فثمّ هنا في نظره لمعنى تباعد الأحوال وتفاوتها والدلالة على التباين دون اعتبار الزمان، لأنّ الجهر أغلظ من السرّ، والجمع

(٥٣) معاني النحّاس، ٦/ ١٥٢.

(٥٤) الكشّاف، ٥/ ٥٨٨.

بينهما أكبر من كون كلّ واحد منفردًا.(٥٥)

ومن المفسّرين المتأخّرين من تأثّر بما أورده الزمخشري في كشّافه على غرار ابن عاشور، قال صاحب الكشّاف في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [المدثر: ١٨ – ٢٣]، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [النبأ: ٤ – ٥]، ففي ثمّ دلالة على أنّ الوعيد الثاني أبلغ وأشدّ من الوعيد المتقدّم(٥٦). وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٣]، يرى الزمخشري أنّ ثمّ للتراخي في الرتبة والتباين في الشدة؛ لأنّ« الترجيح بين الحياة والموت أفظع من الصّلي، فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدّة، والمعنى: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياةً تنفعه»(٥٧).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد: ١٧]، فثمّ هاهنا لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الزمان والوقت، بل التباين والتفاوت أولى؛ لأنّ الإيمان مقدّم على ما سواه من الأمور، ولا تكون الأعمال صالحةً إلاّ به.(٥٨)

ورفضت عائشة عبد الرحمان هذا التأويل للحرف «ثمّ» في هذه الآية وما ذهب إليه الكثير من مفسّري القرآن الكريم في جعل الإيمان منفصلاً عمّا قبله، وارتأينا أن

(٥٥) الكشّاف، ٦/ ٢١٤.

(٥٦) الكشّاف، ٦/ ٢٩٤.

(٥٧) الكشّاف، ٦/ ٣٥٩.

(٥٨) المصدر نفسه، ٦/ ٣٧٩. وينظر: تفسير ابن عاشور، ٣٠/ ٣١٨.

نورد النصّ الكامل الذي أوردته للتوضيح؛ قالت:«وقف المفسّرون طويلاً عند عطف الإيمان على فكّ رقبة، بحرف «ثمّ» الذي يفيد الترتيب مع التراخي، فتأوّلوه بما يخرج به عن صريح سياقه وظاهر معناه، ليفيد إبعاد الإيمان عمّا قبله، والتراخي في الرتبة لا في الترتيب، قالوا: إنّ ثمّ جيء بها هنا قصدًا إلى إبعاد الإيمان عن فكّ رقبة أو إطعام يتيم أو مسكين، كيلا يكون معها في رتبة واحدة...وبعيدًا عن كلّ هذه التأويلات، نأخذ حرف «ثمّ» على صريح معناه في السياق، فنفهم أنّ القرآن إذ يرتّب مراحل اقتحام العقبة الجدير بالإنسان المميّز أن يكابده، يضع العتق والتراحم خطوتين سابقتين على الإيمان لازمتين له، مُقرِّرًا بذلك أنّ الإيمان لا يُرجى فيمن يتسلّط على عباد الله بالاسترقاق، أو بتحجّر قلبه فينطق في يوم ذي مسغبة، جوعُ يتيم ذي مقربة أو مسكين ذي متربة، فلا موضع لإيمان صادق، من مثل هذا الجاحد القاسي، يستعبد الخلق ويغفل عن حقّ اليتيم القريب أو المسكين، في يوم مجاعة»(٥٩).

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ [التكاثر: ٣ - ٤]، جاءت ثمّ للدلالة على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشدّ، فثمّة تفاوت وتباين وتباعد؛« كما تقول للمنصوح: أقول لك ثمّ أقول لك: لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم»(٦٠).

وبهذا نكون قد فرغنا من عرض استجدّ من زيادات في باب العطف عند الزمخشري في كشّافه. والله نسأل التوفيق والسداد.

(٥٩) الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، ص ١٨٩-١٩٠.

(٦٠) الكشّاف، ٦/ ٤٢٤. وينظر: إعراب الزجّاج، ١/ ١٠٤-١٠٥.

المصادر والمراجع

١- **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق**، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، بمصر، ١٩٧١م.

٢- **إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس** (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢ (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٣- **إعراب القرآن المنسوب للزجّاج** (ت ٣١١هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣ (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

٤- **الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري**، تقديم حسن حمد، بإشراف د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٥- **البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي**، تحقيق الشيخ زهير زاهد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ((١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٦- **البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤هـ)**، تحقيق جماعة من العلماء، دار المعرفة، بيروت، ط٢ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

٧- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، د. محمّد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، دت.

٨- **التبيان في البيان للطيبي (ت٧٤٣هـ)**، تحقيق د. توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، مطبوعات جامعة الكويت، ط١ (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

٩- **تفسير الفخر الرازي، فضيلة الشيخ خليل محيي الدين الميس**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

١٠- **تفسير المراغي**، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٣ (١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م).

١١- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

١٢- **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تقديم خليل محيي الدين الميس، مراجعة صدقي محمّد جميل، تعليق عرفان العشاء، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

١٣- **الجنى الداني في حروف المعاني** للحسن بن القاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة وأ. محمّد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).

١٤- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح د. محمّد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة/ دار الرفاعي بالرياض، ط١ (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

١٥- **ديوان الحماسة لأبي تمّام مختصر من شرح العلاّمة التبريزي**، علّق عليه وراجعه محمّد عبد المنعم خفاجي، مصر (١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م).

١٦- **شرح أبيات مغنى اللبيب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد العزيز ربّاح وأحمد يوسف دقّاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١ (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م).

١٧- **شرح حماسة أبي تمّام للأعلم الشنتمرّي**، تحقيق د. علي حمودان، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).

١٨- **الفاخر في شرح جمل عبد القاهر**، لمحمّد بن أبي الفتح البعلي (ت٧٠٩هـ) تحقيق د. ممدوح محمّد خسارة، السلسلة التراثية، الكويت، ط١ (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

١٩- **الكشّاف للزمخشري** تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض، شارك في تحقيقه أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤١٨هـ- ١٩٨٨م).

٢٠- **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمّد عبد الحقّ عطيّة الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين، الدوحة- قطر، ط١ (١٤٠١هـ- ١٩٨١م).

٢١- **معاني القرآن، للفراء (ت ٢٠٧هـ)**، عالم الكتب، بيروت، ط٣ (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

٢٢- **معاني القرآن الكريم، للنحّاس**، تحقيق الشيخ محمّد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة، ط١ (١٤١٠هـ- ١٩٨٩م).

من أساليب العربية الفصحى

د. مكي الحسني(*)

إن أسماء الإشارة واستعمالاتِها المألوفةَ معلومةٌ للجميع.

نتحدث هنا عن استعمال خاص للاسمين:

هذا،.../ ذلك،...

جاء في كتاب الإمام الزمخشري «**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**»، في تفسيره لقوله تعالى في سورة الحج:

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

١-١- في بداية الآية / ٣٠/ : «(ذلك) خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمر والشأن ذلك، كما يُقدِّم الكاتب جملةً من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنىً آخر قال: هذا، وقد كان كذا...» فهو (أي اسم الإشارة) يُذكر **للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد.**

١-٢- في بداية الآية الآية / ٣٢/ ، (ذلك) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: **الأمرُ ذلك!**

١-٣- وعن قوله تعالى في سورة الحج أيضًا:

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

يقول المفسرون عما جاء في بداية الآية / ٦٠/ : «(ذلك) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: **الأمرُ الذي قصصناه عليك ذلك.** أي ما قصصناه عليك من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين هو ذلك، لا تغيير فيه ولا تبديل.» فهي كلمة يؤتى بها على عادة الفصحاء **للانتقال من كلام إلى آخر،** ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ... الآية﴾.

– وعن قوله تعالى في سورة محمد:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

في بداية الثلث الأخير من الآية / ٤/ ، (ذلك) خبر مبتدأ مقدر: **الأمرُ ذلك**.

أي: الأمر فيهم ما ذُكِر.

٢–١– وعن قوله تعالى في سورة ص:

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾

أ– يقول المفسرون عما جاء في بداية الآية / ٤٩/ ﴿هذا ذِكْرٌ﴾، جملة من مبتدأ وخبر، قُصد بها الفصلُ بين ما قبلها وما بعدها، فهي للانتقال من غرضٍ

إلى آخر، ففيها تخلُّصٌ[١] من قصة.

(أقول: والمعنى: هذا ذكرٌ [لأولئك **الأخيار** المذكورين في الآية /٤٨/ السابقة] بالثناء الجميل **هنا**، وإن للمتّقين – وأولئك منهم – حُسْنَ مَآبٍ **في الآخرة**.)

ب – في بداية الآية /٥٥/ ﴿هذا﴾، خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والتقدير «الأمر/ الشأن هذا»، أو: «هذا» مبتدأ خبره محذوف، **أي للمؤمنين**. وكما نرى فإن القصد من هذه الكلمة (هذا) هو الانتقال من الكلام على المتقين إلى الكلام على الطاغين.

٢-٢- جاء في كتاب «**دلائل الإعجاز**» للإمام عبد القاهر الجرجاني (الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، التي قرأها وعلّق عليها محمود محمد شاكر) فصلٌ في ص١١ عنوانه: **في الكلام على مَن زَهِدَ في رواية الشِّعْر وحِفْظه، وذَمَّ الاشتغالَ بعلمه وتَتَبُّعِه**.

قال الإمام بعد تمهيد:

...«أما من زعم أن ذمَّه له من أجل ما يجد فيه من هَزْلٍ وسُخْفٍ وكذبٍ وباطل، فينبغي أن يَذُمَّ الكلام كلَّه، وأن يفضِّل الخرسَ على النطق، والعِيَّ على البيان، فمنثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه،...، ... إلى أن قال في الصفحة ١٢:

(١) «التخلّص» مصطلح نقدي، لعل أول من استعمله - إن لم يكن هو مَن وَضَعَه – أبو عبيدة معمَّر بن المثنى، من علماء مدرسة البصرة (ت٢١١هـ). ويُراد به انتقال الشاعر – أو الكاتب – **وخروجه** من غرضٍ إلى آخر. انظر أيضًا هذه المجلة، المجلد ٨٦، الجزء الثاني، الصفحة ٥٢٥.

هذا، وراوي الشِّعْر حاكٍ، وليس على الحاكي عيبٌ، ولا عليه تَبِعَة، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً، أو يسوءَ مسلمًا، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار!...»

٢-٣- وفي الصفحة ١٣٦ فصل عنوانه: «**مواضع التقديم والتأخير**»، جاء فيه:

«... أفلا ترى أنك إذا استبطأت إنسانًا فقلت:

«أتانا والشمس قد طلعت»، كان ذلك أبلغ في **استبطائك** له من أن تقول: «أتانا وقد طلعت الشمس»؟ وعكس هذا أنك إذا قلت: «أتى والشمس لم تطْلُع» كان أقوى في وصفك له **بالعَجَلة** والمجيء قبل الوقت الذي ظُنَّ أنه يجيء فيه، من أن تقول: «أتى ولم تطلع الشمس بعدُ».

هذا، وهو كلام لا يكاد يجيء إلا نابيًا، وإنما الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم وتبني الفعل عليه كقوله: «قد أغتدي والطيرُ لم تَكلَّمِ.»

فإذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يراد بها الحال، مضارعًا، لم يصلح إلا مَبنيًّا على اسم كقولك: «رأيتُه وهو يكتب»، و«دخلتُ عليه وهو يُمْلي الحديث».

وقد استعمل الجرجاني هذا الأسلوب في مواضع كثيرة من كتابه المذكور، منها ما صادفته لدى تقليب أوراقه في الصفحات: ٣٦٠، ٤٠٣، ٤٥٤، ٥٧٩، ٥٩٧.

٣-١- في كتاب «**أخطاؤنا في الصحف والدواوين**» الصادر في دمشق سنة ١٩٣٩ لصلاح الدين الزعبلاوي، الذي نَوَّهَ بمكانته اللغوية الشيخ اللغوي الشهير محمد الخضر حسين، وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين وغيرهم، تحدث المؤلف عن ضرورة تدارك ما فات العربية من مسايرة وجوه التعبير، وأن هذا من

واجب الحكومات والمجامع العربية والكُتّاب العرب، ثم قال في الصفحة ٢٢: «ولو قنعنا بغير ذلك والكتّاب من لغتهم على ما ترى من البعد والغربة، وهي منهم على ما ترى من النُّبُوِّ والنُّشوز، لخرجتْ لنا على أيديهم لغة مستحدثة لا تَمُتُّ إلى أصل ولا تتصل بأرومة.

ذلك، وإذا مضت حكومات الشرق العربي في ابتغاء هذا القصد في مواضعة وائتمار، فعلى وزارات معارفها[٢] أن تقوم بأوفى حظٍّ من هذه الخدمة في مدارسها. ففي مناهج تعليم اللغة وأساليب دراسة نصوصها، بل في طريقة تدريب الطلاب على استقراء قواعدها وخصائصها والتماس نُظُم تأليفها، وفيما ينبغي أن يؤخذوا بحفظه واستظهاره من أصولها، وما يُختار لهم اطّراحه من تعريفاتها، وفيما يستحسن أن يتداولوه من مؤلفاتها ومعاجمها وما يؤثر أن يُلِمُّوا به من كل فرع من فروعها، بل في وجوه إشاعتها والتلطُّف لها وحمْل الطلاب على محاولة النطق بها كلما اتسعت لهم هذه المحاولة، فضلاً عن برامج تدريسها في السنوات الابتدائية والثانوية؛ في كل ذلك مجال للمعالجة والمعاناة رحيب، ومتسَع للتثقيف والإصلاح رغيب». (إلى آخر هذا الكلام البديع، الذي قيل قبل أكثر من سبعين سنة من الآن، وكأنه قيل أمس.)

كما نرى، انتقل الكاتب من عرض الفكرة وضرورتها، إلى سُبُل تحقيقها... ونصادف هذا الأسلوب في كتاب الزعبلاوي في غير موضع، كما في الصفحات ١٧ – ٢٢ (ذلك...)، والصفحات ٧، ١٣، ٢٧ (هذا،...).

(١) كانت وزارة التربية تسمى وزارة المعارف.

كتاب «بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام»

بين طبعتين

د. مازن المبارك(*)

لقد أحسن مجمع اللغة العربية صنعًا في إعادة نشر كتب تراثية كان السلف الصالح من أعضائه الأوائل حققوها ونشروها ونفدت نسخها منذ أزمان.

وصدرت الدفعة الأولى من هذه الطبعة الجديدة لهذه الكتب عن دار البيّنة بدمشق سنة ٢٠١١م، وكان منها كتاب «بحر العوّام فيما أصاب به العوام»، وهو كتاب كما يتضح من عنوانه غاص صاحبه في لغة العامّة واستخرج منها ما أصابوا في استعماله منها، وأراد أن يكون كتابه مشتملاً على ما يعتقد الجاهل أو الناسي أنه من أغلاط عوامّ الناس وليس فيه شيء من الغلط.

وكانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب صدرت عن المجمع سنة ١٩٣٧م وطبعت في مطبعة ابن زيدون بدمشق، وهي بتحقيق أستاذنا عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي وأمينه. وأما الطبعة الجديدة فقد أضاف المجمع إليها مراجعة

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

الدكتور مكي الحسني الجزائري عضو المجمع وأمينه[١].

وكتاب «بحر العوّام» من تأليف الشيخ الإمام محمد إبراهيم المعروف برضيّ الدين ابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١هـ، وهو عالم اشتهر بمؤلفاته في اللغة والتاريخ والإنشاء والألغاز وعلوم أخرى متعددة، وقد زادت مؤلفاته على الخمسين. وأما محققه فأستاذنا عز الدين التنوخي، عضو المجمع وأمين سرّه، وهو عالم أديب، عاش متنقلاً بين الشام التي ولد فيها، وفلسطين حيث تعلّم في مدرسة «الفرير» بيافا، ومصر حيث تعلّم في «الأزهر»، وفرنسا حيث درس الزراعة، ثم عاد إلى الشام وخدم في الجيش العثماني، وعمل في التعليم في عهد الملك فيصل، والتحق

(١) أراد المجمع إعادة طبع عدد من الكتب التي أَلَّفها أو حققها بعض أعضائه الأوائل، ولكن ليس بطريقة تصوير هذه الكتب، وإنما **بإعادة تنضيدها**، لأن فيها الكثير من العيوب الطباعية المتنوعة. لذا كان لا بدَّ من **مراجعة** ما نُضِّد للتَّيقُّن أنه **مطابق** للأصل، مع استبعاد الأخطاء الواضحة. بعبارة أخرى كان المطلوب **المراجعة**، لا **التحقيق**، والفرق كبير جدًّا بينهما! فلم ينظر المُراجع في المصادر الأصلية التي ذكرها كاتب هذا المقال، مثل:

- مقدمات شروح المقدمة الجزرية.
- الأعلام للزركلي.
- شذرات الذّهب.
- أدب الكاتب، وغيرها.

ولو كُلِّفت التحقيق لاختلفت طبيعة العمل. [المراجع].

بخدمة الحكومة العربية بدمشق، ودرّس في العراق، ودرّسَنا علوم البلاغة في كلية الآداب بجامعة دمشق. وحقّق عددًا من كتب التراث اللغوي، ونظم الشعر وكثيرًا ما كان يرتجله، ومات في دمشق سنة ١٩٦٦م.

وقد لفت نظري حين طالعت الطبعة الثانية للكتاب مواضع وقفت عندها، وسجّلت في هامش الكتاب ما لاحظته عليها، ثم عارضتها بما جاء في الطبعة الأولى، ورأيت أن أنشر بعضها تعميمًا للفائدة.

١- ط١ ص٨ : حور الخيام في رواية خير الأنام في اليقظة والمنام

ط٢ ص١٠: في رواية.

والصواب: في رؤية.

٢- ط١ ص ٩: الفوائد السمية في شرح المقدّمة الجزريّة.

ط٢ ص١٢: الفوائد السمية....

والصواب: الفوائد السّرية في شرح المقدمة الجزرية. (كما جاء في مقدمات شروح المقدمة الجزرية. وفي الأعلام للزركلي.)

٣- ط١ ص٨ س ١٣: شرح المقلتين في حكم القلّتين.

ط٢ ص ١١ س ١٠: شرح المقلتين...

والصواب: سرح بالسين المهملة، أي تسريح العينين وإطلاق نظرهما..،

وقد ورد اسم الكتاب صحيحًا في شذرات الذهب ٨/ ٣٦٥.

٤- ط١ ص ١٥: الدُّهيشة. وجاء في الحاشية: لا الدهشيّة.

ط٢ ص ١٥: الدُّهيشة. وجاء في الحاشية: لا الدهشية.

والصواب: الدّهشة. وفي الحاشية: لا الدهيشة.

٥- ط١ ص ١٥ س ٩: ومن العرب **من يقول**.

ط٢ ص ١٧ س ٢: ومن العرب يقول.

والصواب: ما جاء في الطبعة الأولى.

٦- ط١ ص ١٦ في الحاشية: لئن كنت لا تفعل هذا فافعل هذا.

ط٢ ص ١٨ في الحاشية: .....فافعل هذا.

والصواب: أن يكون الجواب للقسم لا للشرط[٢].

٧- ط١ س ٢٨: مستسِرًا

ط٢ س ٢٧: مستسِرَّا

والصواب: مستسِرًّا (كما في الطبعة الأولى).

٨- ط١ ص ٣٥: الطيّب.

ط٢ ص ٣٢: الطيب.

والصواب: الطيِّب (كما في الطبعة الأولى).

(٢) هذا عند البصريين فقط. أما عند غيرهم فالجواب للشرط في كل الحالات، سواء أكان متقدمًا على القسم أم متأخرًا. ينظر «النحو الوافي» لعباس حسن، ٤/ ٤٨٥- ٤٨٨ (المجلة).

٩- ط١ ص ٤٦: إذ قد سمع.

ط٢ ص ٤٢: قد سمع.

والصواب: إذ قد سمع (كما في الطبعة الأولى).

١٠- ط١ ص ٥٢ س ٣: شرح أبيات العز قايلها أعرابها.

ط٢ ص ٤٦ س ١٥: شرح أبيات قايلها أعرابها.

وجاء في حاشية الطبعتين: كذا في الأصل، **وفي العبارة غموض**.

وصواب القراءة هو: شرح أبيات ألغز قائلها في إعرابها.

وليس في العبارة غموض ولكنها لم تقرأ على وجهها الصحيح، ولم تراجع في الأصل الذي نقلت منه والذي طُبع **في دمشق سنة ١٩٥٨م**.

وقد ذكر ابن الحنبلي مؤلف كتاب بحر العوّام أن القول الذي يرويه حكاه أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي عن أبي الحسن عن العرب، قال في كتابه الذي ضمَّنه شرح أبياتٍ ألغز قائلها في إعرابها، ودفن في غامض الصنعة صوابها...

والحسن بن أسد الفارقي هو صاحب كتاب نشره أستاذنا سعيد الأفغاني وطبعته مطبعة الجامعة السورية (جامعة دمشق) أولاً باسم «توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب» ونسبه للرمّاني، ثم نشر بعد أشهر صفحات عنوانها «إصلاح خطأ عنوان» وجعل عنوان الكتاب في تلك النشرة: «شرح أبيات مشكلة الإعراب، للحسن بن أسد الفارقي سنة ٤٨٧هـ، لا: توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب للرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ».

وإننا نجد في كتاب الفارقيّ كل ما ذكره ابن الحنبلي في كتابه بحر العوّام في هذا الموضع وفي غيره من المواضع، فقد نقل عنه غير مرّة. فمن ذلك ما جاء في: ط١ ص ٥٢ وط٢ ص ٤٧ وهو قوله: لأَهلكها واقتني الدجاجا. وصوابه في ص ٥١ من كتاب الفارقي وهو: لَأُهلكها وأقتنيَ الدجاجا.

وكذلك ما جاء في ط١ ص ٥٤ وفي ط٢ ص ٤٨ وهو قوله: نلقى لديكم. وصوابه في كتاب الفارقي: يُلغى لديكم.

وما رواه ابن الحنبلي في ص ١٦ من الطبعة الثانية نجده في ص ١٨٤ و١٨٥ من كتاب الفارقي. وما رواه في ص ٤٩ من أنه يقال للديك دجاجة مذكور في كتاب الفارقي في ص ٢٦٠ وهكذا..

١١- ط١ ص ٥٦ س ١٢: وأنت تريد بذلك إبعاده.

ط٢ ص ٥٠ س ٩: وأنت تريد بذلك إبعاده.

والصواب: حذف كلمة (ذلك) من الطبعة الثانية على نحو ما جاء في الطبعة الأولى.

١٢- ط١ ص٨١: أدخل الباقي في قوله (بحور).

ط٢ ص٦٩ س١٤: أدخل الباقي في قوله (بحور).

والصواب هو: أدخل الباء في قوله (بحور).

١٣– ط١ ص ٩٦ س ١٥: كما هو منسوب إليه.

ط٢ ص ٨٤ س ١٦: كما منسوب إليه.

والصواب كما هو، (كما جاء في الطبعة الأولى.)

١٤– ط١ ص ٩٨ س ١ دعاني إلى **حكّه**.

ط٢ ص ٨٥ س ١١ دعاني إلى **حكّةٍ**.

والصواب: (حكّهِ) كما جاء في الطبعة الأولى.

١٥– ط١ ص ٩٧ الحاشية ١: فابن قتيبة يجيز الضمّ والكسر.

ط٢ ص ٨٥ الحاشية ١: فابن قتيبة يجيز الضمّ **والكسر**.

والصواب: فابن قتيبة يجيز الضمّ **والفتح**.

والكلام في هذه الحاشية على (الطلاوة) وما يجوز في حركة أوّلها، وقد قال المؤلف في متن الكتاب[٣] إن صاحب أدب الكاتب ذكرها في (باب ما جاء مضمومًا والعامّة تفتحه) وبذلك يكون ابن قتيبة قائلاً بضم أولها، ولو عدنا إلى «أدب الكاتب» لوجدنا ابن قتيبة يذكر (الطلاوة) ثلاث مرات، الأولى في الباب المذكور[٤]، والثانية في (باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس أضعفَهما)[٥]، والمرة الثالثة في (باب فَعالة وفُعالة)[٦] وليس للكسر ذكر في كلام ابن قتيبة في المواضع كلها!

(٣) بحر العوّام. ط٢ ص ٨٥.

(٤) أدب الكاتب. ط. د. الدالي ٣٩٤.

(٥) أدب الكاتب: ص ٤٢٤.

(٦) أدب الكاتب: ص ٥٥١.

١٦- ومما يُلاحظ على الطبعتين أن العنوان في الفهارس كلها هو «الفهارس **الأبجدية**» مع أن الترتيب فيها ترتيب **هجائي أو ألفبائي** وليس أبجديًّا! (انظر ذلك في ص ٩٠ و١٠٠ و١١٣ من الطبعة الثانية).

ويلحق بهذه الملاحظة أن ترتيب الفهرس في ص ١٠٢ وهو فهرس الألفاظ جاء بحسب ورودها في فقرات الكتاب، وليس في ذلك نفع للقارئ؛ لأن عليه أن يقرأ الفهرس كلّه بحثًا عن لفظة يريدها!! ولو رتّب ترتيبًا هجائيًّا بحسب أوائل الألفاظ لكان أولى وأنفع.

وكذلك جاء فهرس القوافي مرتبًا بحسب ورودها في فقرات الكتاب، وكان الأولى أن ترتب على حروفها ليسهل الرجوع إليها (انظر ص ١١٣).

وجاء اسم (محمد بن عمر) في فهرس الأعلام ص ٩٨ بعد (محمد القزويني، ومحمد بن مالك، ومحمد المعري) وحقّه أن يكون قبلهم جميعًا.

وبعد فكتاب ابن الحنبلي حلقة في سلسلة كتب وضعها أصحابها لإصلاح لغة العامة والتنبيه على ما يقبل منها، وهي سلسلة عُرفت منذ بدأها الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ وما زالت تصدر إلى يومنا هذا على تفاوت بينها في الحجم والمنهج والمضمون، وكتاب ابن الحنبلي واحد منها، فرحم الله مؤلفه، ورحم محققه، وبارك في حياة مراجعه وجزاه خيرًا.

صفحات لغوية للدكتور مكي الحسني

«وفي بعضها نظر»(*)

د. ممدوح خسارة(*)

الأستاذ الدكتور مكي الحسني شخصية مجمعية تجمع إلى علم الفيزياء علم العربية وإلى الاثنين خُلُقًا وفَضْلاً.

وقد صدر له في سلسلة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق في العام (٢٠١١) كتاب (صفحات لغوية) سبق أن نُشرت في مجلة المجمع في باب (أنباء وآراء)، يقع في نحو تسعين صفحة من القطع المتوسط.

ولما كان المؤلف الفاضل أمينًا لمجمع اللغة العربية، فقد يسبق إلى ذهن بعضهم أن ما ورد في الكتاب من أقوال وأحكام يمثل آراء المجمع، ومع أن للزميل الفاضل جهدًا طيبًا وإسهامًا علميًّا مشكورًا فيما يصدر عن المجمع من قرارات. ولكن الثابت أن آراء المجمع تمثلها قراراته التي تقرها مؤتمراته بعد أن تكون قد بحثت في لجانه العلمية المتخصِّصة وفي مجلسه.

يضم الكتاب اثني عشر بحثًا، وقد يشتمل البحث الواحد على أكثر من مسألة، كما في بحثه المعنون (هل نحسن استعمال ألفاظنا) الذي يعرض فيه لأربع مسائل لغوية وإنْ باختصار.

ومما يحمد للمؤلف غيرته على سلامة اللغة العربية، وهو يصف نفسه بأنه ليس

(*) اطَّلع الدكتور مكي الحسني على هذه المقالة وسوف يرد على ما ورد فيها في الجزء القادم.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

من أنصار التشدُّد والغُلُوّ حين يصير حَجْرًا على العقول والأذواق، ولكنه يؤيد التشدُّد المستنير الذي يدعو المترخِّصين إلى عدم الانفلات من الضوابط[١]، وإذا كان الكاتب الكريم يصف نفسه بالمتشدِّد المستنير فلا أحد يقبل أن يصف نفسه بالمتشدِّد المُستعتم.

يمكن أن يّسلك هذا الكتاب مع كتابه السابق (نحو كتابة علمية) في عداد كتب التصحيح اللغوي التي تجاوزت المئة لهذا العصر.

وأرى أن أبحاث الكتاب يمكن أن تُصنَّف تحت ضربين:

الضرب الأول: ويشمل كلمات أنكرها الباحث وخَطَّأها وهي أدخل في الصَّرف والدلالة.

الضرب الثاني: ويشمل التذكير بأحكام نحوية ثابتة مبسوطة في كتب النحو كمبحث تذكير الفعل وتأنيثه ومبحث كسرة همزة إنَّ وفتحها، ومبحث أحكام توكيد الفعل بالنون، ومبحث أحكام نعت جموع الأسماء ونحوها.

لا أجد خلافًا مع الباحث الفاضل فيما ذهب إليه في الضرب الثاني.

أما الضرب الأول ففيه كلمات أوافقه فيها من مثل الصواب في دلالة تَوفَّر وتَوافَرَ، وجمع مدير على مديرين لا مدراء.

ولكنني أخالفه الرأي فيما ذهب إليه من تخطئة كلمات (المِصْداقيَّة، التَّوعية، الآنف الذكر، لبَّى، اسْتَعمَل).

١) المِصْداقية:

يُضعِّف الباحث الكريم هذه الكلمة، ويرى أن «لا مسوِّغ لاستعمال (المِصْداقيَّة)، لأن الوجه أن يقال: التّصْديقية أو الصِّدقية بمعنى قابلية التصديق أو الصلاح

(١) صفحات لغوية – المقدمة: ٨.

للتصديق»[٢]. وحجته في ذلك أن معاجم اللغة أوردت (مِصْداق) ولم تورِد (مصداقية).

لا خلاف في الأصل اللغوي للكلمة فهي (مصداق) ففي اللسان: «مصداق الأمر حقيقية»[٣]. وفي التاج «مِصْداق الشيء: ما يُصَدَّقهُ»[٤]، وفي أساس البلاغة: «مِصْداق ذلك: ما يُصَدِّقه الدليل».

ولا خلاف في أن المصدر الصناعي قديم في العربية، وذائع فاش في المعاصرة منها. والكلمتان اللتان يفضلهما الباحث هما (صدقيَّة وتصديقية)، هما أيضًا مصدران صناعيَّان.

كما لا خلاف في أن المصدر الصناعي يؤدي زيادة في المعنى على المصدر الأصلي وهي دلالته على التجريد والشمول. فالتقدُّمية - وأرجو ألا يعترض عليها الباحث الكريم - لا تعني التقدُّم فحسب، بل تعني أيضًا ما يستلزم التقدُّم من منهج في التفكير والعمل والالتزام.

ولا حجة له في أن الكلمتين (صِدقيَّة وتَصْديقية) هي آصَلُ من (مصداقيَّة) فالكلمات الثلاث مولَّدة بالقياس.

الخلاف إذن هو في «أن لا حاجة إلى كلمة (مصداقية) ولا حاجة إلى تكلف معنى معقول لتضمينه إياها»[٥]. والجواب:

لماذا لم يُقَل: لا حاجة لكلمة (تَصْديقيَّة) أيضًا، ما دام عندنا المصدر الصناعي الآخر (صدقيَّة)؟.

إن دعوى أن وجود كلمة يُغْني عن غيرها إذا كانت بدلالتها هي دعوى خارجة

(٢) صفحات لغوية: ١٢.
(٣) اللسان/ صدق.
(٤) التاج/ صدق.
(٥) صفحات لغوية: ١٢.

عن منطق اللغة، ولعل الباحث الكريم غلب عليه هنا منطق العلوم البحتة، أما اللغة فلها منطقها الخاص الذي جعل العرب يجمعون كلمة (الأَجَمة) على (أُجُم وأجَمَ وآجام وإِجام) مع أن جمعًا واحدًا أو اثنين يكفيان للدلالة، فهلَّا اعترض عليهم أن وضعوا خمسة جموع لكلمة ثانوية في حين اكتفوا بجمع واحد لكلمة من أكثر كلمهم استعمالاً وهي كلمة (يوم)، فلم يجمعوها إلا على (أيَّام)؟ إن التوسع في توليد الألفاظ المطابقة في المعنى أو المترادفة للوفاء بحاجات التعبير البلاغي أو الشعري أو لمجرد التجديد هو من مذاهب العربية. لقد أجازوا للحطيئة مثلاً أن يُحوِّل (سليمان) إلى (سلَّام)، وأن يجمع العجَّاج الحَمام) على (حَمِي)، وللبيد أن يختصر (مَنازِل) إلى (مَنَا)، وما ذاك إلا لأغراض إقامة الوزن(٦)، فالتغيير لأغراض أخرى هو بالأولى.

بقي أن تقول: إن الباحث الكريم الذي يعتقد أن مجمع القاهرة لم يكن موفقًا في إجازته كلمة (مِصْداقية)، سوف يضيف إلى ذلك اعتقاده أن مجمع اللغة العربية بدمشق لم يكن موفقًا كذلك في إجازته كلمة (المصداقية) (٧). وكم كان أقرب إلى الواقعية أن يُسقط الباحث الفاضل من كتابه هذه المسألة ما دام مجمعه قد أقرَّها.

وغني عن البيان أن المجامع اللغوية عندما تجيز كلمة أو عبارة فهي لا تُضعِّف ما عداها، بل توسع أمام الكاتب دائرة الاختيارات.

---

(٦) وذلك قول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من نسج سلاَّم

وقول العجَّاج:

أَوالفًا مَكَّة من وُرقِ الحَمِي

وقول لبيد:

دَرْس المَنَا بمتالعٍ وأبانِ

(٧) أجازها مجمع القاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٣/ ٨٠. وأجازها مجمع دمشق في قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب (١): ٣٠.

ليت الدكتور الحسني وقف في تضعيفه عند كلمة (المصداقية)، إذن لهان الأمر، ولكنه جمع لها نظائر من مثل: (إمكانية، استمرارية، صوابية، إشكالية نمطية)!!

٢) استعمل واستخدم:

يذهب الدكتور الحسني إلى أن الفعل (استخدم) لا يكون إلا للعاقل وأما استعماله لغير العاقل فغير فصيح، متابعًا في ذلك من سبَقَه في تخطئة هذه الكلمة، أو تضعيفها لأن عبارة الدكتور الحسني في خلاصة بحثه مربكة إذ قال: «فِعْل (استعمل) للعاقل وغيره، أما (استخدم) فللعاقل فقط. وهي عبارة تقضي بالتخطئة وقال بعدها: «فمن توخَّى اللغة العالية جارَى الفصحاء»[٨]، وهي عبارة تُحكْمُ بالتضعيف.

والباحث الكريم يتابع من قال هذه القالة[٩] ولا سيما الأستاذين صلاح الدين الزعبلاوي وصبحي البصام.

لا خلاف مع الدكتور الحسني في أن الفعل (استعمل) يصلح للعاقل ولغيره. ولكننا نخالفه في أن (استخدم) لا تستعمل مع غير العاقل؛ فهو لم يأتِ بقول واحد من لغة الاحتجاج تقصر استعمال الفعل (استخدم) على العاقل. وما أتى به هو حَوْل مجيء الفعل (استعمل) للعاقل وغيره في كلام الإمام علي ﷺ، وفي كلام الزمخشري. فكأنه استشعر أن ورود استعمل للعاقل وغيره يقصر استعمال (استخدم) على العاقل وحده.

ولكننا نرى أن الفعل (استخدم) يستعمل للعاقل وغيره، وأدلتنا إلى ذلك ما يلي:

١- جاء في اللسان: (خدم): «خدمه يخدِمُه ويخدُمُه: مهَنَهُ» وفيه في مادة

---

(٨) ينظر ص ٦٥- ٦٧.

(٩) ممن خَطَّأها الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي معجم الأخطاء الشائعة: والأستاذ صبحي البصام- مجلة المجمع الأردني العدد (٧١) للعام ٢٠٠٦ مجلة مجمع دمشق المجلد ٥٨ الجزء ٤/ ١٩٨٤.

(عمل): «العمل المهنة، واستعمل فلان غيره: إذا سأله أن يَعْمَل له». وجاء في التاج: «مهنَه: خدمه. والعمل: المهنة». ويفهم من هذا:

أن الخدمة والعمل يلتقيان في دلالة واحدة هي كلمة (المهنة) فإذا وحَّدت بينهما دلالة المصدر، ألا يمكن التوحيد بينهما في الاستعمال، فيكون (استَخدم) بمعنى (طَلَبَ العمل) أي استعمل، والعمل يقع من العاقل وغيره.

٢- إن الخدمة قد تكون من غير العاقل، ودليل ذلك ما جاء في حديث علي وفاطمة رضي الله عنهما: «اسألي أباك خادمًا [للمذكر والمؤنث]. تقيك حرَّ ما أنت فيه»(١٠). فإذا كانت الآلة اليوم هي التي تقوم بوقاية الإنسان وإراحته، أليس يعني هذا أن الآلة هي خادم مع أن الآلة ليست عاقلاً.

- ورد في التاج: «هذا القميص يَخدم سنة»(١١)، أي أُسْندت الخدمة لغير العاقل، ولعل هذا ما شجَّع الكتاب والأدباء بعد عصر الاحتجاج على استعمال (استخدم) للعاقل ولغيره، إذ تكررت كلمة (استخدم) آلاف المرات في كتب ما بعد عصر الاحتجاج لتدلَّ على أن المُسْتَخدَم ليس عاقلاً فحسب، وأهمها:

- قول ابن حزم في المحلَّى (١١/ ٥٠٠): «فإن لم يفِ استخدم المالَ في الباقي».
- قول ابن قدامة في الشرح الكبير (٤/ ٧٤): «وإذا استخدم المشتري المبيعَ ففيه روايتان».
- قول الشَّهرستاني في الملل والنحل (١/ ٨٨): «استخدم القوتين».
- قول الصفدي في الوافي بالوفيات (١/ ٩١١): «استخدم لفظ الذباب في معنييه.»
- قول الكفويّ في الكليات (٣/ ١٣٩): «استخدم الله سبحانه وتعالى لفظ الجلالة».
- قول العباسي في معاهد التنصيص: (١/ ٢٢٤): «استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا»

(١٠) تاج العروس: خدم.

(١١) المصدر السابق نفسه.

- قول القلقشندي في صبح الأعشى (١٢: ١٣٢): «استخدم كُلَّ سيف وقناة».
- قول لسان الدين الخطيب في نفح الطيب (٦/ ٤١٨): «استخدم الأَسَل الطوال».

وقال البهاء زهير: (موسوعة الشعر العربي ٤٥٢/ ٥٢٩)

أَسْتخدِمُ الريحَ في حمل السلام لكم كأنما أنا في عصري سليمان

- وقال القاضي الفاضل: (موسوعة الشعر العربي ٣٤٨/ ٨٠٥)

قد اسْتَخْدَمْتَ في الأفكار سرِّي وما أطلقتَ لي بالوصل أُجرة

فإذا كان الدكتور الحسني يتوخَّى لغة أعلى من لغة القاضي الفاضل ولغة ابن حزم، فذلك فضل قد لا يؤتاه معظم الكتاب.

ومما يجدر ذكره أن مجمع دمشق قد أجاز استعمال (استخدم) للعاقل وغيره، وإن كانت للعاقل أولى[١٢].

٣) التوعية:

يُخَطِّئ الدكتور الحسني استعمال كلمة (التوعية) بمعنى جعل الآخر واعيًّا أو يعي أمرًا ما. فهو ينكر أن يقال: «توعية المواطنين بكذا لأن الوجه عنده أن يقال مثلاً: تبصير المواطنين ضرورة كذا»[١٣].

لن أتولى الرد على تخطئة هذه الكلمة، بل أحيل على مقال المجمعي الدكتور مازن المبارك في العدد ٨٥/ ٣ ص ٨٨٥ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان (التوعية)، يقول فيه: «بحث أخ كريم عن كلمة التوعية في المعجم فلم يجدها، فرفض استعمالها ناعتًا إياها بأنها كلمة غير معجمية، وزاد على رفضها قوله إن فيها معنى التعبئة، وإن العرب يستعملون بمعناها كلمة التَّبْصرة. وخلاصة رأيه أن العرب لم يقولوا: وَعَّاه توعية، وإنما قالوا: بَصَّره تَبْصِرَة فَلْنَقف عندما قالوا».

(١٢) قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب (١): ٩.

(١٣) صفحات لغوية: ٢١.

ولكي لا أعيد مقال أستاذي الدكتور المبارك أُلَخِّص ما ورد فيه من حُجَج وهي:

١- إن رَفْض كلمة بحجة عدم ورودها في المعاجم، ليس صحيحًا، لأن المعاجم لم تنقل إلينا كل اللغة، وأنها لم تذكر القياسي من الاشتقاقات لأنها معلومة بالضرورة، كاستعمال اسم الفاعل أو اسم المفعول من كل فِعْل. ولكنها تشير إلى ما ليس قياسيًا بالضرورة.

٢- إن دلالة (الوَعي) في اللغة هي الحفظ والفَهْم، وفي الحديث: «نَضَّر الله امرأً سَمِع منا شيئًا فَبَلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مُبَلِّغ أَوْعى من سامع»(١٤).

٣- ما دام ورد فعل (وَعَى) الثلاثي بمعنى حفظ وفهم، والثلاثي المزيد (أَوْعَى)، فاستعمال المزيد (وَعَّى) على بناء (فَعَّل) صحيح، إذ هو مقيس على ما ورد في اللغة من قولهم: (وَفَى ووَفَّى)، فكلاهما ثلاثي وكلاهما لفيف مفروق وكلاهما متعد.

٤- ثمة فرق بين التوعية والتَّبصْرة، «فالتوعية للفهم والحفظ، والتَّبْصرة للتصرُّف والتَّعَامُل. والتَّبصرة بالشيء هي التعريف به، وهو ما عناه الصَّيْمريّ حين سمَّى كتابه في النحو (تَبْصِرة المُبْتدي وتذكرة المنتهي)».

ويخلص الدكتور المبارك إلى صحَّة استعمال التَّوعْية بمعنى الإفهام. وبقوله أقول.

٤) الآنف الذكر:

لست أول من يعترض على قول الدكتور الحسني في تخطئة عبارة (الآنف الذكر) للدلالة على أمر سبق ذكره قريبًا، فقد سبقني إلى الرد والاعتراض الدكتور عبد الناصر إسماعيل عساف الذي كتب مقالاً ضافيًا في الرد على الدكتور الحسني الذي كان عَلَّق على بحث للدكتور عساف في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٤) رواه الترمذي (فتح الباري في شرح صحيح البخاري – كتاب العلم).

(٨٢/ ٤)، يُخطئ فيه عبارة الباحث: (في الموضعين الآنفين)، ويرى أن الوجه أن يقال: «في الموضعين المتقدمين أو الموضعَيْن المتقدمَيْن آنفًا». وأنا لم أطَّلع على رد الدكتور عساف الذي وقع في (٢٣) صفحة وذُيِّل بـ(٥١) حاشية[١٥].

وخلاصة رأي الدكتور الحسني أن كلمة (آنفًا) لم تستعمل إلا ظرفًا، وإن كان القدماء بعد عصر الاحتجاج يستعملون (الآنف والآنفة) بمعنى الحالي أو الجاري الآن.

لن أناقش الشق الثاني من كلام الدكتور الحسني من تغيُّر معنى (الآنف) عند عدد من القدماء بعد عصر الاحتجاج، وإنما سأناقش إنكار مجيء (الآنف) صفة بمعنى (السابق قريبًا) وأن الكلمة لا تستعمل إلا ظرفًا.

- جاء في لسان العرب: «وفَعَلْتُ الشيء آنفًا أي في أول وقت يقرب مني. ائتنف الشَّيْء واستأنَفَه: أخذ أوَّله وابتدأه... وفَعله بآنِفَةٍ وآنفًا».
- وجاء في الوسيط: «مضَتْ آنفةُ الشباب. والآنفُ: الماضي القريب والآنفة مؤنث الآنف، والآنِفُ من كل شَيءٍ: أوَّله».

يتضَّح من هذا أن كلمة «آنف» وردت اسمًا وظرفًا، بدلالة ما جاء في الوسيط: «الآنف من كلِّ شيء أوَّله، وبدلالة تأنيث (الآنف إلى آنفة)، ولو كان ظرفًا فقط لما أُنِّث. وبهذا تسقط حجته في أن الكلمة لم تستعمل إلا ظرفًا.

وبالعودة إلى علم الصرف، نقول: ما دام ورد (استأنف وائتنف) بمعنى ابتدأ الشَّيْءَ، فهذا مؤذن بوجود ثلاثي له وإن لم يُنْطق به بدلالة مجيء اسم الفاعل منه (آنِف ومؤنثه آنِفة).

فقولهم (الآنف الذكر) يصبح معناه (الأمر الماضي القريب الذي بدأ ذكره).

---

(١٥) صفحات لغوية: ٢٣.

أما في النحو: فنقول إن (آنفًا) ظرفٌ، ولكنه ظرف متصرف أي يستعمل ظرفًا وغير ظرف، وليس مقصورًا على الظرفية حتى يقال: لا يجوز استعماله إلا ظرفًا، بل نقول إن الظروف غير المتصرفة، قد تصرفَتْ فيها العرب فاستعملتها ظرفًا وغير ظرف، جاء في الحديث الشريف كما في صحاح الجوهري مادة (وغَبَ) والمحكم لابن سيده (الحاء والذال): «لا تقوم الساعة حتى يَظْهَر التُّحوتُ» ويفسِّرون التُّحوت (وهي جمع تحت) بأنهم الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يُعْلَم بهم. ويلحظ كيف نقُل الظرف إلى اسم ذات وجُمع.

صحيح أن اللغة تقوم على ما قالته العرب، ولكن ليس صحيحًا أنها لا تقوم على مناقشات منطقية، بل نقول إن لكل شيء منطقًا، وللغة منطقها الخاص الذي تقوم عليه. وهذا بحث يطول.

وكاد الدكتور الحسني يلجئنا إلى المنطق، لولا أن أسعفَنا كلام العرب عندما قال: «ثم إن مجيء الكلمة حالاً (لأن بعضهم وجه آنفًا على الحالية)، لا يحتم مجيئها صفة. خذ مثلاً (طُرًّا) إنها لا تكاد تستعمل إلا حالاً، وقال سيبويه: ولا تستعمل إلا حالاً. يقال جاء القوم طُرًّا أي جميعًا، ولم نصادف كلمة الطُّر بمعنى الجميع»(١٦). انتهى كلام د. الحسني.

يا صديقي الفاضل، بل اسْتُعمِلت كلمة (الطُّرّ) بمعنى الجميع؛ جاء في لسان العرب (طرر): «قال سيبويه: مررت بهم طُرًّا أي جميعًا، ولا تستعمل إلا حالاً.

(١٦) صفحات لغوية: ٢٦.

واستعملها خصيب المتطبِّب النصراني في غير الحال، وقيل له كيف أنت فقال أحمد الله إلى **طُرِّ خَلْقه**»، وقال ابن سيده: أنبأني بذلك أبو العلاء، وفي نوادر الأعراب: رأيت بني فلان بِطُرٍّ إذا رأيتهم بأجمعهم. قال يونس: الطُّرُّ: الجماعة، وقولهم جاءني القوم طُرًّا منصوب على الحال، يقال **طَرَرْتُ** القومَ أي مررت بهم جميعًا».

ومما يلفت النظر أن الدكتور الحسني نشر مقالته حول (آنفًا والآنف) في مجلة مجمع اللغة العربية [٨٣/ ٣ في أيلول ٢٠٠٨]، ونشرها في كتابه (نحو إتقان الكتابة العلمية) الذي قدم للطبع في تشرين ثان ٢٠٠٨ بحسب مقدمته. ثم عاد ونشره في كتابه صفحات لغوية عام (٢٠١١). فهل من مسوِّغ لمثل هذا الإصرار؟؟

بقي أن أقول: لقد أقرت لجنة اللغة العربية في مجمع اللغة العربية بدمشق هذا الاستعمال وهو بين يدي المؤتمر العاشر للمجمع.

٥) (لَبَّى):

ينكر الباحث استعمال كلمة (لَبَّى وتَلْبية) بمعنى الاستجابة إلى مَطْلب أو أمر، لأن التلبية هي الاستجابة من مُنْطَلَق الطاعة والامتثال. ويورد استعمالات العرب (للتلبية) بمعنى الإجابة عن طواعية. وهي كلمة صحيحة ثم يقترح بدائل لعبارات ترد فيها كلمة (لَبَّى)، كأن يقال: «الإنتاج الصناعي يوفِّر للمواطنين معظم احتياجاتهم» بدلاً من (الإنتاج الصناعي يُلَبَّى معظم احتياجات المواطنين)، وكأن يقال: (إن رواتب العاملين في الشركة لا تكاد تفي بحاجاتهم الأساسية) بدلاً من (إن رواتب العاملين في الشركة لا تكاد تُلَبِّي احتياجاتهم). إذن هو يقترح الأفعال (وفّر، وَفَى وغيرهما مما يحتمله السياق) بدلاً من الفعل (لَبَّى).

وأنا أتوجه بملاحظ على هذا القول:

١- إن تحقيق كلمة (لَبَّى) مختلط في بحثه بكلمة (احتياج) مما يُحْوج إلى تخليصهما.

٢- لم يوضِّح الباحث حُجَّته في تخطئة الفعل (لَبَّى)، لا من الناحية الصَّرْفية لأنه صحيح، ولا من الناحية الدلالية لأنه بمعنى الاستجابة.

ولكنني استشفَفْتُ أن الباحث الفاضل يرفض كلمة (لَبَّى) لأن دلالتها الأصلية هي الإجابة من مُنْطَلق الطاعة والامتثال. وأن هذه الدلالة لا تتَحَقَّق إلا إذا كان الفاعل عاقلاً يطيع ويمتثل، وأما قولهم (إن الإنتاج الصناعي يُلَبِّي معظم احتياجات المواطنين) فكأنما أُسْنِد الفعل (للإنتاج)، وهو ما لا يصح أن تُسْنَد إليه الطَّاعة والامتثال.

فإذا كان هذا ما يرمي إليه الباحث دون تصريح، فإن لنا في المجاز أو في إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي مندوحة عن التعليل.

أما إذا كان يريد أن يقول: إنه ما دام في العربية أفعال تؤدي دلالة (لَبَّى) من مثل (وَفَى وَوَفَّر وسدَّد) فلا داعي لتغييرٍ طفيفٍ في دلالة الفعل (لَبَّى)، فإننا نقول: إذا كان ذلك كذلك فَلْنُلغِ كل المترادفات في العربية، ذلك أنه ما من فِعْل إلا وله مترادفات، والترادف لا يعني التطابق التام في الدلالة.

وبعدُ اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعْنا بما علمتنا.

مراجعة في كتاب:

تُحف الخواص في طُرف الخواصّ في صنعة الأمدّة والأصباغ والأدهان

ألّفه: محمد بن محمد القَلَلوُسِيّ الأندلسي

حققه: الدكتور حسام أحمد مختار العبادي

د. رضوان الداية(*)

(١)

في كتب التراث المنشورة حديثًا رسالة لمؤلف أندلسي عنوانها: «تُحَفُ الخَواصّ في طُرَف الخَواصّ». فالرسالة في موضوع واحد يتحف به المؤلف الخاصة من أهل العلم والفكر والإدارة. وهذا الموضوع يتعلق بطُرفٍ من خواص مواد معينة ذات صلة بصناعة الأمدّة (جمع مداد) والأحبار ومكوّناتها ، وصناعة الأصباغ والدهون، والعمل بها، وكيفية محوها وإزالة آثارها من الورق والبردي والكاغد وسائر ما يُكتب عليه، أو يُصبغ به كالأنسجة والأخشاب والمعادن ... إلى طُرفٍ كثيرة متفرعة عن هذه العناوين المذكورة.

وعلى صغر هذا الكتاب (الرسالة)[1] يقدم للقارئ مادة وافرة وطرائق كثيرة، ووصفات متعددة لمعالجة قضايا متفرعة عن تلك الأصول.

(*) باحث في الأدب والتراث من سورية.

(١) في تعريفات المعجم الوسيط : (رسل) الرسالة كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد.

وهو كتابٌ كانت له أهمية في عصره (في البلاد العربية والإسلامية، وفي غيرها أيضاً) فقد وصف لنا أحوال تلك الصناعات والمهارات، وعرّفنا بالمواد التي كانت شائعة في الأندلس وخاصة في مواد الكتابة، وكانت مستعملة من قبل الكتّاب المتمكنين، ومن المتدربين تحت أيديهم في الدواوين؛ وقدّم المؤلف معلومات وافية في اتّخاذ الأحبار. وفي الاستفادة من أنواعها وألوانها وأصباغها، ومن ثمّ معرفة كيفية محو ما يراد محوه منها، وإزالتها؛ إضافةً إلى أنواع من الأحبار المتخذّة للكتابة السرية، والأحبار التي تستعمل لأغراضٍ معينةٍ ولزمان معيّن كالحبر الليلي ... إلخ.

وهو كتاب تتجدد أهميته اليوم، ويستفاد منه في البحوث والدراسات التاريخية والثقافية والعلمية التي تعالج أحوال الأندلس وصنائعها، وأدواتها الفنية في الكتابة والرسم والتشكيل والتلوين والزخرفة، وفي معالجة ما يُحتاج إليه من المحو والتنقية...

وهو يدخل في جملة كتب التراث العلمي الأندلسي الذي يُسهم في رسم صورة الحياة العلمية والعملية في بعض جوانب النشاط في المجتمع الأندلسي الذي بقي زمنًا طويلًا في ذروة التألّق والتمكّن العلمي والحضاري.

(٢)

- **عنوان الكتاب** كاملًا كما ثبت على غلافه: «تُحف الخواص في طُرف الخواصّ في صنعة الأمدّة والأصباغ والأدهان»؛

- **ومؤلفه** -كما ورد على الغلاف أيضاً-: أبو بكر محمد بن محمد بن إدريس القللوسي الأندلسي ؛

- **ومحقّقه**: هو الدكتور حسام أحمد مختار العبادي؛

– **وناشره**: مركز الخطوط في مكتبة الإسكندرية بالقطر المصري؛

– **وتاريخ نشره**: سنة ١٤٢٨ هـ ، الموافق ٢٠٠٧ م .

ـ والكتاب مع مقدمته في ٩٢ صفحة من القطع الاعتيادي.

وقد نشر المحقق هذا الكتاب عن أصلين اثنين مخطوطين، ووعد في مقدّمته على نص الكتاب بالمقابلة بين النسختين، وبإثبات ما بينهما من فروقٍ، ووجوه اختلاف.

وترجم للمؤلف ترجمة مقتضبة، رجع فيها إلى بعض المصادر، ولم يستوف؛ ونوّه بالمؤلف، وبالكتاب ، وأشار إلى اطّلاعه على دراستين سبقتا عن الكتاب لباحثين فاضلين هما الأستاذ محمد المنوني أحد علماء المغرب الكبار، رحمه الله تعالى، والأستاذ محمد إبراهيم شبّوح.

وذيّل الكتاب بـ «شرح أسماء بعض المصطلحات والرّموز العلمية التي وردت في المخطوط مرتبة ترتيبًا ألفبائيّاً»

وهذا صحيح ؛ فإنه لم يستوف الشرح أو التعريف أو التنبيه؛ فنقص التحقيق من هذه الجهة عمّا يستحق الكتاب، وعما يحتاج إليه القارئ.

(٣)

في مزايا الكتاب:

أما ما يميز الكتاب عن غيره من الكتب المشابهة التي ظهرت في المكتبة العربية في مجال صناعة الكتاب، وصناعة الحبر على وجه الخصوص – كما ذكر المحقق الفاضل في مقدمته على الكتاب، (الصفحة ١٤) – فهو «أنه ذكر لنا بعض تركيبات من المواد كان يستخدمها الرازي وأخرى متوارثة؛ إلا أن أهميته الحقيقية في ذكره لأنواع المواد المستخدمة في عُدوة الأندلس، وهو أول مصدر لدينا يشير إلى هذا الميدان ...»

ونبّه المحقق على صلة موضوع الكتاب بالوزير[٢] الذي أهدى المؤلف إليه كتابه، فقد كان غرضه (الصفحة ١٤): «إهداء كتاب ذي معلومات خاصة تفيد رجال القصر، وخاصة الملوك والسلاطين، وعلى رأسهم الوزير ابن الحكيم الذي أهداه كتابه. فهو لم يقصُر كتابه على المواد الكتابية وصناعة الكتاب ، بل تناول مواضيع مختلفة كان من ضمنها تركيب المواد وكيفية إزالة الطُّبوع من الكتاب ، وكذلك كيف يمكن الكتابة بما يُعرف حاليّاً بالحبر السري ، إضافة إلى كيفية حماية الكتاب من الفئران إذا كُتب بحبر معين... »

ومزية إضافية نبّه عليها المحقق، هي أن المؤلف وصف طرقًا للكتابة على المعادن المختلفة التي كانت تستخدم الأندلس علاوة على شرحه لطرق إزالة الطبوع (البقع) بمختلف أنواعها من الكتب، ومن الثياب، وغيرها.

في مصادر ترجمة المؤلف:

اعتمد المحقق في ترجمة صاحب الكتاب على أربعة مصادر وهي: الإحاطة في أخبار غرناظة للسان الدين بن الخطيب، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، والإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم.

وسكت المحقق الفاضل عن مصادر أخرى، وعن مراجع سبقته إلى الكلام على المؤلف وعلى بعض مؤلفاته.

(٢) هو الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن اللخمي الرندي، عرف بابن الحكيم، وزير، كاتب، شاعر. تقلّد الوزارة لأحد أمراء بني الأحمر (بني نصر) في غرناطة، وكان مولعًا باقتناء نفائس الكتب، وكان يقرب الأدباء والشعراء، بصيرًا بنقد الشعر. ولد بمدينة رُندة سنة ٦٦٠ وتوفي قتيلًا بغرناطة سنة ٧٠٨. ولابن الحكيم ترجمة ضافية في الإحاطة في أخبار غرناطة ٢: ٤٧٦-٤٤٤؛ وينظر: أزهار الرياض ٢ : ٣٤٠-٣٤٧ والدرر الكامنة ٤ :١١٥-١١٦ .

فقد ترجم له من الأندلس لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة (٣: ٧٥-٧٨) ونوّه به وأورد من نظمه، وكتاب الإحاطة هو الوحيد الذي ذكر كتاب: «تحف الخواص »

وترجم له من المغاربة ابن القاضي المكناسي في جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (١: ٢٨٨) وفي كتابه: درة الحجال في أسماء الرجال (٢: ٢٦) والعباس بن إبراهيم في كتابه: «الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام» (٤: ٣٧)

وترجم له من المشرق: ابن فرحون المالكي في كتابه: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (٢: ٢٨٥)

– وابن حجر العسقلاني في: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٤/ ٢٨٧،٢٨٨ والسيوطي في: بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة (١: ٢٢٠)

– وذكره مع بعض مؤلفاته إسماعيل باشا البغدادي في كتابه؛ إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظنون (١: ٦٢٠) وفي كتابه هديّة العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٢: ١٤١)

– وترجم له من المعاصرين: خير الدين الزركلي في الأعلام (٧: ٣٣) تحت لقب القُضاعي، وقال فيه: فاضل مغربي، واستشكل اسم بلدته اصطبونه (؟)[٣]. وظاهر أنه لم يطلع على مخطوطة الإحاطة حين دوّن ترجمة مؤلف كتاب تحف الخواص، فلم ينتبه إلى أنه أندلسي.

– وترجم له كحالة في معجم المؤلفين (١١: ١٩).

(٣) سيأتي وجه ضبطها بعد قليل .

(٥)

في شخصية المؤلف:

تتضح شخصية المؤلف من اجتماع ترجمة لسان الدين (فهو أندلسي مثله قريبٌ من زمانه ، توفي لسان الدين سنة ٧٧٦) وتراجم المغاربة، فإن المؤلف كان قد نزل في المغرب في أكثر من مدينة، وأقام هناك مدة (لا نعرف كم هي، ولكنها كانت طويلة نسبيّاً كما نفهم من تراجم بعض من أخذ عنه وروى).

وفي ترجمة المؤلف أنه كان إمامًا في العربية والعروض والقوافي، موصوفًا بذلك، منسوبًا إليه، وكان يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، وكان – كما قال لسان الدين – مشاركًا في فنون شتى من فقه وقراءات وفرائض (مواريث)، وقال فيه إنه «من أعلام الحفاظ للغة، حجة في العروض والقوافي، وله في ذلك تواليف بديعة».

ولي أبو بكر – المؤلف – الخطابة ببلده: أَصْطَبُّونَة مدّةً، وقعد للتدريس به، وانثال عليه الناس وأخذوا عنه، ونسخ بيده الكثير، وقيّد. وكان بقطره علمًا من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

ونقرأ في ترجمة ابن البنّاء المراكشي (جذوة الاقتباس ص١٥٠) أنه أخذ عن أبي بكر القضاعي - وقد لقيه بمدينة مراكش - علم العروض ، وأرجوزته العروضية المسماة بالنكت العلمية في مشكل الغوامض الوزنيّة، وقرأ عليه: المسائل الغوامض عن متعلقات مشكل الفرائض.

- **وقد بقي من ترجمة المؤلف أمران:**

أحدهما أنه كان يلقب بالفار: ذكره ابن القاضي في جذوة الاقتباس، وكأنه لقب شاع في المغرب لسبب لا ندري ما هو، ولم يذكر ابن الخطيب هذا في ترجمته في الإحاطة. فلعل الأمر كما ذكرت.

والثاني أن في نسبته شهرة لم تتفق المصادر على رسمها، ولم يفسرها أحد منهم

وهي (القللوسي) كما وردت عند لسان الدين بن الخطيب، و(القالوشي) في جذوة الاقتباس، و(القلاوشي) في درّة الحجال، وهي كذلك في هدية العارفين وإيضاح المكنون.

وأثبت المحقق الفاضل في حاشية له على (القللوسي) في الصفحة (٧) الحاشية (٢) ما نصّه: «هناك رأي للأستاذة الدكتورة ماريا خيسوس بيجيرا أنه من المحتمل أن يكون أصله من Callos Lenvantianas وعرّب الاسم إلى القللوسي» كذا فيه؛ ولم يزد على ذلك ، ولم يبين أين تكون هذه البلدة أو القرية، وما قربها أو بعدها عن اصطبونة التي أجمع المؤرخون على أنها مدينته.

قلت : وقد زال الإشكال بما ذكره الصفدي في العراقي بالوفيات (٢ : ١٨٤) في ترجمة مؤلف الكتاب وقال فيه : محمد بن إدريس ، أبو بكر القَلَلُوسِيّ : بالقاف المفتوحة وبعدها لامان الأولى مفتوحة والثانية مضمومة ، وواو ساكنة وبعدها سين مُهملة . «ونقل عن ابن حَيّان الأندلسي قوله : كان المذكور أديبًا من أهل المغرب بسبتة جاز إلى الأندلس»

ومن أخطاء النّساخ (للمخطوطات) وأوهام التحقيق ما ورد في درة الحجال (٢: ٢٦) من أن المؤلف من أهل أشبونة (وهي اليوم مدينة لشبونة عاصمة البرتغال) وانساق المحقق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور وراء ما في نسخة المخطوطة وترجم في الحاشية[٤] لمدينة أشبونة، علمًا أنه هو محقق (الديباج

(٤) في حاشية للأستاذ محمد عبد الله عنان عند ترجمة المؤلف (٣: ٧٥) اصطبونة أو اشتبونة، وبالإسبانية Estepona ثغر صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوبي غربي مالقة، وشمالي جبل طارق على مقربة من ثغر مربلّة.

– وانظر مشاهدات لسان الدين تحقيق د.أحمد مختار العبادي ص٧٥ وكانت اصطبونة خربة عندما ذكرها لسان الدين في مشاهدات «بعد حادث الجزيرة» .

المذهب) الذي ورد في متنه أن المؤلف من أهل أصطبونة[٥] (٢: ٢٨٥).
ونذكر أن من مؤلفات الرجل «الدرّة المكنونة في محاسن أصطبونة».

قيمة الكتاب وأهميته:

جاء كتاب (تحفة الخواص) في مقدمة قصيرة وبابين، واندرج تحت الباب الأول أربعة فصول، وتحت الباب الثاني ستة فصول، استوفى فيها المؤلف أغراضه على سبيل الإيجاز والإلماح والاختصار.

وما ورد في الكتاب: معلومات وإرشادات ومعالجات كانت ذات أهمية للكاتب، وكانت - كما بيّن هذا الكتاب – تزداد مع الزمن كثرةً وتنوعًا، وتتجدد مع تطوير الصنعة في عمل المواد والأصباغ والألوان، وفي تحضير ما يُمحى به الكتابة، وفي استنباط أنواع من الأمدة للكتابة السرية، ولما يظهر من الكتابة في الليل دون النهار.

ويظهر في الكتاب تطوّر صناعة المواد، مع تطور صناعة الورق الأندلسي، والشاطبي[٦] منه خاصة، مع سائر ما يخصّ الكتابة والألوان والأصباغ والدهون ومواد التلوين والتصوير والتشكيل.

والتفّت في الكتاب معارف شتى برع فيها الأندلسيون من معرفة خصائص النبات والمواد المفردة والمركبة ، وعدد من الصناعات الكيماوية ذات الصلة.

والكتاب، من جهة أخرى يصوّر الدرجة العالية التي وصل إليها الأندلسيون في صنعة الخط والورق وأدوات الكتابة والمحو والتلوين والزخرفة، وتمييز ما

(٥) وقد ضبطت الكلمة في المشاهدات هكذا : أَسْطَبُّونة بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وباء مشدّدة مضمومة ونون ....

(٦) قال مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار في ترجمة (شاطبة) ص٣٣٧ «يعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض يعمّ المشرق والمغرب».

يناسب أنواع الورق وما يُكتب عليه، من أنواع الحبر بألوانه، وخصائصه ومعرفة ما يناسب الكتابة الخاصة كالمراسيم السلطانية (مثل كتابة العلامة التي هي علامة الدولة، أو طغراؤها كما تطورت فيما بعد)

وهو يُظهر معرفة عالية وتقنية أندلسية بارعة، وتقدمًا لهم في هذه الفنون والصنائع والعلوم.

وإهداء الكتاب إلى شخصية رفيعة (الوزير ابن الحكيم) يشير إلى رعايةٍ لأهل الفكر والعلم والأدب والنحو، من رجال ذوي شأن تُرفع إليهم المؤلفات ويشجعون، ويثيبون على الإبداع، والبحث العلمي.

وقول المؤلف في مقدمة كتابه إنه جمع فيه أشياء يحتاج إليها الكاتب لا يحجّم عمله بالنقل والاستفادة من أهل الصناعات ، فقد دلّ في فصول كتابه على خبرة ومعرفة، وذكر أكثر من مرّة معالجته لبعض الأشياء وصحة تجاربه فيها (انظر ص٥٠ مثلًا) «وقد جربناه فصحّ»، وعلى الصفحة ٣، في صفة نوع من المواد قال: «وبهذه المواد تُنسخ المصاحف في الأندلس. وقد جلبتُه أنا غير مرّة، وكتبتُ به، ولم أعمل فيه غير ما ذكرت، واستعملته فجاء حسنًا براقًا» (الصفحة ٢٣).

وكان لمواد كتاب (تحفة الخواص) صدى وأثر في كتابة بحوث ودراسات ذات صلة بالمواد والتلوين وأمور أخرى تخص صنعة المخطوط العربي ، ومن ذلك ما ورد في كتاب «المدخل إلى الكتاب المخطوط بالحرف العربي» لمؤلفه فرانسوا ديروش، الذي ترجمه الدكتور أيمن فؤاد سيّد ونشرته دار الفرقان للتراث الإسلامي بلندن سنة ٢٠٠٥، فقد أشار إلى هذا الكتاب وموضوعات معينة منه، مستفيدًا من بحث عن كتاب (تحفة الخواص) للأستاذ إبراهيم شبوح.

ونجد إشارة واستفادة ونقلًا من القللوسي في فقرة:«النساخ والمواد»

ص١٨٨ وقال: «وتقترح رسالة ألفت في الأندلس في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) طريقة أخرى للنظر في استخدام الأمدة وفي تكوينها، فجمع النص في الواقع بعض الوصفات التي توافق الكتابة على الورق أو الرق أو كليهما معًا ...»

وتحدث عن إزالة الأحبار والألوان ص١٨٩ فقال «ونجد فقرة في أحد فصول رسالة القللوسي تحف الخواص ... تتناول أساليب قلع المواد من الدفاتر وقلع الحبر من الكتب وقلع الأصباغ من الثياب...»

وأخذ عنه في فقرة: تركيب الأمدة الملونة (ص١٩٦) وفي فقرة عن المخطوطات المزينة في المغرب العربي (ص٢٠٠) استفادة من صناعة الأمدة الملونة

وكان بحث الأستاذ شبوح قد نشر في لندن في مجموعة «دراسات المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر» صدر سنة ١٩٩٧.

ونقل على الصفحتين (٢٦٢-٢٦٣) النص الذي أوردته نسخة باريس (ولم يرد في نسخة الحسنية بالرباط) وعنوانها في تحفة الخواص (ص٣٩-٤٠) فصل في عمل المسطرة.

وقد أورده في فقرة تحت عنوان (المصادر النصية) وقدم لها بقوله: يودّ عالم المخطوطات لو يقابل إشارات عن هذه القضية الدقيقة في المصادر العربية (يعني طريقة إخراج الصفحة من الكتاب المخطوط) قال: وفي الوقت الحاضر، مع أن وفرة الأدب المتعلق بالخط وفي نطاق أقل بالتصوير، يوجد نص واحد يقدم لنا عناصر الإجابة،نعني بذلك وصفة إخراج الصفحة التي نقلها (هكذا) لنا القللوسي، وهو أديب أندلسي عاش في النصف الثاني للقرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وأشارت إلى هذا النص وترجمته إيفيت سوفون Yvette sauvan.

وبيّن نص الكتاب المطبوع «تحفة الخواص» والنص الذي نشر في كتاب المدخل إلى علم المخطوط بالحرف العربي وجوه اختلاف أظنها جميعًا من خطأ المحقق أو سهوه في قراءة النص.

وقال المترجم في الحاشية (١٢٠) على الصفحة ٢٦٢ إنه حصل على صورة ضوئية للنص المشار إليه من السيدة M.G.Guesdom.

وظاهر أن المترجم راجع النص المخطوط وقرأه.

-ومن المراجع التي كانت تنفع المحقق للمقارنة، والاستفادة في صفة بعض المواد المفردة والمركبة في موضوع الحبر والألوان ، كتاب: الدرّ المكنون في الصنائع والفنون ، تأليف المعلم برجس طنوس عون اللبناني، الذي صدر في القسطنطينية عن مطبعة الجوائب ١٣٠١ هجرية. وفي ترجمته في معجم المؤلفين (٣:١٢٠) أنه كان حيّاً سنة ١٨٨٤ (وهي تقابل ١٣٠١) وكان صيدليّاً. وفي آخر الكتاب فقرة تقريظ كتبها المستشرق كرنيليوس فان ديك المتوفى ١٨٩٥ في مدينة بيروت.

(٧)

ملاحظات في تحقيق الكتاب:

يبدو للقارئ أن المحقق الفاضل بذل جهدًا مشكورًا في اختيار الكتاب، وإحضار مخطوطتيه، وفي قراءة النص، والتعليق عليه، وإضافة بعض التعريفات والمصطلحات.

ويظهر أيضاً أنه اجتهد في تقريب الكتاب إلى القارئ بعرضه والتنويه بما فيه، في مقدمته؛ ونقله من المخطوط إلى المطبوع.

على أنني سأقدم ملاحظات ذات جوانب متعددة في قراءة النص، ومقابلة النسختين، وتوضيح بعض المفردات التخصصية والمصطلحات ...

أولًا: في قراءة النص ومقابلته

أثبت المحقق الفاضل في صدر الكتاب صورة الصفحة الأولى من مخطوطة

المكتبة الحسنية بالرباط، والأولى من نسخة المكتبة الوطنية في باريس، وسأنبّه على أشياء من قراءة النص ومقابلته من الصفحتين الاثنتين.

فقرة التحميد والصلاة على النبي الكريم:

في المطبوع : (ص ١٩) « أحق مَن أولى الإنسان حمدًا واستحقَّ واسترقَّ بجلالهِ عمدًا مَنْ عَلّمه ما لم يكنْ يَعلم، وفَهّمه بنورِ حِكمته ما لم يكنْ يَفهم ، فحمدَ نعمةَ التّعليم، وشكرَ حكمةَ التّفهيم لله الذي عَلّم وفَهّم، وأنقذَ من شِرك الشِّرك وعلّم.

وصلى الله على خاتم الأنبياء، وخِيْرَة أهل الأرض والسّماء، محمّد نبيه وعبده ورسولِ الحقّ الذي جاء من عنده، وعلى آلهِ وحِزبه والكرامِ البَررة صحبِه، وسلم كثيراً.»

قلت: – كلمة (عمدًا) في المطبوع يقابلها (عهدًا) في المخطوطين.

– كلمة (يكن) في عبارة «ما لم يكن يفهم» مقحمة مدرجة من المحقق، وليست في المخطوطين.

– آخر عبارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المخطوطة الحسنية «وعلى آله وحزبه الكرام البررة وصحبه وسلم كثيراً» ولم ينبه المحقق الفاضل على الفرق.

في تسمية الكتاب:

في المطبوع: «وبعد فهذا الكتاب جمعت فيه نشراً أشياء يحتاج لعلمها الكاتب، وحصرت منها أشتاتًا يشانُ بحملها الطالب، وسمّيته بتحف الخواص في طرف الخواصّ. فطابق اسمُه مسمّاه، وأفهم وسْمُه معناه».

قلت: - في المخطوطين: نشر أشياء.

- في نسخة باريس: يحتاج لعملها.
- في نسخة باريس: يشان بحفلها، ولا معنى له.
- في نسخة الحسنية: يشان بجهلها؛ وهو الصواب.
- في نسخة باريس: في ظرف (بالظاء المعجمة)
- في نسخة الحسنية: وأفهم رسمه بمحواه.

في إهداء الكتاب:

في المطبوع: وأعددته لخزنة خاصة خواص الأفاضل ، وخاصة خواص المكارم والفضائل ، ذي الوزارتين الفارع ذروة الشرف المشرّف (بذاته الشريفة) من الكرم بصفاته المنيفة ، من (المعابات) على أعلى الشرف، تسنم منه شرفات ظلال الجلال الملتفع بإيراد خير كرم خلال المولى الأجل ... إلخ.

في نسخة باريس: «... الفارع ذروة الشرف المشرف من الكرم بصفاته المنيفة من المع ... ات على أعلى شرف تسنم منه شرفات ظلال الجلال الملتفع بإيراد خير كرم خلال المَوْلى الأجل ... إلخ.

وفي نسخة الحسنية: الفارع ذروة الشرف، المشرف بذاته الشريفة وصفاته المنيفة من المعلوات على أعلى شرف، المتفيئ وارف ظلال الجلال، المتلفّع بأبراد (جرم؟) كرم الخلال أبي عبد الله. وفي آخر مقدمة المؤلف، في المطبوع (ص١٩) في ذكر اسم الوزير ابن الحكيم والدعاء له:

«... أبي القاسم بن الحكيم، لازال السعد له قسيما، والورى يتلقاه بالوجه القصيم، شمخ بفارق الإعجاب والعجائب، وزهى بتلك الخصيصة على كل كاتب»

وهذه الفقرة غير موجودة في الصفحة الأولى المصورة من النسخة الحسنية، وصواب القراءة كما في المخطوطة: « ... بن الحكيم، لازال السعد له قسيم، والدهر يتلقاه بالوجه القسيم، شمخ بمارن الإعجاب ... إلخ» .

قلت: ١- جاءت كنية الوزير في نسخة باريس كما ترى: (أبو القاسم)؛ وكنيته في المصادر جميعًا: أبو عبد الله. وكان من حق القارئ تبيين المحقق لهذا الفرق.

٢- ترك المؤلف كلمة «قسيم» ساكنة، ولم يُجر الإعراب عليها لتوافق السجع ضرورة.

٣- قوله: والورى، صواب القراءة: والدهر.

٤- الوجه القسيم هو الحسن، وفعله: قَسُمَ.

٥- والمارن من الأنف ما لان منه. قال في الأساس: «قطع مارنَ أنفه: ما لان منه وفضل عن قصبته». وأراد المؤلف الأنف. وفي عبارته كناية.

قلت: إذا أثبتنا هنا سرعة المحقق الفاضل أو تسرعه في قراءة المخطوطتين في بعض الأمور الظاهرة، ووعده الدقة في إثبات الفروق (الجوهرية على الأقل) بين النسختين، فإن هنا مجالًا لأن نقول:

إن هذا الاختلاف بين النسختين من جهة، ووجود فصل إضافي ثبت في نسخة باريس ولم يرد في نسخة المكتبة الحسنية بالرباط من جهة أخرى يدل على أن النسختين المذكورتين من كتاب (تحف الخواص) هما إبرازتان أو إصداران اثنان، أحدهما سابق والآخر لاحق. وقد طوّر المؤلف في بعض فقرات كتابه، وفصوله بما يتناسب مع الرغبة في الاستدراك أو في زيادة المعلومات هنا وهناك مرةً بعد أخرى.

والفصل المضاف هو«فصل في المسطرة» شغل صفحة ونصف الصفحة من ٣٩ و٤٠ من الكتاب المطبوع.

٢) التصحيف والتحريف

إذا قسنا ما في الكتاب من السهو والتصحيف والتحريف على ما رأينا في الصفحة الأولى قدّرنا كثرة ما في الكتاب من ذلك. ويستطيع القارئ أن يتبين بعض ذلك ولو لم تكن المخطوطات بين يديه.

أ– قال المؤلف في صفة مداد مطبوخ (الصفحة ٢١) « ... وينزل ويترك حتى يصعد، ويؤخذ صفوه ويستعمل ويزاد على تَفلِه الماء، ويُطبخ حتى تُرضى حاله وينزل ويترك حتى يصفو، ويؤخذ ويستعمل ويرمى التَّفل»

والصواب: ويترك حتى يصفو، ويزداد على ثُفله الماء ... ويرمى الثُفل.

والثفل بالثاء المثلثة النقط: هو ما يتبقى من المادّة بعد عصرها ؛ ولا مناسبة للكلام مع التفل (بالتاء المثناة)

قلت : يضبط الفعل تُرضى بضم التاء فهو هنا مبني للمجهول والحرف في المطبوع مهمل الضبط.

ب– في الصفحة ٢١: مداد آخر لختيشوع.

وصواب العبارة: لبختيشوع. واشتهر بهذا الاسم اثنان:

بختيشوع الكبير، خدم هارون الرشيد وتميز في أيامه (توفي نحو ١٨٤) وبختيشوع الصغير (الحفيد) اختص بخدمة المقتدر والراضي من الخلفاء العباسيين، وكانت وفاته سنة ٣٢٩ هجرية. وكان أكثر عملها في الطب وما يناسبه.

ج– على الصفحة ٤٦: «قلع طبع قشر الجوز: يقلع بالخل الحاد وإذا غسل به وطبع الرمان يغسل الأبيض بالأحمر والأحمر بالأبيض ويغسل الأحمر أيضاً بأشنان الشب»

قلت: الواو كما يبدو زائدة في قوله «وإذا غسل به»

: عبارة «وطبع الزمان» إلخ رأس مادة جديدة وحقها أن تبدأ من أول السطر تنبيهًا.

: وقوله : «بأشنان الشب» العبارة مشكلة فقد ذكر المحقق في ملحقه الأشنان،وذكر الشب منفردين.

قلت :لعل المراد شبّ العصفر، وهو القلي عند أبي حنيفة الدينوري، وهو قلي الصّبّاغين كما في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤ : ٣١.

هـ- وعلى الصفحة٤٩ «قال بعضهم إذا كان ثوب الكتان به خيوط سود يذر عليها رماد الدفلى ويلث فيه الريحان (فيخثر).

قلت الصواب: ويلتّ (بالتاء المثناة) يقال لتّ كذا بكذا:خلطه ولت السويق خلطه بسمن إلخ..»

و- وعلى الصفحة٤٩ «وقد أطال الناس في محو الكتب من الرقوق. والرق المكتوب ليس كثيراً بأرضنا (يعني الأندلس) لكثرة الرق الجديد ورخصه،ولكن أذكر ما خف ليلا يكون كتبك خاليًا منه»

قلت: الصواب:لئلا يكون كتابك خاليًا منه إلخ.

وبالمناسبة أحيل هنا على فقرة بعنوان: تراجع الرق أمام الورق (في الأندلس)على الصفحة ٣٦٠من كتاب الأندلس في عصر بني عباد.

ز - وعلى الصفحة ٥٠ في صفة مزيل: (فاعمد إلى خل الليم واخل به الموضع فإنه يقلع سواده)

- ولعل صواب القراءة: واطل به الموضع

ح - وعلى الصفحة ٥٠: «وأعده إلى لونه بشيء من الإجالة»

وعلى الصفحة نفسها في موضع آخر«ويعيده للونه بشيء من الأرجلة»

وكأنهما واحد، ولم اهتد إلى حقيقته.

ط - وعلى الصفحة ٥٠: «وصبغ الثياب أهل في قطع الطبع لإعادة الألوان بعد زوالها»

قلت: الصواب ... « أصلٌ » ... وأعاد المؤلف العبارة في موضع آخر وقال:

«وصبغ الثياب أصلٌ في قلع الطبع ...»

ي – وعلى الصفحة ٥٠ في صفحة ما تمحى به الطبوع «...وتمحى أيضاً بطفل العصفر وبماء الساق المطبوخ...»

قلت: الصواب:السّاق؛ وقد ذكره في ملحقه.

ك – في الصفحة ٥١ ذكر مادة «الأرجيفن» مرتين هكذا بالجيم. وذكرها في ملحقه بالخاء: الأرخيفن؛ وقال هو البازاورد.

ل – وفي صفة خضاب يسوّد الشعر (الصفحة ٥٦) عدد من المواد فيها «ثمن دراهم من ملح الطعام» وتحت العبارة نظر .

م – أورد على الصفحة ٥٦ مادة (الكثيرة)، ثم ذكرها في الملحق بصورة الكثيرا. وهي في كتاب ابن البيطار: الكثيراء (٥٦:٤). وأهل الشام الآن ينطقونها كنطق أهل الأندلس: كثيره؛ بكسر الراء.

٣) تجافى المحقق الفاضل عن المعجم العربي ، ولم يستفد من معجم دوزي الذي يحل له بعض مشكلات المفردات المستغلقة، والتي لم تثبت في المعاجم المشهورة.

– من ذلك عدم التعليق على كلمة (طبع)، وجمعها طبوع.

وقد ذكرها دوزي (١٦:٧ من الترجمة العربية) قال: «طبع: لطخة، وجمعها طبوع. وفي ابن البيطار ٥٤٥:٢ نقلًا عن الإدريسي: وهو يقلع الآثار والطبوع السود عن الثياب البيض ويزيلها».

–وشرح دوزي كلمة (الأكحل) التي ترد في كتاب تحفة الخواص كثيرًا. وما تزال الكلمة تدل على معنى الأسود في بلاد المغرب العربي (انظر دوزي(٩ :٤٠– ٤٢)

– وردت كلمة «الضابط» في الفصل الذي انفردت به نسخة باريس في عمل المسطرة، أكثر من مرة. ولم يقف المحقق الفاضل عندها. وهي في اصطلاح

الأندلسيين البركار (ويقال فيه الفرجار، وعند عامة أهل الشام اليوم: البيكار في عامية مصر : البَرْجَل) والكلمة في معجم دوزي (٤٩٩:٦)

– وفي صفة الزنجفور (الصفحة٥٩) « ... يستعمل له بنانيس مزججة الدواخل زجاج قويًّا ...»

قلت: ذكر الكلمة دوزي في معجمه (٤٥٢:١) قال بنّيس ويجمع على بنانيس: وعاء، إناء.

– وبالمناسبة كلمة زجاج حقها النصب: زجاجاً ، وما أدري أهي من خطأ الناسخ أم من سهو المحقق.

ثم أقول:

٤) يلاحظ القارئ كثرة الأخطاء اللغوية في الكتاب، على الوجه الذي وصل إلينا مطبوعًا. وناسخ الباريسية في تقديري أضعف من ناسخ الحسنية.

ومن حق القارئ أن يتنبّه المحقق إلى هذا الأمر ويثبته في مقدمته؛ فإن المؤلف من المتمكنين في النحو واللغة، ولا يمكن أن يقع في الأخطاء الكثيرة، الكبيرة التي ظهرت في المطبوع.

وكان المؤلف من المتعصبين لسيبويه، ويحفظ قدراً كبيراً من كتابه المشهور. وكان إلى ذلك شاعرًا ننقل من شعره شيئًا من مقدمة قصيدة مدحية، ذكر فيها الطبيعة الأندلسية على طريقة ابن خفاجة، ومدرسته الفنية. **قال:**

والأرضُ قد لبست برودَ أزاهرٍ وتمنطقت من نهرها بوشاح

والجوّ إذ يبكي بدمعِ غمامة ضحك الربيعُ له بثغر أقاحِ

والروضُ مرقومٌ بوشي أزاهرٍ والطير يُفصِحُ أيّما إفصاحِ

والغصنُ من طربٍ يميل كأنما سقيت بكفّ الريح كأس الراح
والورد منتظمٌ على أغصانهِ يبدو فتحسبه خدود ملاحِ
وكأنّ عَرفَ الريح من زهر الربا عرفُ امتداح القائد «الرنداحي»

(٨)

وفي الختام لا بد من التنبيه حيث يلزم في المؤسسات الرسمية التي تُعنى بالتراث ونشره، وفي الجامعات والمعاهد والكليات، وفي المؤسسات الأهلية ذات الصلة أن تُعْرضَ الكتب العلمية وما هو منها بسبب على خبير في موضوع المخطوطة : ليكون من وراء ذلك:

– صحة تقديم النص إلى القارئ صحيحاً أو أقرب ما يكون إلى الصحة؛

– التعليق على ما يحس، أو يجبن التعليق عليه بما يناسب الموضوع؛

– الربط بين المصطلحات والمفردات التراثية ومثيلاتها أو مشابهاتها في العصر الحديث.

– صنع معجم مصطلحي مع كتاب علميّ يكون مفيدًا للقارئ توضيحاً وتبيينًا، ويكون بين يدي المترجمين وواضعي المعجمات المعاصرة.

المصادر والمراجع

١ – الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب– تحقيق محمد عبد الله عنان – نشر الخانجي – القاهرة – ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

٢ – الأعلام – خير الدين الزركلي– دار العلم للملايين–بيروت.

٣– الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام– العباس بن إبراهيم، تحقيق عبد الوهاب بن منصور– المطبعة الملكية بالرباط ١٩٧٦م .

٤ – الأندلس في عصر بني عباد – الدكتور أحمد الطاهري – دار إشبيلية – دمشق ٢٠٠٩ .

٥ – إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – إسماعيل باشا

البغدادي – نسخة مكتبة المثنى بغداد.
٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
٧- تكملة المعاجم العربية – رينهارت دوزي – نقله إلى العربية وعلق عليه د.محمد سليم النعيمي – وزارة الثقافة والفنون بغداد.
٨- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية – ابن البيطار المالقي الأندلسي- نشرة قاسم الرجب.
٩- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس- أحمد بن القاضي المكناسي – دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط – ١٩٧٣.
١٠- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة – ابن حجر العسقلاني – حققه محمد سيد جاد الحق – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨٥ – ١٩٦٦.
١١- الدرّ المكنون في الصنائع والفنون - تأليف المعلّم طنوس عون اللبناني – نسخة مأخوذة عن طبعة الجوائب في القسطنطينية ١٣٠١ هـ ، دار الأندلس (بيروت) بلا تاريخ.
١٢- درة الحجال في أسماء الرجال – لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي – حققه محمد الأحمدي أبو النور- دار التراث بالقاهرة ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م.
١٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب - لابن فرحون المالكي – تحقيق محمد الأحمدي أبو النور – مكتبة دار التراث – القاهرة – دون تاريخ.
١٤- الروض المعطار في خبر الأقطار – لمحمد بن عبد المنعم الحميري- حققه د.إحسان عباس- مكتبة لبنان – بيروت١٩٧٥.
١٥- اللباب في تهذيب الأنساب – ابن الأثير – عني بنشره حسام الدين القدسي- القاهرة ١٣٥٦هـ
١٦- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) نشر وتحقيق د. أحمد مختار العبّادي – مطبعة جامعة الإسكندرية – ١٩٥٨.
١٧- معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي- بلا تاريخ.
١٨- هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين – إسماعيل باشا البغدادي – نشره مكتبة المثنى – بيروت ١٩٥٥.

نظرات نقدية في كتاب (الوَرَقَة)
لابن الجرَّاخ (ت ٢٩٦ هـ)

د. عباس هاني الچرَّاخ (*)

يُعدُّ كتاب (الورقة في أخبار الشعراء المحدثين) لِمحمَّد بن داوود بن الجرَّاح[١] من الأصول المهمّة لتراجم شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وقد سمَّاهُ (الوَرَقَة)، «لأنهُ في أخبارِ الشُّعَرَاء ، ولا يزيد في خبرِ الشاعرِ الواحدِ على ورقةٍ»[٢]، وقد حاول فيه أنْ يترجمَ لشعراء العصر العبّاسي فقط، وَمنهم مَنْ عاصرهم ، وعمدَ إلى الاستشهاد بشيءٍ من شعرهم ، ولمْ يُطِلْ في الاستشهاد، لأنه بنَى كتابَهُ على الاقتصار والابتسار، كي لا يتجاوز ورقة واحدة، وإنْ كُنَّا نرى أنَّه لم يتقيَّد بهذا تمامًا في بعض التراجم التي طالتْ بعض الشَّيْءِ.

وابن الجرَّاح كان يستطردُ عند ورود اسمٍ ما في أثناء الترجمة ، إذْ نَراهُ يترجم لشخصٍ ما ترجمةً عارضةً ، ثم يعود الى الترجمة الأصليّة .

وهناك مصادر شفويّة أسندها إلى أصحابها بلفْظ: «أَنشَدَنِي» و«حَدَّثَنِي»، وكان

(*) باحث في الأدب والتراث من العراق.

(١) تَرجَمَتُهُ في : الفهرست ١٤٢، صلة تاريخ الطبري ٣١- ٣٣، تأريخ مَدِينة السَّلام بغداد ٣/ ١٥٦ – ١٥٨، الدرّ الثمين في أسماء المصنِّفين ٢١٢ – ٢١٣، الوافي بالوفيات ٣/ ٦١، فوات الوفيات ٣/ ٣٥٣ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥ ، الأعلام ٦/ ١٢٠.

(٢) الدرّ الثمين في أسماء المصنِّفين ٢١٣، الوافي بالوفيات ٣/ ٦٢، فوات الوفيات ٣/ ٣٥.

أهم من نقل عنهم: أبو العيناء ،وإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، ومحمد بن الجهم صاحب الفرّاء، وابن الرومي، والمبرّد ، وأحمد بن أبي خيثمة، وأحمد بن شداد، وإبراهيم بن سعيد، وأحمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن خلف، وأبو حنيفة ، وأحمد بن أبي طاهر طيفور، وسوّار بن أبي شراعة، وعبيد الله بن سليمان ،وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، وعبد الله بن محمد اليزيدي، وإسماعيل بن محمد النوفلي، وإسماعيل بن يونس الشيعي، ومحمد بن أبي مسهر، والمرثدي ، وأحمد بن سعيد، وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، والحسن بن مخلد، ومحمد بن سعد الكراني ، ومحمد بن الحجاج ...

والكتابُ، بعدُ، مصدرٌ مهمٌ اعتمدَ عليهِ مَنْ أتَى بعده، سواءٌ نصًّا أو تصرُّفًا، وبِذكرِهِ وصاحبه ، أو من دون ذلك !

النشرة السابقة :

مخطوطةُ كتاب «الوَرَقَة» وصفها المرحوم عزّ الدين التنّوخي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ١٥، كما وصفها د. عبد الوهاب عزَّام في مجلة «الكتاب» القاهريّة ١٩٤٥م ، وذكرَ أنَّهَا نسخة خطيّة قدَّمها له الشاعر العراقي أحمد الصافي النجفيّ، منسوخة سنة ١٣٤٥هـ، عن نسخةٍ فريدةٍ في خزانة العلاّمة المحقق صدر الأفاضل في طهران .

نَسَخَ د. عزّام الكتاب، وعلَّقَ عليه تعليقات قصيرة، وقدَّمه إلى دار المعارف، لِينشر ضمن سلسلة «ذخائر العرب» ، ولكن تأَخَّرَ نشره لِصِغره.

ثم التقى بالأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج ، الذي أخذ النسخة المحقَّقة وزادَ عليها تصحيحًا ومقابلةً وتعليقًا، وَقَرَنَ نُصوصَ الكِتابِ بِنظائِرِهَا في كتب أخرى ، وصنعَ الكشافات الخاصّة به ، ولكن المخطوطة لمْ تَكُنْ بينَ يَديهِ .

وصدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٥٣م، ثم ظهرتِ الطبعةُ الثانيةُ سنة

١٩٨٦م ، ووقعَتْ في ١٧٠ صحيفة، وقد زاد فرّاج تعليقاتٍ هنا وهناك ، وألْحَقَ بالكتابِ «زيادات» ضمّتْ ستة نصوص خَلت منها النسخة الخطية، وصدرتْ بعدها طبعة ثالثة سنة ١٩٩١م ، هي صورة للثانية.

لقد احتوى الكتابُ المطبوعُ ثمانيَ وخمسين ترجمة فقط، وليستْ فيه مقدمةٌ تُبيِّنُ سببَ تأليفه له أو خاتمة تختمهُ ، وهذا يعني أنَّ نصوصًا منه – لا يُعلمُ مقدارها – ساقطة منهُ، وممَّا يُعزّز هذا أنَّ المرحومَ عزَّام أشارَ في مقدمتهِ – ص١٢ – إلى نَصّين لم يردا فيهِ، وأثبتَ المرحوم فرّاج ستة أعلام، أربعة منهم لم يذكرهم عزام.

حفلت النشرة السابقة بطبعاتها الثلاث بأوهام وفوات في ضبط النصوص، وزيادات مخلَّة عليها ، وإثبات الألفاظ على غير حقيقتها ، وغير ذلك :

أولاً : الخلل في الوزن:

١ – ص ٣ :

خزيمَـةُ خـيرُ بنِـي خـازمِ **وخـــازمُ** خـــيرُ بنـــي دارمِ

٢ – ص ٩ :

وَمُحْتَفِـلٍ أهْـدَى لَنَـا **سِـكْبَاجَةً** تَظَـرَّف لَّـا زَهَّـا مِـنْ غِذَائِـهِ

والصواب : (سِكِبَاجة) ، بكسر الكاف ليستقيم الوزن.

٣– ص ١٧ :

احْفَـظْ لـسانَك إنَّ اللـسانَ حَـريصٌ عـلى المَـرْء في قَتْلِـهِ

والصدر مختل ، لسقوط (أَلاَ) من أوَّلِهِ،والصواب : ألا احْفَظْ.[٣]

٤– ص ١٢٧ :

قد قلتُ حيْنَ هَجَرْتَ غيرَ مُسَدَّدٍ **وَحَلْـتُ** مِـنْ سَـبَبِ الهَـلاكِ بِمَـوْرِدِ

(٣) البيت من المتقارب، ومجيء فعولن الأولى على فَعْلن ذكره العروضيون وسمَّوه الأثرم. (المجلة).

وصواب العجز : «وحَلَلْتَ» ، ليستقيم الوزن والمعنَى[٤] وهكذا جاءت.

٥- ص ١٠٧ جاء لأبي النجم العجليّ:

[يمـرُّ بـينَ الغانيـات الجُهـلِ] كَالـصقْرِ يَجْفُـو عـنْ طِـرَادِ الـدُّخَّلِ

قلتُ: هذا ليس بيتًا واحدًا ، لأنَّ مشطور الرجز بيتٌ مستقلٌ بنفسِهِ[٥]، فهما مشطوران (بيتان) ، مع مُلاحظة أنَّ المشطور الأوَّل لمْ يثبتهُ ابن الجرّاح أصلاً .

والأمر نفسه في الصحيفة ١٠٥ ، إذْ ورد لعبّاد المخرِّق :

نِعْـمَ الفَتَـى مُقْتَـبِلاً وكَهْـلاَ يَعْلُـوْكَ أحيانًـا **وَحـيْن** يُعـلَى

فالصحيح أنْ يوضع الثاني تحت الأوَّل، ثم إنّ (حين) في الثاني خطأ، صوابه (حينًا)، فيكون صواب إثبات المشطورين:

نِعْـمَ الفَتَـى مُقْتَـبلاً وكَهْـلاَ

يَعْلُـوْكَ أحيانًـا، وَحِيْنًـا يُعـلَى[٦]

ثانيًا : التحريف وإيراد الروايات غير الصحيحة من ذلكَ :

١- ص ١٤ ورد : «حَضَرَ مُحَمَّدُ بنُ عبد الملك الفقعسِيّ دارًا فيها وليمةٌ، وحضرها ابنُ أبي **صَبِيح** الأعرابي، وكان بدويًّا نَزَلَ بغدادَ وماتَ بها، وكان شاعرًا مُجيدًا ، فازدحَمَا عَلَى بَابِ الدَّارِ، فَغَلَبَ ابْنُ أَبِي **صبيح**، ودخلَ قبل محمَّدٍ، فقَالَ ابن أبي **صبيح** ....» .

(٤) جاءت (وحللتُ) صحيحة في الطبعة المذكورة (المجلة).

(٥) وكذلك الحال في ترجمة أبي فرعون السَّاسيّ ٥٦ – ٥٨، فقد ورد شطرا الرجز على أنهما بيت واحد ، وحين جمعنا وحقّقنا شعره لم نفعل هذا، بل جعلنا كلّ مشطور من الرجز بيتًا مستقلاً بنفسه ، يُنظر : شعر أبي فرعون السَّاسي، جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ ، مجلة الذخائر، العدد المزدوج ٢١- ٢٢ ، ٢٠٠٥م .

(٦) كتابة مشطور الرجز على شكل الشعر أمر متعارف، وليس هناك ما يوجب كتابة كلّ مشطور في سطر. وترقيم الأبيات يحلّ هذا الالتباس «المجلة».

قلتُ: الصواب في المواضع الثلاثة : ابْنُ أَبِي صُبْحٍ[٧] .

نعم، رجع المرحوم فرّاج إلى «الفهرست»، لكنّه لم يثبت الصحيح في المتن كما فعل في كثير من المرّات ، وأنَا أعزو الخطأ إلى ناسخ (الورقة) المتأخر، مع العلم أنَّ صاحب «الفهرست» ينقل عن ابن الجراح .

٢- ص ٤١ في ترجمة زرزر الرفَّاء ، ورد البيت:

وَخَرْنُـــوْبٌ بِـــلا **نُـــوْن** مُحَـــشَّى كِـــرَشَ الـــشَّاءِ

قلتُ : (نون) هنا تصحيف ، والصواب (نوب) ، ليتم المعنَى .

٣- ص ٤٣ :

مـــا تـــأمرين لِـــصَبٍّ **يَكْفِيْـــكِ مِنْـــهُ** قُطَـــيْرَهْ

قلتُ : العجز خطأ ، وصّواب البيت[٨]:

مـــا تـــأمرين لِـــصَبٍّ يَكْفِيْـــهِ مِنْـــكِ قُطَـــيْرَهْ

٤- ص ٦٤، في ترجمة أبي الخَطَّاب البهدلي، ورد المشطور الثالث:

يَعْلفـهُ **الكـشيح** والـسّفُوفَا

قلت: (الكشيح) خطأ ، الصّواب : الكُسْتُجَ ، وهي: الحزمة من الليف .

٥- ص ٩٨ - ٩٩ : «المخيم الراسبي»

قلت : (المخيّم) خطأ ، وورد أيضًا هكذا في كتابَي الثعالبيّ: لباب الآداب ٢/ ٧٩، غرر البلاغة ١١٣.

---

(٧) هو: عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني. الفهرست ٥٥. وفي جمهرة نسب قريش وأخبارها أكثر من قصيدة له .

(٨) يُنظر: المحاسن والأضداد ١٣١ ، الإماء الشواعر ٣٦ ؛ كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ١٣٩ ، بدائع البدائه ٤١ ؛ المذاكرة في ألقاب الشُّعَرَاء ٢٣٨ .

وفي : الأنس والعرس ٢١٠ «المختم الراسي»، خطأ، وعلّقت المحقّقةُ : «لم أعثر له على ترجمة»! وجاء في : الموازنة ١/ ٣٢٣ «المجثم»!

وهذا كلّه خطأ ، والصّواب: المختَّم .(٩)

٦- ص١٠٠ : أربعة أبيات رائية « **ابن عنبسة**» ورد الثاني هكذا :

مـا **كُنـتُ** إلاَّ كَلَحْـمِ مَيْـتٍ دَعـــا إلى أكلـــهِ اضـــطرارُ

أقول: أ- (ابن عَنْبَسَة) خطأ ، والصواب (أبو عُيَيْنَة).

ب- صواب صدر البيت: (ما كنتَ)(١٠) مخاطبًا محمد بن يحيى.

ج- الأبياتُ ضمن قصيدة في سبعة عشر بيتًا نُسِبَتْ إلى: عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَة في : مجموع شعرهِ في: أشعار آل أبي أُميّة، بتحقيق د. عبد المجيد الإسداوي ٢٠٨ – ٢٠٩ ، ونُسب البيت الثاني – المشار إليه - إلى : عبد الله بن محمد المهلبيّ في : الوساطة ٢٢٠ ، وإلى : (المهلبيّ) في : التبيان في شرح الديوان ٢/ ٨٢١، فظنّ المرحوم د. يونس السامرائيّ أنه: يزيد المهلبيّ، فَوَضَعَهُ في مجموع شعره في مجلَّة المجمع العلمي العراقي، ج١-٢، ١٩٨١م ، ص٥٧٠ ، ثم أعادهُ في كتابه : شعراء عباسيون ١/ ٢٦٧، وهي نسبةٌ غير صحيحة كما ترى .

د- ليس غريبًا – بعد هذا – ألاّ ينتبه المرحوم فرَّاج إلى أنَّ هذا البيت ورد نثرًا في : مُعجم الشُّعَرَاء ص ٣٢٠- بتحقيقهِ ، ولكنْ بصورةٍ مشوهةٍ جدًّا، ألغتهُ تمامًا ، هكذا : «يريد: قواعد.. بن يحيى بن خالد. فإن كنت دعيًا إلى ذا اضطرار».

وصوابُ العبارة : «يريد قوله في محمد بن يحيى بن خالد :

مـا كُنـتَ إلاَّ كَلَحْـمِ مَيْـتٍ دَعـــا إلى أكلـــهِ اضـــطرارُ

(٩) أشار المحققان إلى هذا الاسم «المختَّم» نقلاً عن الجهشياري. (المجلة).

(١٠) وهكذا ورد على الصحة. (المجلة).

وقد أعدنا البيتَ إلى حقيقته ، عند تحقيقنا الكتاب في بيروت [١١].

٧- ص ١٣٢ ، في ترجمة أحمد بن سيف الأنباري ورد ما يأتي :

قـدْ بـانَ منهـا كُـلُّ شيءٍ حَسَنٍ إلاَّ الغنـــاءَ **قَـــضبُهُ** وَرَمَلُـــهْ

فَهْـيَ كَـمَا أَرْسَـلَ حَـيٌّ مَـثَلاً مـا لَـكَ مِـنْ **شَـجنِكَ** إلاَّ عَمَلُـهْ

قلتُ: صوابُ عجز الأول: «نصبُهُ». والنصب: نوع من الغناء، وكذلك الرمَل.

وصواب عجز الثاني : «ما لك مِن شيخِكَ».

ثالثًا : الخطأ في الضَّبط:

١- ص ٦٣ :

لـو يُبـتلَى بـدرُ الـسَّماءِ بلحْيَـةٍ لاسْـوَدَّ حتـى لا **يُـضِيءُ** لِـسَارِي

والصواب : (يُضِيءَ) ، لأنّه منصوب بحتَّى .

٢- ص ٩٦ :

فيـا **يَمَـنُ الكُـمَاةُ** ثِبُـوا فـأَطْفوا مقـالَ العَـارِ واطَّلِبُـوا الـدُّيُونا

والصواب : «فيا يَمَنَ الكُمَاةِ».

٣- ص ١٣٤ :

وخَـوّلْتَنِي أَشْـقَرًا أعجَفًـا فأَدْمَيْـتُ أَرْسَـاغَهُ **بالسَّلامِ**

قلتُ : «السَّلام»، بفتح السين خطأ، والصواب بكسرها. والسِّلام: سَلِبُ العيدان طولاً شبه القُضْبانِ وليس له خشب وإن عظُم، وله شوك دُقاقٌ طُوالٌ حادّ ، ويُجمع على : سَلَم. وهناك أمثلة أُخرى صددنا عن ذِكرها ، نحسبها من آثار الطباعة.

رابعًا : الزيادات غير الصحيحة:

زاد المحققان ألفاظًا وعبارات على أصل النص داخل حاصرتين، وقد تبيَّن

(١١) معجم الشّعراء ١/ ٣٩٠ (بتحقيقنا).

لنا أنها غير صحيحة ومخلّة بالمُرَاد .

١ – ص ٣٥ في ترجمة رزين بن زندورد العروضي: «وأنشد [له] دِعبِل:

أَ خُزاعَ ! إنْ ذُكِرَ الفَخَارُ فَأمْسِكُوا وَضَعُوا أَكُفَّكُمُ عَلَى الأفواهِ

لا تَفْخَرُوا بِسِوَى اللِّواطِ ، فإنَّمَا عِنْدَ المَفَاخِرِ فَخْرُكُمْ بِسِتَاهِ »

وزيادة [له] خطأ، لأنَّ البيتين ثابتان لدِعبِل الخزاعي في: بغية الطلب، قَالَهما في هجاء عيسى الأشعري، وهما مع ثالث في: الوافي بالوفيات ١٤/ ١٦، وفي: شعرهِ ٣٢٢ - المنسوب .

٢ – ص ١٣٢ في ترجمة أبي الجهم أحمد بن سيف ورد : «[ومن قوله] :

وإِنَّا لنُصبح أسْيافنا إذا ما اصْطبحْنَ بيومِ سفوكْ

مَنَابرهُنَّ متون الأكفّ وأغمادُهُنَّ رؤوْسُ الملوكْ

يقول د. عباس الجراخ :

مِن المؤسف أنّ المحققَين تدخَّلا في النَّصِّ فأثبتا عبارة : [ومن قوله] داخل عضادتين، ولم يُشيرا إلى هذا، ونعلمُ يقينًا أنَّ العبارةَ ليستْ صحيحةً على الإطلاق، فهذان البيتان ليسا لأبي الجهم من قريب أو بعيد، بل هما لصاحب الزّنج؛ عليّ بن محمد الورزنينيّ، وقد رَجعَ المحققان في تخريجِهما له إلى مصدرين هما : ذيل زهر الآداب وشرح نهج البلاغة .

وأضيفُ إلى ذلك: أشعار صاحب الزنج – مجَلَّة المَورِد، ١٩٧٤م، ص١٧١، مجموعة المعاني ٣٨، و: شعر صاحب الزنج ، بتحقيقنا (المنسوب).

ونُسب البيتان إلى: عليّ بن محمد الحِمَّانِيّ في: ديوان المعاني ٢/ ٥٠، نهاية الأرب ٦/ ١٩٣، وفي: ديوان الحماني العلوي الكوفيّ، تحقيق محمد حسين

الأعرجي ، مجلّة المَورِد ٢: ١٩٧٤م[١٢]، جمع وتحقيق مزهر السوداني ، مجلّة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ع ٩: ١٩٧٤م.

لقد أطلتُ في هذا لأُؤكِّدَ أنَّ المحقِّقَين نهَجَا نَهْجًا مَخْطوءًا فيه، يتمثَّل في إيراد ما لا علاقةَ له بالنص، فنَسبَا لأبي الجهم بيتين ليسا لهُ،[١٣] ولعلَّ عددًا من الباحثين يعتمدون على نشرتِهما هذه فيظنون أنَّ ما أورداه هو الصحيح، وهو ليسَ كذلك بتاتًا.

خامسًا : التعليقات :

١- ص٤٠ - ٤١ وردت قصيدة في سبعة أبيات، الستة الأُولى قافيتها مرفوعة ، في حين أنَّ البيت الأخير جاءَ مَجرُورًا :

وَلكنَّـــــكَ حَـــــا لامٌ وقـــافٌ بعـــدها يـــاءِ

وجاء تعليق في الهامش: «كذا في الأصل مع أن القافية مجرورة ففيه إقواء».

قلت: نعم، ويجوز أَنْ تكون القافية ساكنة في القصيدة كلّها، فلا يُوجد إقواء.

٢- ص ٧٨، وردت ترجمة عمرو بن مُسلم الرياحي السلمي مخرومة، إذْ جاء النص فيه : «فقلتُ : أَنا القائل ذا ، ووالله لئن احتملت». وورد في الهامش تعليق: «هنا تبقى عبارة الأصل ناقصة. ويبدو أن النقص في الأصل نفسه».

قلتُ: لقد عثرت على تتمّة الخبر في كتاب ابن الجراح الآخر: مَن اسمُهُ عَمْرو من الشُّعَرَاء[١٤] ، وهو فيهِ ص ١٩٩ – ٢٠٠. والنصّ كاملاً هو:

---

(١٢) طُبِعَ ثانية في بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٨م ، والبيتان فيه – مع ثالث – ص ١٢٩.

(١٣) نبَّه المحققان في تعليقهما أن البيتين نُسبا لصاحب الزنج. (المجلة).

(١٤) تمَّ تحقيق الكتاب على النحو الآتي: أ – د. عبد العزيز المانع ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ب – المرحوم د. محسن غياض ود. مصطفى عبد اللطيف ، بغداد ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م . وكنا قد عقدنا دراسةً موازنةً بين النشرتين؛ يُنظر: «مَن اسمُهُ عَمْرو من الشُّعَرَاء لابن الجراح (ت ٢٩٦هـ) بين نشرتين» مجلّة (العرب) ج١-٢، وج ٣- ٤، س ٣٦،=

فقلتُ : أنَا القَائِلُ ذَا، وَوَاللهِ لَئِنِ احْتَملتُ [رحلي حتّى أصيّرَ هذه الحرَّةَ بيني وبينك ليأتينكَ معنَى ما قَالَ زهير :[البسيط][١٥]

لَئِنْ حَلَلْتُ بجوٍّ في بني أسدِ في دين عمرٍو وحَالتْ بيننا فَدَكُ

لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنْطِقٌ قَذِعٌ بَاقٍ كَمَا دَنَّسَ القِبْطِيّةَ الوَدَكُ

قَالَ : فقَالَ : «اُدْنُ ، لا حياكَ الله»، فأوسعَ لِي إلَى جَنْبِهِ ، وأوقَرَ لِي رواحِلِي تَمْرًا[١٦].

٣- ص ٨٠، في ترجمة ميمون الحضري علَّق المحققُ في الهامش: «في معجم الشُّعَرَاء... وفي حاشية الأصل: أنشد الهجري لميمون بن عامر القشيري صاحب خيرة في نوادره شعرًا....».

أقولُ : الذي أنشده الهجريُّ هو في كتابِهِ (التعليقات والنوادر) ٢/ ٨٧٩، والشّاعر الذي ذكره لا علاقة له - أصلاً - بالذي أوردَهُ ابنُ الجراح.

إنّ كاتبَ هذه الحاشية على أصل (مُعجم الشُّعَرَاء) هو الحافظ مغلطاي بن قليج (ت ٧٦٢هـ) ، وهو قد استدركَ على المَرزبانيّ شُعراءَ لم يَذكرهُم[١٧]، ومنهم: ميمون بن عامر القشيري الذي نقل من كتاب الهَجَرِيّ ، لِذَا مَا كَانَ يَصحّ إِيْراد الحاشية هذه على أنها لميمون الحضري[١٨] .

=١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، وأعَدْتُها في كتابنا : في نقد التحقيق ، ٢٠٠٢م، ص ٣٩-٥٧. وللدكتور عزّة حسن نظرات على نشرةِ د. المانع ، نُشِرَتْ في مجَلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٨٠، ج٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(١٥) ديوان زهير بن أبي سُلمى ١٨٣.

(١٦) بعد هذا الخبر ورد خبران آخران في : من اسمه عمرو من الشعراء ، لا ندري هل أثبتهما ابنُ الجراح في« الوَرَقَة » أم اكتفَى بالخبر الأول ؟

(١٧) لهُ كتاب (إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال): مغلطاي بن قليج (ت ٧٢٦هـ)، مخطوط.

(١٨) ميمون بن مالك الحضري المحاربيّ، له ترجمةٌ مخرومةٌ في : مُعجم الشُّعَرَاء ١/ ٣٩٦، وفيه «الخضري»، وله شعر في : جمهرة نسب قريش وأخبارها ١ / ١٦٧ – ١٦٨ .

وفي الوقت نفسه يظل الكتاب يحن إلى تعليقات توضّح بعض ما في نصوصه من أعلام وإشارات ، لم نرّ المحقّقين يلتفتان إليها ، من ذلك :

١– ورد في صفحات كثيرة اسم (دِعبِل) ، وفي صفحات أخرى اسم (أبو هفَّان) ، ولم يعلِّق المحقق– أو المحقِّقان – عليهما بشيء .

قلتُ: إنَّ ابن الجرَّاح ينقل من كتابيهما ، فالأوَّل : كتاب (طبقات الشُّعَرَاء) لدِعبِل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) ، وهو مفقود اليوم، وقد نشر المرحوم د. محمد جبار المعيبد ما وصل إليه علمهُ من مظانّ مختلفة ، بتحقيق علميّ.

وأخلّ عمله هذا بشعراء آخرين عثرنا عليهم ، في نصوص موثَّقة .

والآخر : كتاب (الأربعة في أخبار الشُّعَرَاء)، لأبي هفَّان عبد الله بن أحمد المهزمي (ت ٢٥٧هـ) ، وهو مفقودٌ أيضًا ، وقد جمع هلال ناجي ما تلقّطهُ من نصوص هذا الكتاب[١٩]، من دون أي تحقيق أو تعليق، وبعضها ليس من الكتاب، وفاتَتْهُ نصوصٌ أخرى.

٢– ص ١٠٨ «حدثني أبو قدامة»، ولم نجد تعليقًا أو ترجمة له .

قلتُ: هو أبو القاسم جعفر بن قُدَامَة بن زياد الكاتب[٢٠]، أديب وإخباري، له كتاب عن الشعراء والجواري تلقّطنا أخباره من المظان المختلفة، فضلاً عن أشعار ومرويَّات بسندهِ، وقد جمعنا كلّ هذا وحقّقناهُ في كتاب خاص صنّفناه عنه، وصدر في عمّان. فضلاً عن أعلام آخرين تركُوا هَمْلاً .

سادسًا : ضعف تخريج النصوص

مع الجهد الذي بذله المرحوم فرّاج في تخريج النصوص فإنه ترك كثيرًا من النصوص ولم يُثبت نِسبةَ كثير منها الى أصحابها ، وأنا لا أستطيع هنا في هذه

(١٩) مجلَّة (المورد) ، مج ٨، العدد الثالث ، ١٩٧٩م ، ص١٩١–٢٥٠ .

(٢٠) ترجمته في : تاريخ بغداد ٧/ ٢٠٥ ، معجم الأدباء ٢/ ٧٨٨ – ٧٩٠ ، الوافي بالوفيات ١١/ ١٢٤ ، فوات الوفيات ٢/ ٢٨٩–٢٩٠ ، معجم المؤلفين ٣/ ١٤٢، الأعلام ٢/ ١٢٦.

العجالة أنْ أُورد ما فاته ، وهو كثير ، وأكتفي بمثال واحد فقط، هو ما ورد على الصحيفة ٣٥ : ثلاثة أبيات لرزين العروضيّ :

تِهْتُمْ عَلَيْنَا بِأَنَّ الذِّئْبَ كَلَّمَكُمْ نَعَمْ ، لَعَمْرِي أَبُوْكُمْ كَلَّمَ الذِّيْبَا
فَكَيْفَ لَوْ كَلَّمَ اللَّيْثَ الهَصُوْرَ؟، إذن تَرَكْتُمُ النَّاسَ مَأكولاً ومَشْرُوْبَا
هَذَا السنيديُّ ما سَاوَى إِتَاوَتَهُ يُكَلِّمُ الفِيْلَ تَصْعِيْدًا وَتَصْوِيْبَا

ورجع في تخريجها الى «طبقات ابن المعتز» فقط .

قلت: هي له في : الحيوان ٧ / ٢١٧ ، الوزراء والكتّاب ١٩٣ - ١٩٤، الأنس والعرس ٢٦٣، معجم الأدباء ٣/ ١٣٠٥، الوافي بالوفيات ١٤/ ١١٦ - ١١٧. والثاني والثالث في : ثمار القلوب ٣٠٩ .

وهي في: شعر دِعبِل الخزاعي ٢٣٨ – ٢٣٩ (المنسوب وليس له) .

وهي في : شعر أبي سعد المخزومي ٢٤، وتقع في سبعة أبيات .

وهي لمحمد بن وهيب الحميري ؛ في : شعراء عباسيون ١/ ٦٠ - ٦١ .

ورواية الأوّل في: الوافي بالوفيات، شعر أبي سعد المخزومي: «إنْ كنتَ تحجبنَا بالذِّئبِ مزدهيًا» .وفي: معجم الأدباء، الأنس والعرس: «تحجبني».

ورواية الثالث في : الحيوان : «هذا السنيديّ لا أصلٌ ولا طَرَفٌ». وفي: شعر أبي سعد المخزومي ،شعراء عباسيون : «السنيديُّ لا تخفَى دمامتُهُ». وفي: الأنس والعرس: «لا تُخشى معرّتُهُ». وفي: الوزراء والكتّاب: «هذا السُّويديُّ ما يسوى إتاوته»، ثُمَّ قَالَ: «ويُروَى: هذا السُّيَيْدِيُّ ما تخشَى معرَّته»، وفي: الوافي بالوفيات: «لا تسوى إثاوتهُ»؛ تصحيف .

سابعًا :الفهارس :

تم صنع فهارس متنوعة للكتاب ، كانت مفاتيح مهمَّة له. ويلاحظ على فهرس القوافي عدم إثبات اسم الشاعر أو عدد الأبيات، ثم إنّ الترتيب داخل

كل حرف مضطربٌ في إيراد الحركات ، ونظرة واحدة إلى حرف الباء توضّح الخطأ في تقديم المضموم ثم المفتوح ثم المكسور ثم المضموم ثم الساكن ثم المنصوب ...إلخ.

والصحيح أنْ يتمَّ التقيُّد بالحركات: المفتوح فالمضموم ثم المكسور ثم الساكن ، أو أي ترتيبٍ آخر.

وجاء في السطر الأخير من ص ١٥٥ أنّ صدر البيت (إيذني) قافيته (جوابا)، والصواب (جوابي) .

- فهرس المراجع.

الصواب الدقيق : (فهرس المصادر).

فـ(المصادر) هي الكتب والمؤلفات التي تكون مادة البحث، أما (المراجع) فهي الكتب والبحوث وغيرها مما يكون قد كتب حول موضوع البحث، ويستعمل الكتبيّون كلمة (المراجع) فقط، في معنى يغاير ما اصطلح عليه الباحثون في الدراسات التاريخية والأدبية الأخرى[٢١].

وقد أورد أسماء الكتب خالية– في معظمها – من اسم المؤلف ، أما بيانات الطباعة الأخرى (اسم الطبعة، المكان، سنة النشر، رقم الطبعة...) فلم ترد على الإطلاق.

والمرةُ الوحيدةُ التي خالفَ فِيها هذا التَّرتيبَ كان في المصدر رقم ١٩: الجهشياري (الوزراء والكتاب) ، وكان عليه أنْ يضعَهُ قبل المصدر الأخير (وفيات الأعيان) .

سقطَ من الفهرس: (أمالي اليزيدي) .

وورد من مصادره : (تراجم الشُّعَرَاء – مخطوط).

---

(٢١) ينظر : المدخل إلى المراجع العربية العامة : ١٣ .

أقول : ثَبَتَ –فيما بعد– أنه (المذاكرة في ألقاب الشُّعَرَاء) لمجد الدين النشابي (ت ٦٥٧هـ)[٢٢] .

ثم : (مؤنس الوحيد – مخطوط) .

أقول: هذا جزءٌ من كتابِ (محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعَرَاء والبلغاء) لِلراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، فالصحيح أنْ يُحذفَ ويُكتفَى بالأصل.

وأخطأ في تقديمه (ذيل اللآلِي) على (ذيل زهر الآداب) ، و(الموشح) على (الموشى).

ثامنًا : النصوص الساقطة:

إنَّ النسخةَ الخطية مِن كتابِ (الوَرَقَةِ) ناقصة نقصًا واضحًا، سواء في العبارات والأخبار المبتورة[٢٣]، أو في وجود نصوص أخرى نصَّتْ عليها المصادرُ ولم ترِدْ في المطبوع منه .

وقد وردتْ في نهايةِ الطبعةِ الثانيةِ منه زيادات ضَمَّتْ ستةَ شعراء، أثبتهم عبد الستّار أحمد فراج على أنَّهم وردوا في أصل الكتاب ، وليسَ في المخطوطة المعتمدة، منهم اثنان كان قد أوردهما عبد الوهاب عزَّام في مقدمته، وهما: إبراهيم بن العباس الصولي وأبو نواس .

ومن المناسب أن أُشيرَ ألى أنَّ المرحومَ الشَّيخَ محمَّد رِضَا الشّبيبي (ت ١٣٨٥هـ) ذَكَرَ نصًّا جديدًا[٢٤] نقلهُ من كتاب الموازنة للآمدي ، وفيه : «حكى أبو عبد الله محمد بن داوود بن الجراح في كتابه : أن ابن أبي طاهر ...» ، وعلَّق: «لم يرد في هذه الحكاية اسم كتاب ابن الجراح فلعلّه غير كتاب الوَرَقَة لأنَّ كتاب الوَرَقَة خالٍ من هذه الرواية» .

(٢٢) حققه شاكر العاشور ، بغداد ، ١٩٨٩م ، ثم في دمشق ٢٠٠٦م ، و ٢٠١٠م .

(٢٣) تنظر الصفحات ١٥، ٧٨، ١٣٤،...

(٢٤) مؤرخ العراق ابن الفوطي ص ٣٠٩ (الهامش).

وعقَّب عليهِ المرحوم د. مصطفى جواد[٢٥] بمقالٍ جاء فيهِ: «إن قول الآمدي (في كتابه) يُشعر بأنه لم يكن يحسب له كتابًا ثانيًا ...والمطبوع من كتاب الوَرَقَة يدلّ على أنَّ نسخته ناقصة»، ثم ذكر في هامش الصحيفة التالية أنه وجد ستَّ تراجم ليستْ في النسخَةِ المَطبوعةِ ، منها (عبد الله بن العباس بن عبد المطلب)، وقَالَ : «ولعلِّي أجد فرصة فأنشرها من مظانها».

قلتُ : إنَّ التراجم التي ذكرها كنتُ قد رجعتُ إليها – قبل أنْ أطَّلع على مقالهِ – وعلّقتُ عليها بفوائد وتخريجات ، باستثناء ترجمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأظن أنَّه يقصد حفيده : الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكتاب (الوَرَقَة) يخص شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين ، و«الفضل» منهم، لا جدّه حبر الأمَّة عبد الله بن عباس .

كما اطَّلعتُ على مقَالَ د. إبراهيم السامرائي: منَ الضَّائِع من جملة من المصادر، مجَلَّة معهد المخطوطات العربيَّة ، مج ٣١ ، ج ٢، ١٩٨٧م : ونشر فيهِ نصوصًا من كتب مفقودة أو لَمْ تُنشَر، منها «الوَرَقَة»، إذْ نقل أربعةَ نصوصٍ منه وردتْ في كتاب «ذيل تاريخ بغداد» لابن النَّجَّار (ت ٧٣٤هـ)، من دون تعليقات أو تراجم، وأخطأ إذْ أتَّم ترجمة عليّ بن ثابت ، ولم ينتبه الى أنَّ هذه التتمَّة لا علاقة لابن الجرّاح بها ، ثم أورد نصًّا عن أبي نواس من كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان (ت ٦٨١هـ) في سطرين .

وحينما كنتُ أُحَقِّقُ كتابَ (مُعجم الشُّعَرَاء) للمرزبانيّ (ت ٣٨٤هـ) – على مُصوّرة مجمع اللغة العربيَّة بِدمشق– رأيتُ المَرزبانِيَّ ينقلُ سبعَ مرات صراحة من ابن الجرّاح .

(٢٥) مجَلَّة المجمع العلمي العراقي ، مج ٦ ، ١٩٥٩م ، وأعيد نشْره بعد وفاتِهِ – رحمه الله – في كتابٍ خاص بِهِ اسمهُ : في التراث العربي ١ / ٥٤٢ .

وأثناء تنقيري في كتبِ التراثِ عثرتُ على شعراء آخرين نَصَّت بعضُ المصادر على وُرُوْدِهِمْ فِي الكتابِ نفسِهِ، فهذا الصفديُّ (ت ٧٦٤هـ) في كتابه (الوافي بالوفيات)، ينقلُ منهُ مرات كُثار، وبعض هذه النقول واردة في المطبوع، وبعضها الآخر في القسم الساقط منه، إلاّ أنه أحيانًا لا يذكر ابنَ الجرّاح، بل كان يهمل ذِكْرَ المرزبانيّ أيضًا وهو ينقل مِنْ كتابيهما!

فضلاً عن مؤلفين آخرين، هم : الجهشياري (ت ٣٣١هـ) في : (الوزراء والكتّاب)، ولم يُشِر إليهِ صراحةً، والصولي (ت ٣٣٥هـ) في (أشعار أولاد الخُلَفَاء) ، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في «ربيع الأبرار»، وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في (الأغاني)، وابن النديم في «الفهرست»، الذي نقل منه أربع مرّات، والآمدي (ت٣٨٠هـ) في : (الموازنة) ، الذي نقلَ منه ثلاث مرَّات، والمرزباني في: (مُعجم الشُّعَرَاء)، و: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٢هـ) في: (ديوان المعاني)، و: الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في: (خاص الخاص)، و: الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) في: (أماليه)، و: ابن السِّيد البطليوسي (٥٢١هـ) في كتابه (المثلث)، و: ابن سعد الخير البلنسي (ت ٥٧١هـ) في (القرط على الكامل)، و:عليّ بن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ) في (بدائع البدائه)، و: ابن النجار (ت ٦٤٣هـ) في: (ذيل تاريخ بغداد) و: ابن عساكر (ت٥٧١هـ) في : (تاريخ مدينة دمشق)، و ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) في «بغية الطلب»، وابن السّاعي (ت ٦٧٤هـ) في «نساء الخُلَفَاء»، و: ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في : (وفيات الأعيان)، و: العلامة مغلطاي بن قليج (ت ٧٦٢هـ) في هوامشه على : «مُعجم الشُّعَرَاء» لِلمرزبانيّ، و:الصفدي (ت٧٦٤هـ) في: (الوافي بالوفيات)، والشريف الصنعاني (ت ١١٢١هـ) في: (نسمة السحر) .

ورأيتُ – بعد ذلك – أنْ أَجْمَعَ وأُحَقِّقَ النصوصَ السَّاقطةَ من مخطوطة الكتاب،

عبر بالتقصّي والتنقير في المظان المختلفة، حتى عثرتُ – بعون الله – على(٨٧) نَصًّا من أصلِ الكِتَابِ، ضمنها النصوص الستة التي ذكرها المرحومان عزام وفراج، وإنْ زِدْتُ كثيرًا على النصِّ الأوَّل، مع زيادة واضحة على النصِّ الثالث .

وقد انتهينَا من تحقيق كتاب (الورقة) في آب سنة ٢٠٠٨م، وضبطناهُ بالشكل التّام ، وخرّجنا نصوصه ، وزِدنا عليهِ فوائد مُهِمَّة لم ترد في المظان التي نُشِرَتْ النصوص فيها، وأثبتنا بحور الشعر إلى جانب القطعة أو النتفة، وصحَّحنا ما ورد من أخطاء في الضَّبط والتصحيفات سواء في نشرته السابقة أم في الواردة في المصادر الأُخرى المعتمدة، وأثبتنا ما تلقّطناهُ من نصوصه المفقودة في موضعٍ خاص بعنوان «تتمَّة اليتيمة».

والحمدُ للهِ ربّ العالمين.

المصادرُ والمراجع

- **الأعلام:خير الدين الزركلي (ت ١٣٧٦هـ)، مطبعة كوستوتسوماس، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م.**
- **الأنس والعرس**: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ)، إعداد وتحقيق إيفلين فريد يارد ، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، دمشق ،١٩٩٩م.
- **بدائع البدائه**: عليّ بن ظافر الأزديّ (ت ٦١٣هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ،١٩٧٠م.
- **بغية الطلب في تاريخ حلب: ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م.**
- **تاريخ الطبريّ**: محمد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
- **تاريخ مَدِينة السَّلام بغداد**: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، حقّقهُ وضبطَ نصّه وعلّق عليه د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **التبيان في شرح ديوان المتنبي**: المنسوب وهمًا لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ، دار المعرفة، بيروت ،١٣٩١هـ.
- **التعليقات والنوادر**: هارون بن زكريّا الهجري (ت نحو ٣٠٠هـ) ، ترتيب حمد الجاسر، الرياض ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م .
- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**: لزبير بن بكّار القرشيّ الزُّبيريّ (ت ٢٥٦هـ)، حقّقهُ وقدّم له وصنع تتمّتهُ وأثبتَ فهارسه الدكتور عباس هاني الجرَّاخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١٠م .
- **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء**: أبو محمد عبد الله بن محمد العبد لكانيّ (ت ٤٣١هـ)، تحقيق د. محمد جبار المعيبد ، بغداد ، ١٩٧٣م .
- **الدُرُّ الثمين في أسماء المصنِّفين**: علي بن أنجب المعروف بابن السّاعي(ت ٦٧٤هـ)، حقَّقهُ وعلَّقَ عليهِ أحمد شوقي بنبين و محمد سعيد حنشي ، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- **ديوان الحمانيّ** ؛ عليّ بن محمد العلويّ الكوفيّ، تحقيق د. محمد حسين الأعرجي، دار صادر، بيروت ،١٩٩٨م.
- **ديوان المعاني**: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، مكتبة القدسيّ ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ.
- **ذيل تأريخ بغداد**: محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة ، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب**: عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ)، مكتبة القدسيّ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ.
- **شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى**، دار الكتب المصريّة ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤م .
- **شعر أبي سعد المخزومي**، جمعَهُ وحقَّقهُ د. رزّوق فرج رزّوق ، مطبعة الإيمان ، بغداد ، ١٩٧١م .
- **شعر دعبل بن علي الخزاعي**، صنعة د. عبد الكريم الأشتر، المجمع العلمي العربي بدمشق، د. ت .
- **شعراء عباسيون**: د. يونس السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت،١٩٨٧م .
- **الشعر والشُّعَرَاء**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ.
- **صلة تاريخ الطبري**: عريب بن سعد القرطبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- **غرر البلاغة في النظم والنثر**: عبد الملك بن محمد الثعالبيّ (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق د. قحطان رشيد صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨م .
- **فهارس المكتبة العربية في الخافقين**: يوسف أسعد داغر، مطابع دار ريحاني، بيروت، ١٩٤٧م .
- **الفهرست**: محمد بن إسحاق الوراق النديم (ت نحو ٣٨٥هـ)، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.
- **فوات الوفيات والذيل عليها** : محمَّد بن شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٤م.
- **في التراث العربي**: د. مصطفى جواد (ت ١٣٨٩هـ) ، تحقيق عبد الحميد العلوجي ومحمد جميل شلش ، بغداد ، ١٩٧٥م .
- **في نقد التحقيق**: عباس هاني الجراخ ، ط ١ ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠٠٢م ، ط ٢، دار الينابيع ، دمشق ، ٢٠٠٦م .
- **لباب الآداب**: عبد الملك بن محمد الثعالبيّ (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق د. قحطان رشيد صالح ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨م .
- **المُذاكرة في ألقاب الشُّعَرَاء**: أسعد بن إبراهيم الشيباني الإربلي المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب (ت ٦٥٧هـ) ، تحقيق شاكر العاشور ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩م.
- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق د. إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلاميّ ، بيروت ، ١٩٩٣م .

- **مُعجم الشُّعَرَاء**: أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق وتتمّة الدكتور عباس هاني الجراخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠م.
- **المدخل إلى المراجع العربية العامة**: د. عبد الجبار عبد الرحمن ، جامعة البصرة ، ١٩٩٠م .
- **مَن اسمُهُ عَمْرو من الشُّعَرَاء**: محمد بن داوود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،١٩٩١م.
- **مَن اسمُهُ عَمْرو من الشُّعَرَاء**: محمد بن داوود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق د. محسن غياض ود. مصطفى عبد اللطيف جياووك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.
- **هديّة العارفين**؛ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت ،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- **الوافي بالوفيات**: خليل بن أيبك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، أجزاء متفرقة ، بتحقيق عدد من المحققين العرب والمستعربين ، فيسبادن – بيروت.
- **الوزراء والكُتَّاب**: محمد بن عبدوس الجهشياريّ (ت ٣٣١هـ) ، حقَّقهُ ووضع فهارسهُ مصطفَى السَّقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مصطفَى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ،١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .
- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**: عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ (ت٣٩٦ هـ) ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبيّ ، القاهرة ، ١٩٦٦م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤م.

الدوريات :

- **العرب** ، ج١-٢، وج ٣- ٤، س ٣٦ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) : «مَن اسمُهُ عَمْرو من الشُّعَرَاء لابن الجراح (ت ٢٩٦هـ) بين نشرتين»: عبّاس هاني الجراخ .
- **مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق**، مج ٨٠ ، الجزء ٣ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ؛ قراءة في كتاب «مَن اسمُهُ عَمْرو من الشُّعَرَاء» : د. عزَّة حسن .
- **مجلّة معهد المخطوطات العربيَّة** ، مج ٣١ ، ج ٢ ، ١٩٨٧م : مِنَ الضَّائِع من جملة من المصادر : د. إبراهيم السامرائي .
- **المورد** ، مج ٣، ع ٣، ١٩٧٥م: أشعار صاحب الزنج، جمع وتحقيق أحمد جاسم النجدي.
- **المَورِد** ، مج ٦، العدد الثاني ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م؛ نصوصٌ من كتاب «طبقات الشُّعَرَاء » لِدِعبِل الخزاعي: د. محمد جبار المعيبد .

قراءة في (شرح القصائد السبع) لابن كيسان

المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

المجلد [٧٦/ الجزء ٤]

تحقيق: الدكتور محمد حسين آل ياسين

أ. خير الله الشّريف (*)

عرضتْ في أثناء قراءة مانُشر من شرح القصائد السبع لأبي الحسن بن كيسان بتحقيق الدكتور محمد حسين آل ياسين في الجزء الرابع من المجلد السادس والسبعين من مجلة المجمع مواضع فيها مقال[1] وهي:

١-الصفحة(٧٧٢)، السطر (١-٢): قوله:(أثَّر فيه الحبُّ مِراناً فصار بمنزلة القِدر)، لعل الصواب(مراراً)، ولم ترد إشارة إلى هذا اللفظ في حاشية التحقيق.

- السطر (٨): قوله: (وصلتُ إلى اللّهو بها لِغِرَّتي)، لعل الصواب: (لِعِزِّي)، وقد جاءت (لعزّي) مرتين في شرح البيت التالي.

٢- الصفحة (٧٧٣)، السطر (١): قوله: (تكتمون ويكون تعلنون)، الصواب: (يكتمون) و(يعلنون) بالغَيبة، وجاء في شرح ابن النحاس ١/ ١٣٠ «ويُروَى: يُسِرُّون، فمن روى: يُسِرُّون، فيَجوز أن يكون معناه عنده: يكتمون، ويجوز أن يكون معناه: يُظهِرون. وهو من الأضداد».

(*) باحث في اللغة والتراث من سورية.

(١) كُتب هذا المقال سنة ٢٠٠١م، .ولم يتيسَّر نشره في ذلك الوقت.

– السطر (٦): قوله: (لما يخافون في عاقبة ذلك من مَولِدِهَمٍّ)، لعل الصواب: (من يريدهم)، أي: مَن يَطلبهم ثأرًا لمَقتَلي.

٣– الصفحة (٧٨٣)، السطر (١): قوله: (يريد خِفَّةَ الروحِ والذَّكاءِ)، الصواب: (الذَّكاءَ).

٤– الصفحة (٧٩١)، السطر (١): قوله: (على مَوطنِ يخشى الفتى عِندَهُ الرَّدى)، الصواب: (موطنٍ).

– السطر (٦): قول طرفة: (ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزَوِّدِ) روي أن النبي ﷺ كان يستشهد به إذا استراثه الخَبر، وهو حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٤٠٢٣) =٤٠/ ٢٤ من طبعة مؤسسة الرسالة، وتخريجه مفصّل ثمّة، والحافظ عبد الغني المقدسي في «أحاديث الشعر» ص٥٤، فيُستَحسَن إثباتُ ذلك في حاشية التحقيق.

٥– الصفحة (٧٩٣)، السطر (٤)، قول امرئ القيس: (ولاتُبعديني من جَناكِ المعلَّلِ)، ضبط الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (المعلل) في نسخة الأعلم الشنتمري من الديوان ص(١٢) بكسر اللام المشددة، وهذا يوافق كلام ابن كيسان التالي للبيت، وابن الأنباري ص٣٨، وابن النحاس ص١١٩، والتبريزي ص٤٣. وقال ابن النحاس بعد تقديمه روايةَ الكسر: «وزعم أبو الحسن بن كيسان أنه يُروَى المُعلَّل، بفتح اللام الأولى، ومعناه الذي علِّل بالطيب، من العَلَل، وهو الشرب الثاني وما بعده».

٦– الصفحة (٧٩٤)، السطر(١٦)، قوله: (مثل الشوكة تحكُّ به المرأة رأسَها ويُصلح شعرها). أحال المحقق في ما نقله هنا من كلام ابن كيسان على شرحي ابن النحاس والتبريزي، وقد خلا شرح ابن النحاس من قوله: «ويصلح شعرها»، وخلت منه أيضاً طبعات ثلاث وقفت عليهن من شرح التبريزي على القصائد العشر، فجاءت العبارة في هذه الطبعات: «مثل الشوكة يصلح بها شعر

المرأة»، ولم يتيسر لي الوقوف على طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله، فلا أدري كيف جاء فيها النص.

٧- الصفحة (٧٩٥)، السطر(٢): قول امرئ القيس: (منارةُ مَمسى راهبٍ مُتَبَتِّلِ) الصواب: (مُمسى) بالضم، وهو بالضم عند ابن النحاس في الطبعة المنقول عنها، وكذا في الديوان ص(١٧)، وانظر القاموس المحيط: مسى. وتكرر الخطأ في السطر رقم (٦).

٨- الصفحة (٧٩٦)، السطر (١٢): قول امرئ القيس: (بأرجائها القُصوى أنابيشُ عُنصِلِ)، الصواب: (عُنْصُلِ)، وهو عليالصواب في السطرين (١٤، ١٦)، وعند ابن النحاس، وفي الديوان ص٢٦.

٩- الصفحة (٧٩٨)، السطر(٥): أنشد بيت عبيد الله بن الحر:

متى تأتنا تُلمِمْ بنا في ديارنا تجدْ حطَباً جَزْلاً وناراً تأجَّجُ

قالها وهو في حبس مصعب بن الزبير في الكوفة، وقد عزاها بتمامها إلى كتاب (اللصوص) لأبي سعيد السكري بعد أن أورد منها أبياتاً هي:

أقول له صبراً عطيَّ فإنما هو السجنُ حتى يجعلَ اللهُ مخرجاً
ومنزلةٍ يا بنَ الزُّبير كريهةٍ شددتُ لها من آخر الليل أَسرُجا
لفتيان صدقٍ فوق جُردٍ كأنها قِداحٌ براها الماسِخيُّ وسَحَّجا
إذا خرجوا من غمرةٍ رجعوا لها بأسيافهم والطَّعنِ حتى تَفَرَّجا
متى تأتنا تُلممْ بنا في ديارنا تجدْ حَطَباً جَزْلاً ونارا تأجّجا

وهو نص على أن القوافي بالنصب.

- السطر (١١): قوله: (الذي يُصَمَدُ)، الصواب: (يُصْمَدُ).

١٠- الصفحة (٧٩٩)، السطر (١٢): قوله: (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة)، الصواب: إسقاط كلمة: أسماء.

١١- الصفحة (٨٠٤)، السطر(١٨): قوله: (نجيب عفيفي)، الصواب: (العقيقي).

االمراجع:

- أحاديث الشعر/ عبد الغني المقدسي؛ تحقيق: خير الله الشريف.
- شعار اللصوص وأخبارهم/ جمع وتحقيق: عبد المعين الملوحي.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/ البغدادي؛ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.
- ديوان امرئ القيس/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني/ المالقي؛ تحقيق: د. أحمد الخراط.
- الزاهر في معاني كلمات الناس/ ابن الأنباري؛ تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، اعتنى به عز الدين البدوي النجار.
- سر صناعة الإعراب/ ابن جني؛ دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي.
- شرح أبيات سيبويه/ ابن السيرافي؛ حققه وقدم له: د. محمد علي سلطاني.
- شرح القصائد التسع المشهورات/ ابن النحاس؛ تحقيق: أحمد خطاب.
- شرح القصائد العشر/ الخطيب التبريزي؛ تحقيق: د. فخر الدين قباوة.
- شرح القصائد العشر/ الخطيب التبريزي؛ تصحيح وضبط وتعليق: محمد منير الدمشقي السلفي.
- شرح القصائد العشر/ الخطيب التبريزي؛ تعليقات: محمد الخضر حسين، إعداد وضبط: علي الرضا الحسيني.
- شرح المفصل/ ابن يعيش- مكتبة المتنبي.
- شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير/ الخوارزمي؛ تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين.
- شعراء أمويون/ دراسة وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي.
- القاموس المحيط/ الفيروزابادي- مؤسسة الرسالة.
- كتاب سيبويه/ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.
- لسان العرب/ ابن منظور- دار صادر.
- المسند/ أحمد بن حنبل؛ تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرناؤوط وآخرين.
- المقتضب/ المبرد؛ تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة.

أنباء مجمعية وثقافية

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الرُّبعين الثاني والثالث من عام ٢٠١١

أ. ماجد الفندي(*)

أ – الكتب العربية

- **الاتحاد العربي عام ١٩٥٨م**: د.ابراهيم فاعور الشرعة، عمان، ٢٠٠٤م.
- **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة**: ندوة – مجموعة باحثين، عمان ١٩٨٤م.
- **استراتيجية الاستثمار في المصارف الإسلامية**: مؤسسة آل البيت الأردن.
- **الأندلس في عصر بني عباد**: د.أحمد الطاهري، إشبيليا للنشر والدراسات، دمشق، ٢٠٠٩م.

(*) إجازة في المكتبات من جامعة دمشق.

- **تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني**: د.هند غسان أبو الشعر، عمان، ٢٠٠١م.

- **التربية الإسلامية**: مجموعة باحثين، مؤسسة آل البيت الأردن، ١٩٨٩م.

- **تطور الصحافة الأردنية ١٩٢٠ – ١٩٧٠م**: د.عصام الموسى، عمان، ١٩٩٨.

- **تطور قانون الزكاة في الأردن**: د.محمد راكان الدغمي، عمان، ٢٠٠٦م.

- **التعاون الأردني الخليجي في ميادين التنمية**: د.صالح حصاونة، عمان، ١٩٩١م.

- **توارد المعاني الصرفية على أبنية الأسماء مع دراسة تطبيقية على مقامات الحريري**: د.محمود الحسن، دار البينة، دمشق، ٢٠١١.

- **خطة الاستثمار في البنوك الإسلامية الجوانب التطبيقية**: مجموعة باحثين، عمان، ١٩٨٧م.

- **دراسات إسلامية معاصرة: الموجز في التربية الإسلامية**، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٥م.

- **دراسات تربوية**: د.محمود السيد، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٠م.

- **دراسات في تاريخ الأردن المعاصر**: علي مفلح محافظة، الأردن، دار سندباد للنشر، ٢٠١٠م.

- **دراسات في النحو القرآني**: د.صباح علاوي السامرائي، لندن، دار الحكمة، ٢٠١٠م.

- **دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية**: د.ناصر الدين الأسد، عمان، ١٩٨٦م.

- **دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية**: مجموعة باحثين، عمان، ١٩٩١.

- **الزكاة والتكافل الاجتماعي في الإسلام**: مجموعة باحثين، عمان، ١٩٩٤م.

- **شخصيات من التاريخ**: علي مفلح محافظة، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م.

- **صور من حياة جلالة الملك عبد الله بن الحسين ١٨٢ - ١٩٥١م**: مؤسسة آل البيت، عمان.

- **الظروف الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة في العالم الإسلامي** : مؤسسة آل البيت الأردن.

- **العرب والعالم المعاصر**: علي مفلح محافظة، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م.

- **علي محافظة مؤرخاً ومفكراً**: عمان الأردن، ٢٠١٠م.

- **العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي**: د.فتحي حسن ملكاوي، ١٩٩٦م.

- **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**: د.زينب الخضيري، دار النتنوير، بيروت، ٢٠٠٩م.

- **الفهارس التحليلية للتربية الإسلامية**: د.ناصر الدين الأسد، عمان، ١٩٨٦م.

- **في قضايا التعريب**: د.محمود السيد، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٠م.

- **قضاء عجلون ١٨٦٤ – ١٩١٨م**: عليان عبد الفتاح الجالودي، عمان، ١٩٩٩م.

- **قضايا اللزوم والتعدي في النحو والصرف والدلالة**: د. محمود الحسن، دار البينة، دمشق، ٢٠١١.

- **كتاب المؤتمر السنوي الرابع**: مجموعة باحثين، عمان، ١٩٨٥.

- **اللغة العربية واقعاً وارتقاءً**: د.محمود السيد، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٠م.

- **مدونة النصوص الجغرافيّة لمدن الأردن وقراه**: المهدي عيد الرواحنية، عمان، ٢٠٠٧م.

- **مشكلات البحث في الاقتصاد الإسلامي**: : ندوة – مجموعة باحثين، عمان ١٩٨٦م.

- **معالم التفكير في الجملة عند سيبويه**: د.محمد عبدو فلفل، دمشق دار العصماء، ٢٠١٠م.

- **معجم أسماء المدن والقرى في بلاد الشام**: أ.منير الذيب، دمشق، دار العراب ودار نور، ٢٠١٠م.

- **منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**: د.محمد عبد القادر خريسات، عمان، ١٩٩٢م.

أ- المجلات العربية

أ. ماجد الفندي(*)

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
- الأسبوع الأدبي	١١٧٥-١١٧٦-١١٧٧-١١٧٨-١١٧٩-١١٨٠-١١٨١-١١٨٢-١١٨٣-١١٨٤-١١٨٥-١١٨٦	٢٠٠٩	سورية
- بناة الأجيال	السنة / ١٨/ العدد / ٧٣/	٢٠٠٩	سورية
- الحياة المسرحية	٦٧-٦٨-٦٩-٧٠	٢٠٠٩	سورية
- دراسات تاريخية	١٠٥-١٠٦	٢٠٠٩	سورية
- عالم الذرة	١٢٤	٢٠٠٩	سورية
- الضاد	السنة / ٧٩/ العدد / ٩-١٠-١٢	٢٠٠٩	سورية
- مجلة جامعة دمشق للعلوم الزراعية	مجلد / ٢٥/ العدد / ١/	٢٠٠٩	سورية

(*) إجازة في المكتبات من جامعة دمشق.

مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية	مجلد / ٢٥/ العدد / ١-٢/	٢٠٠٩	سورية
مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية	مجلد / ٢٥/ العدد / ١/	٢٠٠٩	سورية
مجلة جامعة دمشق للعلوم الأساسية	مجلد / ٢٤/ العدد / ٢/	٢٠٠٨	سورية
مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية	مجلد / ٢٥/ العدد / ١/	٢٠٠٩	سورية
مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية	مجلد / ٢٤/ العدد / ١-٢/	٢٠٠٨	سورية
المجلة البطريركية	السنة / ٤٧/ العدد / ٢٨٧-٢٨٨/	٢٠٠٩	سورية
المهندس العربي	العدد / ١٦٢/	٢٠٠٩	سورية
المعرفة	السنة / ٤٨/ العدد / ٥٥٠-٥٥١/	٢٠٠٩	سورية
الموقف الأدبي	السنة / ٣٩/ العدد / ٤٦٤-٤٦٥/	٢٠٠٩	سورية
أقلام جديدة	١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠	٢٠٠٨-٢٠٠٩	الأردن(*)

(*) وصلت هذه المجلات إلى المجمع في حينها، ولكن كانت المجلة فيما مضى تصدر متأخرة عن مواعيدها المحدَّدة، وسوف نتلافى تكرار ذلك في المستقبل.

العربية	السنة / ٤/ العـدد / ٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦/	٢٠٠٩	الإمارات
النشرة الإخبارية	/٧٩/	٢٠٠٩	تركيا
الحج والعمرة	السنة م٦٥/ العدد/ ١/	٢٠١٠	السعودية
عالم الكتب	مجلد / ٣٠/ العدد / ١/	٢٠٠٨	السعودية
المجلة العربية	٣٩٥-٣٩٦	٢٠١٠	السعودية
مجلة البحوث والدراسات القرآنية	السنة / ٣/ العدد / ٥/	٢٠٠٨	السعودية
البيان	٣٧٣-٣٧٤	٢٠٠٩	الكويت
الدراسات الفلسطينية	٧٩	٢٠٠٩	لبنان
مجلة كلية دار العلوم	٥١-٥٢	٢٠٠٩	مصر
اللسان العربي	٦٢	٢٠٠٨	المغرب
صوت الأمة	مجلد / ٤١/ العدد / ١٢/	٢٠٠٩	الهند

النشرة الاجنبية:

ربى المعدني(*)

Books:

- The Huanchback of Notre Dame/ Victor Hugo.
- Rich Man, Poor Man/ Irwin Shaw.
- La corruptrice.
- C'est la vie qui triomphe/ A. Charov.
- L'Ice Berg/ Arnand de Borchgrave & Robert Moss.
- La Guerre d'Israël/ Julien Besançon.
- Guy de Maupassant.
- Israël et Les Arabes/ Eric Rouleau.

Periodicals:

- The Muslim World, Vol.99, N. 2 (2009).
- Suhayl: Journal for the History of the Exact and Natural Sciences in Islamic Civilisation, Vol.8 (2008).
- The Islamic Quarterly, Vol.52, issue 4 (2008).
- Koreana, Vol. 17, N.1, (2009).

(*) إجازة في الأدب الفرنسي من جامعة دمشق.

الفهارس العامة للمجلد السادس والثمانين

أ- فهرس أسماء الكُتّاب:

د. إبراهيم منّاد ١٠٩٣
د. أحمد حالو ٤١٩
د. أحمد دهمان ٨٣
د. أحمد صوان ٤٩٧
د. أحمد عبد القادر ٥٨٣
د. أحمد عزوز ٩٥٥
أ. أحمد العلاونة ١٠٤٧
د. أحمد علي محمد ١٨٥
د. أحمد محمد قدّور ٤١، ٣٦٣، ٦٩٣
د. أمين يوسف عودة ٧٩٥
د. جوزيف كلاس ٨٨٧
أ. خير الله الشّريف ١١٨٧
د. السعيد السيد عبادة ١٠٢٩
د. سمير معلوف ٤٦٩
د. ضياء الدين القالش ٢١٩
د. عباس هاني الجرّاخ ١١٦٧
د. عبد الإله نبهان ٢٥١، ٥٤١، ٨٦٥
د. عبد الكافي المرعب ١١٣، ٩٧٥
د. عبد الكريم الأشتر ٢٦٣

د.عبد الهادي خضير ٩٥، ٤٣٩
د. عمر الدقاق ٥٥٣
د. عمر شابسيغ ٢٤٣
د. عيسى بن سديرة ٨٤٥
د. عيسى العاكوب ٦٦٧
د. لبانة مشوح ٣٣٩
د. مازن المبارك ٢١، ١١٢٧
د. ماهر كبّاش ٢٠١
د. محمد الأمين بو علي ٨٢٣
د. محمد الأمين خلادي ١٥٥
د. محمد بلاسي ٦٣
د. محمد رضوان الداية ٣٨٩، ١١٤٧
د. محمد عبدو فلفل ١٠٠٣
د. محمد علي محمود ١٣٩
د. محمود السيد ٧، ٣١٣، ٩٢٥
د. مسعود عامر ٩٠٩
د. مكي الحسني ٢٣٧، ٥٣٩، ٨٦١، ١١٢١
د. ممدوح خسارة ٢٣٩، ٦٤٥، ١١٣٥
د. منار عبد الهادي ٧١٣
د. منيرة محمد فاعور ١٠٦٧
أ. ناصر الجباعي ٥١٥
د. نزيه كسيبي ٢٧٣، ٥٧١
د. نسرين عبد العليم ٨٩٣
د. يس أبو الهيجاء ٧٧١
د. يوسف الجوارنة ٧٤١

ب- فهرس العناوين:

الإبانة في تفصيل ماءات القرآن	٥٤١
أثر التشبيه البليغ بأسلوب التركيب الإضافي	٤٣٩
أثر القرآن الكريم في كتابات ناصيف اليازجي	١٠٤٧
أثر القرائن في الحكم على الألفاظ بالغَرابة	٢١٩
الاستدراك على أبي علي في الحجة	٨٦٥
استدراك على ديوان العباس بن مرداس	٩٠٩
أصوات اللغة عند سيبويه: مراجعة وتفسير	٣٦٣
أعضاء مجمع اللغة العربية في مطلع عام ٢٠١١	٢٨٧
أمجد الطرابلسي في مرأى تلميذ قديم	٥٥٣
البَهاء زُهَيْر الأَزْدِيّ وتنازع الولاء لوطنين	٨٣
تدريس النحو بين التشدُّد والتسهيل	٣١٣
التراث الحكائي وقصص الأطفال المعاصرة	٤٩٧
التعريب الفكري واللغوي للعلوم	٦٦٧
تعليم اللغة العربية وآفاقها في فرنسا	٢٧٣
الجهات الأربع واستعمالاتها في العربية	٦٤٥
الجهر والهمس عند سيبويه	٦٩٣
حديث: «يا بن آدم» دراسة أسلوبية جمالية	١٥٥
خصائص المنهج العلمي لتوصيف الكلم عند سيبويه	٨٤٥
خمسون عامًا من الكتابة العلمية	٢٤٣
الدكتور جميل صليبا: المربي والفيلسوف	٨٨٧
دور المسؤولين في نشر اللغة العربية	٧
الرحيل وراء الكلمات	٢١

الزَّجر والعيافة والطِّيَرَة في الشعر الجاهلي ٤١٩
الشعر وأثره في بناء الثقافة ١٣٩
صفحات لغوية: «في بعضها نظر» ١١٣٥
صفحة لغة: إلاّ...؛ وإلاّ...؛ وإلاّ لَـ... ٢٣٧
صفحة لغة: حتى إذا ٥٣٩
صفحة لغة: هذا وذلك ١١٢١
صفحة لغة: مختص أم إخصائي ٨٦١
صورة أنطاكيّة في المخيلة السّردية العربيّة ١٨٥
صورة تراثية فريدة للزهد ٢٦٣
الضرورة الدلالية ٤٦٩
(ضوء السقط) يشهد لصاحبه بحسن الخاتمة ١٠٢٩
طريقة أبي الفتح البُستي في الجناس ٣٨٩
ظواهر أسلوبية في شعر ابن دريد ٧٩٥
العرباض بن سارية السُّلمي (... ٧٥ هـ) ٩٧٥
العربية من وجهة نظر الآخر ١٠٠٣
علم المعاني في أمالي ابن الشجريّ ١٠٦٧
«قد» اسمًا وحرفًا: دلالاتها واستعمالاتها ١١٣
قراءة في (شرح القصائد السبع) لابن كيسان ١١٨٧
قراءة في كتاب قضايا ومواقف ٥٨٣
قصة أول ترجمة للقرآن الكريم ٥٧١
كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشِّعر ٢٥١
كتاب «بحر العوّام» بين طبعتين ١١٢٧
الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الرابع من عام ٢٠١٠ ٣٠٣
الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الأول من عام ٢٠١١ ٦٠٥
الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع في الرُّبعين الثاني والثالث من عام٢٠١١ ١١٩١
اللسانيات في التراث اللغوي العربي ٣٣٩

اللسانيات والمشكلات اللغوية الراهنة	٤١
مداخلات الأفغاني في صوغ المصطلح العلمي	٧٤١
مراجعة في كتاب: تُحف الخواص	١١٤٧
مصطلحات نقدية عند أبي عبيدة	٥١٥
مصطلح المطارحة: أصوله وتطوره	٧٧١
المعادلات الموضوعية في شعْر الحنين	٢٠١
معجم الاستشهادات للدكتور علي القاسمي	٨٩٣
المغايرة الأسلوبية في القرآن الكريم	٩٥
من إضافات الزمخشري في أسلوب العطف	١٠٩٣
المنحى الوظيفي في تعليم النحو	٦١٩
منهج الشريشي في شرحه لمقامات الحريري	٧١٣
موازين الأفعال وأنواعها: دراسة وتحقيق	٨٢٣
النحت بين الإيقاع والتوازن	٢٣٩
النظام التعليمي في سورية واقعاً وتحدياتٍ وارتقاءً	٩٢٥
نظرات نقدية في كتاب (الوَرَقَة) لابن الجرَّاخ	١١٦٧
وظيفة التأثيل في الصناعة المعجمية العربية	٩٥٥
وقوع المعرّب في القرآن الكريم	٦٣